

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

أثر المواقف السياسية على الرواية الحديثة (دراسة نقدية)

إعداد

عبد الستار يوسف أحمد ريان

إشراف

د. خالد علوان

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين
بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2018م

أثر المواقف السياسية على الرواية الحديثة (دراسة نقدية)

إعداد

عبد الستار يوسف أحمد ريان

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 6 / 9 / 2018م، وأجيزت.

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

.....


1. د. خالد علوان / مشرفاً ورئيساً

.....


2. د. غسان هرماس / ممتحناً خارجياً

.....


3. د. عودة عبد الله / ممتحناً داخلياً

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع:

إلى والديّ العزيزين، من سهرنا عليّ صغيراً، وشجعاني على العلم والمعرفة كبيراً.

إلى أخوتي وأخواتي، سندي ومصدر بهجتي في حياتي.

إلى زوجتي الغالية وأبنائي الذين صبروا عليّ وكانوا عوناً لي.

إلى العلماء العاملين، والدعاة الصادقين، والمجاهدين والأسرى، الحاملين هم الإسلام على

عاتقهم في زمن زهد الناس عن الثبات والتضحية.

إلى كل الأهل والأخوة والأصدقاء.

الباحث

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيبنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابه الأخيار الأطهار، وعلى كل من اهتدى بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدين وبعد:

فإني أتقدم بجزيل الشكر إلى الدكتور الفاضل خالد علوان على تشجيعي لدراسة الماجستير، فقد أخذ عليّ عهداً يوم مناقشة رسالة أحد الأخوة، على أن أسجل للدارسة وقد كان، ثم على تكرمه بقبول الإشراف على رسالتي المتواضعة، وما أبداه لي من نصح وتصويب وإرشاد.

كما أتقدم بالشكر للأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الدكتور غسان هرماس والدكتور عودة عبد الله على قبولهم مناقشة رسالتي، وعلى ما تفضا به عليّ من نصح وتوجيه وإرشاد.

كما أتقدم بالشكر للشيخ خباب مروان الحمد الذي اقترح عليّ هذا الموضوع وما زودني به من مراجع وأبحاث مهمة.

ولا يسعني هنا إلا أن أتقدم بالشكر إلى أسرة كلية الشريعة على تيسير سبل العلم والمعرفة في ظل الاحتلال والحصار، فبارك الله فيهم وجزاهم الله كل خير.

كما أشكر كل من ساعدني بعلم أو فائدة أو نصح أو توجيه أو دعاء في سبيل إتمام هذا العمل، فجزاهم الله خيراً.

الباحث

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

أثر المواقف السياسية على الرواية الحديثة (دراسة نقدية)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة علمية أو بحث علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:

اسم الطالب: عبد السلام يوسف أحمد

Signature:

التوقيع: عبد السلام

Date:

التاريخ: 2018/9/6

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الإقرار
و	فهرس المحتويات
ك	الملخص
1	المقدمة
2	أهمية الدراسة
3	مشكلة الدراسة
3	أسباب اختيار الموضوع
4	أهداف الدراسة
4	الدراسات السابقة
5	منهجية الدراسة
8	خطة البحث
10	الفصل التمهيدي: تعريف مفردات عنوان الرسالة
10	المبحث الأول: تعريف الموقف السياسي
12	المبحث الثاني: تعريف الرواية الحديثية
13	الفصل الأول: الأدوار التي مرت بها السنة النبوية
14	المبحث الأول: التلقي مشافهة عن رسول الله ﷺ
17	المبحث الثاني: تدوين الأحاديث في الصحف الحديثية
22	المبحث الثالث: تدوين الحديث في كتب مستقلة
27	الفصل الثاني: الفرق السياسية في عصر التدوين، ومنهجها في رواية الحديث
28	المبحث الأول: الخوارج ومنهجهم في رواية الحديث
28	المطلب الأول: التعريف بالخوارج
29	نشأة الخوارج
32	أهم أفكار الخوارج
33	المطلب الثاني: منهج الخوارج في رواية الحديث

34	المسألة الأولى: الإباضية
35	المسألة الثانية: كتب الخوارج
38	المسألة الثالثة: الخوارج ووضع الحديث
43	نظرة الخوارج للصحابة
45	حجية السنة عند الخوارج
45	مخالفة السنة الصحيحة الصريحة
47	تحكيم العقل في قبول النصوص وردّها
49	المبحث الثاني: الشيعة ومنهجهم في رواية الحديث
49	المطلب الأول: نبذة مختصر عن الشيعة
49	التعريف بالشيعة
50	نشأة الشيعة
51	أهم عقائد الشيعة
54	المطلب الثاني: منهج الشيعة في رواية الحديث
54	أقسام الشيعة في نظرهم للسنة (الإخبارية والأصولية)
57	المسألة الأولى: السنة المصدر الثاني للشيعة
58	المسألة الثانية: بداية الكتابة عند الشيعة
62	الكتب الرئيسية عند الشيعة
63	الكتب الأربعة
64	الجوامع المتأخرة
66	كتب الرجال
70	المسألة الثالثة: تاريخ الإسناد وأهم إشكالاته عند الشيعة
72	عقيدة النقية
76	رواة نواصب في كتب الشيعة
77	مجاهيل في كتب الشيعة
79	المسألة الرابعة: طريقة التلقي عند الشيعة
80	المسألة الخامسة: طريقة الحكم على الحديث
84	شروط الراوي
85	أنواع الحديث
87	حجية العمل

89	خلاصة مهمة
93	المبحث الثالث: النواصب ومنهجهم في رواية الحديث
93	المطلب الأول: التعريف بالنواصب
94	نشأة النواصب
96	المطلب الثاني: منهج النواصب في رواية الحديث
96	المسألة الأولى: أقسام النواصب
99	المسألة الثانية: النواصب ووضع الحديث
101	المسألة الثالثة: رأي النواصب في الصحابة
102	المسألة الرابعة: نظرة النواصب للرواية الحديثية
103	الفصل الثالث: أسباب الوضع ومدى تأثير الهوى السياسي على الرواية الحديثية
103	المبحث الأول: أسباب وضع الفرق السياسية الأحاديث والمسالك المتبعة لذلك
103	فضائل الصحابة والأئمة
105	ذم الخصوم
106	تأصيل الأفكار
108	المبحث الثاني: تأثير الهوى السياسي على الرواية الحديثية
108	المسألة الأولى: تضعيف صحابي وإسقاط مروياته
113	المسألة الثانية: تضعيف راوي يدور عليه الإسناد وإسقاط مروياته
116	المسألة الثالثة: اختيار مذهب معين وتضعيف كل حديث لا يتفق مع هذا المذهب
121	المسألة الرابعة: صرف معنى الحديث الظاهر إلى معنى باطن بدون قرينة
122	المسألة الخامسة: التمسك برواية حديث دون جمع طرقها وحملها على معنى يخالف المعنى المقصود
126	الفصل الرابع: شبهات أهل الأهواء من الفرق السياسية حول الرواية الحديثية
127	المبحث الأول: شبهة تأخر كتابة السنة لنهي النبي ﷺ، والخلفاء الراشدين عن ذلك، حتى ضاع الكثير من الروايات، وأدخل عليها روايات أخرى ليست منها
127	الأدلة التي تضمنت النهي عن الكتابة
128	الأدلة التي تضمنت الإذن بالكتابة
136	المبحث الثاني: شبهة التأثر بالموروث الجاهلي في نقل الأحاديث وروايتها وكتابتها، لترسيخ مبادئ وأفكار جاهلية في الدولة الإسلامية
137	كتابة الحديث

138	تولي الخلافة
139	الإيمان بالغيب
140	المبحث الثالث: شبهة تأثير الدولة على تدوين الحديث
140	المسألة الأولى: التدوين الرسمي للحديث
140	المسألة الثانية: علاقة الدولة بآل رسول الله ﷺ
146	المسألة الثالثة: علاقة العلماء بالدولة
149	المسألة الرابعة: مواقف تدل على ثبات المحدثين على السنة الصحيحة في وجه السلطان
149	محنة الإمام أحمد
152	طاووس بن كيسان
153	الإمام البخاري
153	الأعمش
154	طلحة بن مسرف
155	المسألة الخامسة: الرواة الذين تأثروا بالسلطان وموقف العلماء منهم
158	المبحث الرابع: شبهة ضياع أكثر السنة، لأن أصحاب الكتب انتخبوا كتبهم من مئات آلاف الأحاديث ولم يثبتوا منها إلا بضعة آلاف
162	الفصل الخامس: منهج أهل السنة في رواية الحديث
164	المبحث الأول: الوسائل والطرق التي اتبعها أهل السنة في الحفاظ على الرواية الحديثية
164	المطلب الأول: الحرص على تلقي الحديث
168	المطلب الثاني: ظهور علم الإسناد ونقد الرجال
173	المطلب الثالث: علم العلل
177	المطلب الرابع: تطور علم الحديث
180	المطلب الخامس: حفظ السنة بالاتباع وحسن التطبيق
183	المبحث الثاني: تعامل أهل السنة مع المخالفين من أهل البدع
191	تعامل السنة مع غلاة المبتدعة
196	الفصل السادس مقارنة بين ناتج مدرسة أهل السنة ومدرسة أهل الأهواء ممثلة بالشيعية

197	المبحث الأول: الإمام البخاري وصحيحه الجامع
197	المطلب الأول: ترجمة المؤلف
198	المطلب الثاني: صحيح البخاري
203	شبهات الشيعة على صحيح البخاري
211	المبحث الثاني: الكُتَيْبِيُّ وكتابه الكافي
211	المطلب الأول: ترجمة الكُتَيْبِيِّ
213	المطلب الثاني: كتاب الكافي
215	كثرة التعارض والاختلاف
217	الانقطاع في أحاديث الكافي
220	جهالة وضعف رجال الكافي
221	عدد الأحاديث الصحيحة في كتاب الكافي
223	بين يدي أحاديث الكافي
229	النتائج والتوصيات
234	الفهارس العامة
235	فهرس الآيات القرآنية
237	فهرس الأحاديث النبوية
240	فهرس الأعلام
245	فهرس الأماكن
246	المصادر والراجع
B	Abstract

أثر المواقف السياسية على الرواية الحديثية

(دراسة نقدية)

إعداد

عبد الستار يوسف أحمد ريان

إشراف

د. خالد علوان

الملخص

تناولت هذه الدراسة أثر المواقف السياسية على الرواية الحديثية، من خلال فصل تمهيدي بيّنت فيه تعريف مفردات عنوان الرسالة.

ثم بيّنت الأدوار التي مرت بها السنة النبوية من تلقي الحديث مشافهة، إلى التدوين في الصحف الحديثية، ثم كتابة السنة في كتب حديثية خاصة.

وقد عرّفت بأهم الفرق السياسية التي ظهرت قبل تدوين الحديث وهم: الخوارج والشيعية والنواصب، وبيّنت منهج تلك الفرق في التعامل مع الرواية الحديثية، وأسباب ومسالك وضعهم للحديث على رسول الله ﷺ، موضحاً أثر الهوى السياسي لدى تلك الفرق على الرواية الحديثية.

ثم تطرّقت إلى الشبهات التي أثارها تلك الفرق حول السنة النبوية، وزعم الشيعة أن مدرسة الخلفاء الراشدين منعت تدوين السنة، وأنهم تأثروا بالموروث الجاهلي في تعاملهم مع الرواية الحديثية، حتى يتسنى لهم تحريف الدين ليوافق أهواءهم.

كما بينت علاقة المحدثين بالدولة، ووضّحت موقف العلماء من الدخول على السلاطين، وذكرت بعض المحن التي تعرض لها العلماء من المحدثين لثباتهم في بعض المسائل التي تخالف رأي السلطان.

ثم بيّنت منهج أهل السنة والجماعة في روايتهم للحديث، كما وضحت أهم الوسائل والطرق التي انتهجها أهل السنة في الحفاظ على الرواية الحديثية، والاحتياط في التحمل والأداء، كما بيّنت موقف أهل السنة في تعاملهم مع المخالفين من أصحاب الفرق السياسية.

وختمت بحثي بالمقارنة بين أصح ما كتب أهل السنة ممثلاً بصحيح البخاري، وأصح ما كتب أكبر فرقة من أهل الأهواء وهم الشيعة ممثلاً بكتاب الكافي، ليظهر لنا الفرق الجلي بين المنهج العلمي الرصين المحكم والمنهج العشوائي الذي اختفى فترة من الزمن لتتحكم فيه الأيدي، لتظهر لنا الروايات المتناقضة والغريبة والعجيبة، والتي فيها غلو بآل البيت، وظلم واجحاف لحق غيرهم.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي هذا: أن الشيعة هم الفرقة الوحيدة التي تميزت بتراث يشبه تراث أهل السنة في تنوعه وأبوابه، وقد انقسم الشيعة إلى مدرستين: إخبارية وأصولية وبعد الدراسة تبين لي فساد منهج كلا المدرستين، وإن حاولت المدرسة الأصولية تقليد أهل السنة في علومهم، إلا أن الأفكار والمعتقدات التي تحملوها، وواقع كتب متقدمي الشيعة لم تسعفهم لمراهم، رغم المحاولة والجهد الكبير الذي بذلوه لتحسين النظرة لتراثهم الحديثي.

كما تبين لي من خلال الدراسة أن معظم الفرق السياسية، قد وضعت الأحاديث مدحاً وانتصاراً لأفكارهم وآرائهم وعلمائهم، وذمماً لخصومهم، أما أهل السنة والجماعة، فقد روي ما لهم وما عليهم، في منهج قائم على العدل والموضوعية، ولم يرتضوا وضع الحديث من بعض جهلة أهل السنة، حتى لو كان مدحاً لهم وثناءً عليهم، فكانوا لهم بالمرصاد فكشفوا أمرهم وردوا روايتهم.

الباحث

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن الله ﷻ خلق الخلق ولم يتركهم هملاً، وإنما أرسل الأنبياء والمرسلين، مبشرين ومنذرين، يبشرون من أطاع واتقى بجنة الله ونعيمه ورضوانه، وينذرون من عصى وبغى من غضب الله ونيرانه، ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ {النساء:165}، فأنزل عليهم الكتب رسائل الله عز وجل إلى خلقه، وأمره فيهم ونهيه إليهم، وشريعته في أرضه، ودستوره على خلقه، وكان آخر هذه الكتب السماوية القرآن الكريم، الذي نزل به الروح الأمين، على قلب محمد ﷺ، المحفوظ من أي نقص أو تحريف بحفظ الله عز وجل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ {الحجر:9}، والذکر المحفوظ الوحيان، الكتاب والسنة، تكفل الله بحفظه وشرف الصحابة رضوان الله عليهم بحمله، أخذوه عن نبيهم، وفهموه عنه وطبقوا ما فيه من قواعد وأحكام، اهتموا به روايةً وفهماً وتدبيراً وشرحاً وتعبداً، ونقلوه لمن بعدهم فحفظه الله على أيديهم وبلغ بهم الأقطار والأمصار.

فتلقاه من جاء بعدهم من أهل الخير والهدى، وشرف بحمله كل موفق، وحرص على تبليغه كل مهتدٍ، فتنافس علماء الأمة من العهد الأول خير القرون إلى زماننا هذا في حمل القرآن والسنة، وخدمتهما، ومن المزايا التي أعطيت لهذه الأمة اختصاصها بعلم الجرح والتعديل، وقد قيض الله لهذا العلم أفاضلاً من العلماء، ورجالاً في الصبر على البلاء، وتحمل مشاق هذا العلم فساروا في البلاد طولاً وعرضاً، فمن الله عليهم، فسادوا بعلمهم، واستعملهم في حفظ دينه، فكان لهذه الأمة بفضل جهودهم السابق بين الأمم في ابتكار هذا العلم ورسو قواعده بعد طول جهد وعمل، حتى غدا علماء متكاملين بحد ذاته، فشهد لهم المنصفون من الأمم والملل الأخرى بدقة هذا العلم، وتميزه في أصله وفي تطبيقاته، وهو ما لم تفعله أمة من الأمم من قبل.

ولكن لما كثرت الجهل في هذا العصر، وكثر المخدّلون والطاعنون في سنة الحبيب محمد ﷺ من الكافرين والمنافقين والمخدوعين، كان لزاماً على كل باحث غيور على دينه أن يُسلط الضوء

على الحلقات الأولى من حلقات هذا العلم، فهي الأهم والأكثر تعقيداً، لأنها مرحلة ابتكار هذا العلم ورُسُو قواعده، فلم يكن لهم سلف أو معلم لهذا العلم، بل وضعوا قواعده وأرسوا مبادئه بما تقتضيه المرحلة وما يتطلبه الحال لحفظ سنة رسول الله ﷺ، وقد مرّت الأمة في تلك الحقبة بفتن وخلافات سياسية عديدة، وظهرت بعض الفرق السياسية، والتي استنقلت بمذاهب وأفكار معينة، واستدلت عليها بكلام الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ، ونشأت خلافات قوية بينها وبين الدولة.

فهل كان لذلك أثر على المحدثين في روايتهم وتدوينهم حديث رسول الله ﷺ؟ لأنّ من عُرف الناس أن القويّ قد يُلمي على الضعيف، والحاكم قد يُؤثر على المحكوم، والغني قد يُغري الشعراء والكتّاب بماله فيفتنهم به، فهل كان المحدثون كذلك؟

والمرجو أن تجيب هذه الدراسة على هذه الأسئلة بإذن الله تعالى، وذلك بتسليط الضوء على المرحلة الأولى من مراحل هذا العلم-قبل التدوين- لأن كتب السنة نُقلت إلينا بالتواتر واستفاضت واشتهرت وعُرفت بين الناس لأصحابها بما لا ينكره من له أدنى دراية بالعلم والتاريخ، إذ هنالك كتب اشتهرت عن أصحابها ومؤلفيها ولم تظفر بالعناية التي حظيت بها كتب السنة، ومع ذلك فلا يشكك أحد بنسبتها لكاتبها، وهناك أحداث وشخصيات في التاريخ عُرفوا ونقلت أخبارهم إلينا جيلاً بعد جيل، فقطعنا بوجودهم وروينا تلك الأحداث مُسلمين بها، لذلك لا نكاد نرى من يشكك في نسبة كتب السنة إلى كاتبها، فكانت الهجمة الشرسة على السنة ما قبل عصر التدوين، فجاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على هذه المرحلة المهمة، وعرض أهم المحن والفتن التي عصفت بالأمة الإسلامية في ذلك الوقت، ثم النظر في منهج الفرق المنحرفة، وكيف تعاملت مع حديث رسول الله ﷺ؟ ليظهر لنا الفرق بين منهج هذه الفرق، ومنهج أهل السنة والجماعة في تدوين الحديث وروايته.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية الموضوع المبحوث فيها وهو السنة النبوية، الوحي الثاني الذي أنزله الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ، ويمكن إجمال أهمية الدراسة بما يلي:

- 1- أنها جاءت خدمة للسنة النبوية الشريفة المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.
- 2- تسلط هذه الدراسة الضوء على المرحلة الأولى من مراحل حفظ السنة النبوية الشريفة.
- 3- قلة الدراسات في هذا الموضوع على أهميته حيث عرضت الدراسات السابقة مراحل تدوين الحديث الشريف أو دراسة عن الفرق المنحرفة، ولم أجد دراسات علمية بحثت أثر المواقف السياسية على الرواية الحديثية كدراسة مستقلة وافية.
- 4- الهجمة الشرسة المضللة على السنة النبوية والأصول الربانية، حتى شكَّ كثير من ضعاف الإيمان بأصولهم وشريعة ربهم وسنة نبيهم ﷺ.

مشكلة الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

- 1- ما هي أهم الفرق السياسية التي نشأت في القرن الأول والثاني؟
- 2- كيف تعاملت الفرق السياسية مع الرواية الحديثية؟
- 3- هل أثرت المواقف السياسية على الرواية الحديثية؟ وكيف كانت علاقة المحدثين بالدولة؟
- 4- ما هو مستوى الرواة الذين تأثروا بالمواقف السياسية في روايتهم الحديثية؟
- 5- ما هو منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع حديث رسول الله ﷺ؟
- 6- ما هي أهم الفروق بين منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الفرق السياسية في رواية الحديث الشريف؟

أسباب اختيار الموضوع:

- 1- عدم وجود دراسة شاملة تعالج هذه الجزئية دون التوسع في قضايا أخرى لتأخذ هذه الجزئية حقها من البحث العلمي.

2- الهجمة الشرسة على الأصول الإسلامية بشكل عام والسنة النبوية بشكل خاص اقتضى من الباحثين الاهتمام بالمرحلة الأولى من مراحل حفظ السنة النبوية الشريفة، وإبراز دور علماء الحديث في ابتكار هذا العلم، وهذا المنهج الدقيق والمتكامل.

3- الرد على شبهات الطاعنين في السنة النبوية المتهمين أهل الحديث بعدم الدقة والتجرد، وذلك بعرض منهجهم العلمي الدقيق المتبع في الرواية والاحتياط لها.

أهداف الدراسة:

1- لفت أنظار الدارسين إلى المرحلة الأولى من حفظ السنة النبوية الشريفة لأنها المرحلة الأهم والأكثر تعقيداً، والتعرف على أهم الفرق السياسية التي نشأت في القرن الأول والثاني، وبيان منهجهم في التعامل مع السنة النبوية.

2- بيان علاقة المحدثين بالدولة ومدى تأثيرها على مواقفهم وأفكارهم.

3- لفت أنظار الباحثين إلى عبقرية علماء الحديث الشريف في ابتكار علم علوم الحديث، فهو علم تضافرت فيه جهودهم، واجتمعت فيه خبرتهم، حتى أخرجوا لنا منهجاً علمياً منقطع النظير، لم تسبق إليه أمة من الأمم، اجتمع فيه نكاء وعبقرية البشر، والرعاية الإلهية لكتابه وسنة نبيه محمد ﷺ، وذلك بالتعرف على أهم الطرق والوسائل التي اتبعها أهل السنة في الحفاظ على الرواية الحديثية.

4- بيان الفرق بين منهج أهل السنة والجماعة ومنهج أهل الأهواء بمقارنة أصح الكتب عند أهل السنة، وأصح الكتب عند أهل الأهواء ممثلين بالشيعة.

الدراسات السابقة:

علمت بوجود بحث رسالة دكتوراه بعنوان "المحدثون والسياسة قراءة في أثر الواقع السياسي على منهج المحدثين، للدكتور إبراهيم بن صالح العجلان، وقد تواصلت مع الباحث وطلبت منه البحث، ولم يقبل لأن الكتاب لم يطبع بعد، وقد تم بحث الموضوع في جرائد منشورة في ثنايا كتب علوم الحديث وكتب الجرح والتعديل والتي لا غنى عنها في دراسة أي بحث حديثي، ومن أهم تلك الكتب:

- معرفة أنواع علوم الحديث، لابن الصلاح وهو من أشهر كتب علوم الحديث وأقدمها وأكثرها شمولاً.
- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير.
- منهاج السنة النبوية، لابن تيمية وقد فصل فيه عن منهج الشيعة في رواية الحديث.
- نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر.
- الحديث والمحدثون، لابي زهو.
- معرفة أنواع علوم الحديث، نور الدين عتر.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للأشعري
- تقييد العلم، للخطيب البغدادي.
- السنة قبل التدوين، لمحمد عجاج الخطيب.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي.
- البداية والنهاية، لابن كثير.
- الوضع في الحديث، عمر بن حسن فلاتة.
- أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، ناصر القفاري.
- أخبار الشيوخ وأخلاقهم، لأحمد المروزي.

منهجية الدراسة:

اتبع الباحث في دراسته هذه على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي ثم المنهج النقدي وذلك بعرض أهم المواقف السياسية التي عصفت بالأمة الإسلامية في القرن الأول وبداية القرن الثاني، ثم تحليل هذه المواقف وكشف أثرها على الرواية الحديثية، وقد وضع الباحث محددات وضوابط ليسير عليها بإذن الله تعالى، وهي كما يلي:

1- التركيز على فترة بعينها وهي الفترة التي ظهرت فيها الفتن والمحن، ونشأت فيها الفرق السياسية، وميدانها القرن الأول وبداية القرن الثاني.

2- اعتماد تعريف مختصر للفرق السياسية التي ظهرت في صدر الإسلام الأول، وإهمال الفرق الفكرية كونها ليست مجال بحثنا هذا، علماً بأن من هذه الفرق السياسية من تحولت إلى فرق فكرية عقديّة مثل الشيعة والخوارج، فيصعب الفصل بين العامل السياسي والعامل الفكري العقدي، وبخاصة في موضوع الشيعة.

3- إن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما أو لأحدهما، وإن لم يكن في الصحيحين، عزوت الحديث إلى كتب السنن الأربعة، وإن لم يكن في السنن الأربعة عزوت الحديث إلى مسند الإمام أحمد، وإن لم يكن موجوداً في المسند عزوته إلى مصدره من كتب السنة ومسانيدها حسب الحاجة.

4- إن تكرر الحديث في الكتاب الواحد أكتفي في التخرّيج بموضع واحد شاهداً للموضوع المطلوب.

5- حاولت الالتزام بالأحاديث الصحيحة قدر الإمكان، وإذا كان الحديث في غير الصحيحين أكتفي بنقل أئمة الحديث في الحكم عليه من السابقين والمعاصرين، من خلال الكتب التي عُنيت بالحكم على الروايات الحديثية.

6- ترجمت للأعلام غير المشهورين واستثنيت ما اشتهر منهم مثل مشاهير الصحابة رضوان الله عليهم ممن كثر ذكرهم في كتب الحديث والفقهاء، وكذلك استثنيت الترجمة للأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية، والأئمة الستة في الحديث، ومن قاربهم في الفضل والإمامة، وذلك بترجمة مختصرة معتمداً على كتب التراجم والسير عازياً الترجمة إلى مصادرها في الهامش.

7- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في روايات الشيعة من تراجم أهل السنة، فإذا لم تكن للراوي ترجمة أشرت إلى ذلك وبحثت عنه في تراجم الشيعة.

8- لم أترجم للأعلام الوارد ذكرهم في الهامش نهائياً.

- 9- لم أترجم في الهامش للأعلام المترجم لهم في أصل النص.
- 10- لم أترجم للأعلام ممن نقلت من كتبهم، حيث اعتبرت الكتاب معرفاً بصاحبه، وذلك بذكر الاسم كاملاً، وتاريخ الوفاة، ومعلومات الكتاب كاملة.
- 11- اعتمدت في الغالب اسم المؤلف في كتب الشيعة من مقدمة الكتاب أو ترجمة المحقق، لأنهم عادة يكتفون بذكر لقب المؤلف أو الاسم الذي اشتهر به ولا يذكرون اسمه مطولاً.
- 12- المقصود بأبي عبد الله الذي يرد في نهاية سند الروايات الشيعة، هو الإمام جعفر الصادق محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
- 13- اعتمدت على طبعة واحدة عند العزو في الهامش إلا في كتابين وهما: سير أعلام النبلاء والبداية والنهاية مع توضيح ذلك.

خطة البحث:

قمت بتقسيم هذا البحث إلى سبعة فصول، فصل تمهيدي، وستة فصول أخرى في كل فصل عدة مباحث، على النحو التالي:

الفصل التمهيدي: تعريف مفردات عنوان الرسالة:

المبحث الأول: تعريف الموقف السياسي

المبحث الثاني: تعريف الرواية الحديثية

الفصل الأول: الأدوار التي مرت بها السنة النبوية:

المبحث الأول: التلقي مشافهة عن رسول الله ﷺ

المبحث الثاني: تدوين الأحاديث في الصحف الحديثية

المبحث الثالث: تدوين الحديث في كتب مستقلة

الفصل الثاني: الفرق السياسية في عصر التدوين، ومنهجها في رواية الحديث:

المبحث الأول: الخوارج ومنهجهم في رواية الحديث

المبحث الثاني: الشيعة ومنهجهم في رواية الحديث

المبحث الثالث: النواصب ومنهجهم في رواية الحديث

الفصل الثالث: أسباب الوضع ومدى تأثير الهوى السياسي على الرواية الحديثية:

المبحث الأول: أسباب وضع الفرق السياسية الأحاديث والمسالك المتبعة لذلك

المبحث الثاني: تأثير الهوى السياسي على الرواية الحديثية

الفصل الرابع: شبهات أهل الأهواء من الفرق السياسية حول الرواية الحديثية:

المبحث الأول: شبهة تأخر كتابة السنة لنهي النبي ﷺ، والخلفاء الراشدين عن ذلك، حتى ضاع الكثير من الروايات، وأدخل عليها روايات أخرى ليست منها

المبحث الثاني: شبهة التأثير بالموروث الجاهلي في نقل الأحاديث وروايتها وكتابتها، لترسيخ مبادئ وأفكار جاهلية في الدولة الإسلامية

المبحث الثالث: شبهة تأثير الدولة على تدوين الحديث

المبحث الرابع: شبهة ضياع أكثر السنة

الفصل الخامس: منهج أهل السنة في رواية الحديث

المبحث الأول: الوسائل والطرق التي اتبعها أهل السنة في الحفاظ على الرواية الحديثية

المبحث الثاني: تعامل أهل السنة مع المخالفين من أهل البدع

الفصل السادس: مقارنة بين نتائج مدرسة أهل السنة ومدرسة أهل الأهواء ممثلة بالشيعة:

المبحث الأول: الإمام البخاري وصحيحه الجامع

المبحث الثاني: الكليني وكتابه الكافي

النتائج والتوصيات

الفهارس

الفصل التمهيدي

تعريف مفردات عنوان الرسالة

المبحث الأول

تعريف الموقف السياسي

الموقف من وقف، وهو المكان الذي يقف عليه الإنسان، ومنه مواقف الحج¹ وفي الحديث عن النبي ﷺ: "عرفة كلها موقف"²، والموقف يدل على الثبات وقد يدل على التمكن، قال ابن فارس: "الواو والقاف والفاء: أصل واحد يدل على تمكث في شيء ثم يُقاس عليه"³.

أما السياسة: فأصلها من سَوَسَ، والسَّوَسَ: الرياسة، وساس الأمر سياسة: قام به، ويروى قول الحطيئة:

لقد سُوِّسَتْ أَمْرَ بَنِيكَ حَتَّى *** تَرَكَتَهُمْ أَدَقَّ مِنَ الطَّحِينِ⁴

¹ انظر: ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (المتوفى: 711هـ): لسان العرب، (360/9)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ. والحميري، نشوان بن سعيد اليمني: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، (7247/11)، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري و د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1420 هـ -1999م.

² مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب عرفة كلها موقف، حديث رقم 1218، (2/ 893)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

³ ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي: مقاييس اللغة، (135/6)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ -1979م.

⁴ جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو ملكية: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، كان هجاء عنيفاً، لقب بالحطيئة لقربه من الأرض، انظر: الجمحي، محمد بن سالم بن عبيد الله، (المتوفى: 232هـ): طبقات فحول الشعراء، (97/1)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، وابن شاكر، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: 764هـ): فوات الوفيات، (1/ 276)، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1973م، والزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (المتوفى: 1396هـ): الأعلام، (118/2)، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.

وفي الحديث: "كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياءهم"¹، والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه، والسياسة: فعل السائس يقال: هو يسوس الدواب إذا قام عليها، والوالي يسوس رعيته².

أمّا السياسة في الاصطلاح فهي: "استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل، وهي من الأنبياء على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم، ومن السلاطين والملوك على كل منهم في ظاهرهم لا غير، ومن العلماء ورثة الأنبياء على الخاصة في باطنهم لا غير، والسياسة البدنية: تدبير المعاش مع العموم على سن العدل والاستقامة"³.

وبناء على ذلك ندرك أن الموقف السياسي هو الثبات على رأي معين والتمسك به وداعي هذا الثبات أمر يخص الحكم والرياسة وسياسة الناس.

¹ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي: **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم 3455، (4/169)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ، ومسلم: **صحيح مسلم**: كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، حديث رقم 1842، (3/1471)، ولفظه " كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ".

² انظر: ابن منظور: **لسان العرب**: (6/108).

³ الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريني أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ): **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، ص510، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

المبحث الثاني

تعريف الرواية الحديثية

الرواية: أصلها إما روى رياءً من الري، والريّان عكس العطشان، ويقال للناقة الراوية، ويقال رجل رياءً وامرأة رياءً، وسمي اليوم الثامن من ذي الحجة يوم التروية، لأن الحجاج يرتنون فيه من الماء وينهضون لمنى ولا ماء¹، أو روى رواية ومنه قولهم: روى الحديث يروي رواية، وكذا الشعر، وتروّاه بمعنى حمله ونقله².

والحديث: يأتي بمعان منها:

1- الخبر قليله وكثيره، وجمعه أحاديث على غير القياس، وهو ما يحدث به المحدث حديثاً، وقد حدّثه الحديث، وحدّثه به³.

2- الحديث: نقيضُ القديم⁴.

أما تعريف الحديث في الاصطلاح: فهو كل ما ورد عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة⁵، وأكثر ما يستعمل ذلك فيما جاء عن رسول الله ﷺ، وقد يطلق على ما ورد عن الصحابة والتابعين⁶.

فالرواية الحديثية: هي تحمل وأداء كل ما ورد عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، وقد تطلق على ما ورد عن الصحابة والتابعين.

¹ انظر: الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، (190/38-194)، دار الهداية، وابن منظور، لسان العرب، (14/345-347).

² الزبيدي: تاج العروس، (38/193)، (5/210).

³ الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (المتوفى: 666هـ): مختار الصحاح، ص68، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية والدار النموذجية، بيروت، صيدا، لبنان، ط5، 1420هـ-1999م.

⁴ ابن منظور: لسان العرب، (2/131).

⁵ القاري، علي بن محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ): شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، تحقيق: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، ص156، دار الأرقم، بيروت، لبنان، والكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص370.

⁶ انظر: ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو (المتوفى: 643هـ): معرفة أنواع علوم الحديث، ص42، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر، دار الفكر المعاصر، سوريا، بيروت، 1406هـ.

الفصل الأول

الأدوار التي مرت بها السنة النبوية

إن الله عز وجل اصطفى سيدنا محمداً ﷺ، واختاره لحمل رسالة الإسلام، واختار له صحبة وأنصاراً، قال رسول الله ﷺ: "بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قُرْنَاً فَقَرْنَا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ"¹، ثم تكفل ربنا بحفظ رسالة الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، والذكر المحفوظ الوحيان: القرآن والسنة، وكان القرآن الكريم ينزل على سيدنا محمد ﷺ حسب الوقائع والأحداث، لينظّم حياة الصحابة رضوان الله عليهم بشكل خاص، وحياة أمة محمد ﷺ بشكل عام، وكان الصحابة الحلقة الأولى والأهم في حفظ هذا الدين، وذلك بتحملهم عن رسول الله ﷺ، ثم أدائهم لمن بعدهم بدقة وأمانة، جيلاً بعد جيل.

وحتى يتكامل البحث، كان لا بد أن أبدأ من الحلقة الأولى لهذا العلم الشريف، حتى ندرك التواصل والتتابع، وعدم فقدان أو انقطاع هذا العلم، من عهد النبي ﷺ إلى عصر التدوين، ثم اشتها هذه الكتب وتطور هذا العلم بما يقتضيه الحال وتتطلبه المرحلة، فعرضت أهم الأدوار التي مرت بها السنة النبوية، إلى أن انتهى الأمر بتدوينها وحفظها في كتب خاصة، ملخصاً ذلك في ثلاثة أدوار رئيسة، جاءت في ثلاثة مباحث²:

¹ البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، 3557، (4/ 189).

² هنالك تفصيل أكثر في الأدوار التي مرت بها السنة ليس المجال لذكرها في بحثي ومن أهم الكتب التي تناولت الأدوار التي مرت بها السنة كتاب الحديث والمحدثون للشيخ محمد أبو زهو وجعل الأدوار التي مرت بها السنة سبعة أدوار حتى عصرنا الحديث: انظر: أبو زهو، شهاب الدين محمد علي: الحديث والمحدثون، دار الفكر العربي، القاهرة، 1378هـ.

المبحث الأول

التلقي مشافهة عن رسول الله ﷺ

حَرِصَ الصحابة رضوان الله عليهم على التلقي من رسول الله ﷺ، وحفظوا عنه، ووعوا ما قال وما عمل، ونقلوا لنا ذلك بأمانة وعلم، وذلك لعلمهم بأهمية طاعة الله ورسوله ﷺ، فَفَقِهُوا آيَاتِ الله الأَمْرَةَ إِيَّاهُمْ بِطَاعَةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُمِينُ ﴾ [التغابن:12]، وعلموا قداسة قول رسول الله ﷺ، من قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: 3-4]، فاستشعروا المسؤولية الملقاة عليهم، وفهموا ثم أطاعوا رسول الله ﷺ في أقواله الكثيرة الحاضرة على وَعِي قَوْلِهِ وَاللِّتِمَامَ بِسُنَّتِهِ، قال رسول الله ﷺ يحض صحابته على تحمل وأداء قوله: "تَضَرَّ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ، قَرِيبٌ مُبْلَغٌ أَحْفَظُ مِنْ سَامِعٍ"¹.

وقد كان هذا التحمل مباشرة من فم النبي ﷺ إلى عقول وقلوب صحابته بعناية ورفق وحرص من النبي ﷺ على تعليم صحابته، فعن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنَّنًا، وَلَا مُتَعَنَّنًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُبْسِرًا"².

¹ ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ): سنن ابن ماجه، الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من بلغ علما، رقم 232، (1/ 85)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، وأبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ): سنن أبي داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، رقم 3660، (3/ 322)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، و الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): سنن الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم 2656، (5/ 34)، تحقيق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ، 1975م، واللفظ لابن ماجه، وقد صححه الترمذي وابن حبان والعراقي والهيثمي والأرناؤوط، انظر: ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُسْتِي (المتوفى: 354هـ): صحيح ابن حبان، (1/ 268)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408هـ، والعراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: 806هـ): تخريج أحاديث الإحياء، المغني عن حمل الأسفار، ص1317، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ، والهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (1/ 137)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ.

² مسلم: صحيح مسلم، كتاب الطلاق، بَابُ بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ أَمْرَاتِهِ لَا يَكُونُ طَلَاقًا إِلَّا بِالنِّيَّةِ، 1478، (2/ 1104)

ومن حرص النبي ﷺ على تعليم صحابته أنه كان "إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا، حَتَّى نُفْهِمَ عَنْهُ"¹، وقد قالت عائشة رضي الله عنها تصف حديث رسول الله ﷺ: "إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا، لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَخْصَاهُ"².

وقد أمر النبي ﷺ صحابته أمراً مباشراً وواضحاً في التبليغ عنه، ونهاهم عن الكذب عليه، فقال ﷺ: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُنْعَمًا، فَلْيَبْتَوِّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"³.

ومع أن هذا الحديث كان دافعاً لكثير من الصحابة للرواية عن رسول الله ﷺ، فقد كان أيضاً سبباً في إمساك بعضهم عنها، للوعيد الشديد في هذا الحديث لمن يكذب على رسول الله ﷺ، وخوفهم من النسيان والخطأ، فكان عمر رضي الله عنه شديداً على من أكثر الرواية، أو أتى بخبر في حكم لا شاهد له عليه، وكان يأمرهم بأن يقللوا الرواية عن رسول الله ﷺ.

وقد علل ذلك ابن قتيبة: بأن لا يتسع الناس فيها، ويدخلها الشوب، ويقع الخلط والكذب من المناق والفاجر والأعرابي، وهذا أيضاً رأي كثير من جلة الصحابة، وأهل الخاصة برسول الله ﷺ كأبي بكر، والزبير، وأبي عبيدة، والعباس بن عبد المطلب، فكانوا يقلون الرواية عنه، بل كان بعضهم لا يكاد يروي شيئاً كسعید بن زيد بن عمرو بن نفيل، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة⁴.

ويظهر حرص الصحابة رضوان الله عليهم على حديث رسول الله ﷺ، من حرصهم على ملازمته خوفاً من أن يفوتهم شيء من حديثه على تفاوت بينهم في ذلك، بحسب ظروف معيشتهم، فهذا أبو هريرة رضي الله عنه يقول: "إِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ صَفْقٌ بِالْأَسْوَاقِ، وَكُنْتُ أَلْزِمُ رَسُولَ

¹ البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، رقم 95، (30/1)، والظاهر أن النبي ﷺ كان يعيد الكلام إذا كان هنالك حاجة، ولم يكن ذلك دائماً في كل حديثه.

² البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، 3567، (4/190)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، 2493، (4/2298)،

³ البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم 3461، (4/170).

⁴ أنظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ): تأويل مختلف الحديث، ص90، المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراف، ط2، 1419هـ، 1999م.

اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَكَانَ يَشْغَلُ إِخْوَتِي مِنَ الْأَنْصَارِ عَمَلُ
أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ أَمْرًا مَسْكِينًا مِنْ مَسَاكِينِ الصُّقَّةِ، أَعْيِي حِينَ يَنْسُونَ¹.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يتناوب مع جاره الأنصاري، حتى لا يفوتهما شيء من حديث
رسول الله ﷺ، قال ﷺ: "كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي
الْمَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَّوَابُ التُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلَتْ جِنَّتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ
الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَّ مِثْلَ ذَلِكَ"².

ولم يكتفِ الصحابة رضوان الله عليهم بالسماع من النبي ﷺ، فكانوا يتذاكرون العلم
والحديث فيما بينهم حتى يحفظوه ولا ينسوه، فعن أنس بن مالك ﷺ، قَالَ: "كُنَّا نَكُونُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ
فَنَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ، فَإِذَا قُمْنَا تَذَاكُرْنَاهُ فِيمَا بَيْنَنَا حَتَّى نَحْفَظَهُ"³.

¹ البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى: {فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا
من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو
ومن التجارة والله خير الرازقين} [الجمعة: 11]، وقوله: {لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم}
[النساء: 29]، رقم 2047، (52/3).

² البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، رقم 89، (29/1).

³ الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ): الجامع لأخلاق الراوي
وآداب السامع، (1/236)، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض.

المبحث الثاني

تدوين الأحاديث في الصحف الحديثية

بعث الله النبي الأمي¹ محمداً ﷺ إلى أمة أمية، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:2]، وقال رسول الله ﷺ: "إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ"².

ولا يعني هذا الكلام أن الأمية مطلب شرعي أو أن الكتابة لم تكن معروفة في زمن النبي ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَيْسَ هُوَ طَلَبًا فَإِنَّهُمْ أُمِّيُونَ قَبْلَ الشَّرِيعَةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [الجمعة:2]، وقال: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران:20]، فإذا كانت هذه صفة ثابتة لهم قبل المبعث، لم يكونوا مأمورين بابتدائها"³.

وقد كان في تلك الأمة وفي ذلك الزمن من يقرأ ويكتب، ولا أوضح في الدلالة على ذلك من الصحابة رضوان الله عليهم الذين انتدبهم النبي ﷺ لكتابة الوحي، فلازموه وكتبوا عنه كل ما نزل من كتاب الله تعالى، وقد عدَّهم ابن كثير رحمه الله تعالى ثلاثة وعشرين صحابياً، منهم الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم أجمعين⁴، وكان كتابة الوحي يأتمرون بأمر النبي ﷺ الذي يخبرهم عن الآية إذا نزلت أن يكتبوها في موضع كذا وكذا من السور التي كتبت من قبل⁵.

¹ والأُمِّيُّ من لا يكتب ولا يقرأ كتاباً، انظر: المحلي والسيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ): تفسير الجلالين، ص741، دار الحديث، القاهرة.

² البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا نكتب ولا نحسب"، رقم 1913، (3/28) ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، والفطر لرؤية الهلال، وأنه إذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يوماً، رقم 1080، (2/761).

³ ابن تيمية، نقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ): مجموع الفتاوى، (25/166)، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ-1995م.

⁴ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): ابن كثير: البداية والنهاية، (8/321)، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ-1997م.

⁵ أنظر: أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): المسند، (1/460)، شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ.

وقد حضَّ النبي ﷺ على الكتابة عنه في بعض الأحيان، وذلك بقوله: لعبد الله بن عمرو حينما نهاه الناس عن الكتابة: "اَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرَجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ"¹.

فتدوين السنة بمعنى كتابة الأحاديث على الصحف والأحجار والسعف والجلود، بدأ في زمن النبي محمد ﷺ، وقد اشتهرت بعض هذه الصحف، وروى منها أئمة هذا الشأن أحاديث كثيرة مثل أصحاب الكتب السنة وغيرهم، ومنها:

1- الصحيفة الصادقة التي كتبها عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وهي من أشهر الصحف التي كُتبت في العصر النبوي، ويكفي قول أبي هريرة ؓ في ثبوتها: "مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ"²، وقد أخرج الإمام أحمد أكثر أحاديث هذه الصحيفة في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، والبالغ عددها خمسمائة وستة وثلاثين حديثاً³.

2- صحيفة علي بن أبي طالب ؓ وهي مشتهرة عنه كثيراً، وكان يعتزُّ بها، ومن حرصه عليها كان يعلقها بسيفه لتصحبه دوماً، فقد روى البخاري ومسلم أن علياً بن أبي طالب ؓ خطب "على منبر من آجر"⁴ وعليه سيف فيه صحيفة معلقة، فقال: والله ما عندنا من كتاب يُقرأ إلا كتاب الله، وما في هذه الصحيفة فنشرها..⁵

¹ أبو داود: سنن أبي داود، كتاب العلم، باب في كتاب العلم، رقم 3646، (3/ 318)، وقد أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد وصححه الذهبي والعراقي والألباني وشعيب الأرنؤوط، انظر: الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ): المستدرک علی الصحیحین للحاکم، (1/ 187)، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، والعراقي: تخريج أحاديث الإحياء، المعني عن حمل الأسفار، (ص: 851)، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ): سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (4/ 45)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، مكتبة المعارف، ط1، تعليق الأرنؤوط، المسند، (11/ 58)، و سوف يأتي تفصيل هذه المسألة في الفصل الرابع بإذن الله تعالى.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، رقم 113 (1/ 34).

³ أحمد، المسند، ط الرسالة، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، (11/ 7-672).

⁴ منبر من آجر بالمدّ وضَمَّ الجيم هو الطوب المشوي، انظر: ابن حجر، فتح الباري، (13/ 278).

⁵ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع، رقم 7300، (9/ 97)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب العتق، باب تحريم تولي العتيق غير موليّه، رقم 1370، (2/ 998).

وقد سأل أبو جحفة¹ علي بن أبي طالب عليه السلام: "هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ وقال مرة: ما ليس عند الناس؟ فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهما يُعطى رجل في كتابه، وما في الصحيفة قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل²، وفكك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر³".

3- صحيفة سعد بن عبادة عليه السلام، وقد ذكرها الإمام الترمذي في سننه، "قال قيس بن سعد بن عبادة⁴ قال: وجدنا في كتاب سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد⁵، وكان سعد عليه السلام يحسن الكتابة في الجاهلية، قال ابن حجر: "كان سعد في الجاهلية يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي⁶".

4- صحيفة جابر بن عبد الله عليه السلام ذكر الذهبي⁷ هذه الصحيفة فقال: "وله منسك صغير في

¹ وهب بن عبد الله بن مسلم بن جنادة السوائي، أبو جحيفة صحابي، توفي النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبلغ الحلم، وسكن الكوفة وولي بيت المال والشرطة لعلي، فكان يدعوه "وهب الخير" ومات في ولاية بشر بن مروان على العراق سنة 64هـ، انظر: ابن الأثير: أسد الغابة، (428/5)، والزركلي: الأعلام، (125/8).

² العقل أي الدية وإنما سميت به لأنهم كانوا يعطون فيها الإبل، ويربطونها ببناء دار المقتول بالعقال، وهو الحبل، ووقع في رواية ابن ماجه بدل العقل الديات، والمراد أحكامها ومقاديرها وأصنافه، انظر: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني الشافعي (المتوفى: 852هـ): فتح الباري، (1/205)، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الديات، باب العاقلة، حديث رقم 6903، (11/9).

⁴ هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج الخزرجي كنيته أبو القاسم خدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين من وقت قدومه المدينة إلى أن قبض، كان ذكيا من دهاة العرب من اهل العلم والرواية، وقد قيل مات في آخر ولاية معاوية بن أبي سفيان، انظر: ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: 354هـ): الثقات، (3/339)، المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط1، 1393هـ. والقرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري (المتوفى: 463هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (3/1293)، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار الحبل، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م.

⁵ الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الأحكام، باب ما جاء في اليمين مع الشاهد، رقم 1343، (3/619).

⁶ ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (المتوفى: 852هـ): تهذيب التهذيب، (3/475)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ.

⁷ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (المتوفى: 748هـ): تذكرة الحفاظ، (1/36)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ-1998م.

5- الحج أخرجه مسلم¹، وكان التابعي الجليل قتادة بن دعامة السدوسي² يقول: "لأننا بصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ مني بسورة البقرة"³.

6- صحيفة عبد الله بن أبي أوفى⁴، وإن لم تذكر بنصها أنها صحيفة، ولكن ورد ما يدل عليها في عدة مواضع من صحيح البخاري أن عبد الله بن أبي أوفى كان يكتب ويروي مما يكتب فقد، روى البخاري: أن عبد الله بن أبي أوفى، كتب "إن رسول الله ﷺ قال: إذا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا"⁵، وأورد أيضاً "عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله⁶ - وكان كاتبه- قال: كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: "وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلِّ السُّيُوفِ"⁷.

وقد ورد أمر هذه الكتابة في موضعين آخرين من صحيح البخاري⁸.

¹ أنظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، (2/ 840-1006)، وقد أخرج الإمام مسلم في كتاب الحج ثلاثة وثلاثين حديثاً عن جابر ﷺ.

² هو قتادة بن دعامة بن عزيز، وقيل غير ذلك في نسبه، أبو الخطاب السدوسي البصري الأعمى الحافظ، أحد الأئمة الأعلام، ثقة ثبت رأس الطبقة الرابعة، توفي سنة 120هـ وقيل غير ذلك، انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (المتوفى: 748هـ): تاريخ الإسلام، (3/ 301)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م، وابن حجر: تقريب التهذيب، ص453.

³ الجوهري، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (المتوفى: 230هـ): مسند ابن الجعد، (ص: 159)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط1، 1410هـ، 1990م، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ): التاريخ الكبير، (7/ 186)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.

⁴ عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي واسم أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث بن أسد بن رفاعة بن ثعلبة، صلى النبي ﷺ عليهم قال اللهم صل على آل أبي أوفى، شهد مع النبي ﷺ معركة حنين وأصيب بها، مات بعد ما عمى بالكوفة سنة 87هـ، انظر: ابن حبان: الثقات، (3/ 222)، والقرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (3/ 871).

⁵ البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الصبر على القتال، رقم 2833، (4/ 25).

⁶ هو سالم بن أبي أمية أبو النضر مولى عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي القرشي من أهل المدينة، وهو ثقة ثبت كان يرسل مات سنة 129هـ، انظر: ابن حبان: الثقات، (6/ 407)، وابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (المتوفى: 852هـ): تقريب التهذيب، (ص: 226)، ت: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط1، 1406هـ-1986م.

⁷ البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: الجنة تحت بارقة السيف، رقم 2818، (4/ 22).

⁸ البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، رقم 2965، (4/ 51)، وباب: لا تمنوا لقاء العدو، رقم 3024، (4/ 63).

هذه بعض الصحف الحديثية التي كُتبت في العهد النبوي، أضف إلى ذلك الكتب الكثيرة والمشتهرة التي كان النبي ﷺ يكتبها إلى الملوك والقبائل، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: "أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى"¹.

وكذلك كُتِبَ العهود والمواثيق، وأشهر هذه الكتب، صلح الحديبية بين النبي ﷺ وكفار قريش، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: "لَمَّا صَلَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ، كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَيْنَهُمْ كِتَابًا"²، وقد حوى هذا الكتاب بنود ذلك الصلح كما أوردتها كتب السيرة³، ثم الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ عندما قدم إلى المدينة المنورة⁴، فهذه الكتب تدل دلالة واضحة على كتابة الحديث في العهد النبوي، ولكن الاعتماد كان على الحفظ والرواية لا على الكتابة والتحديث من الكتاب.

¹ مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار يدعواهم إلى الله عز وجل، رقم، 1774، (3/1397).

² البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلح، كيف يكتب هذا: ما صالح فلان بن فلان، وفلان بن فلان، وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه، رقم 2698، (3/184)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، رقم 1783، (3/1409).

³ ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ): سيرة ابن هشام، (2/317)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة

⁴ المرجع السابق: (2/107).

المبحث الثالث

تدوين الحديث في كتب مستقلة

لم يختلف منهج كبار التابعين عن منهج صحابة رسول الله ﷺ من تحمل حديث رسول الله ﷺ ثم الرواية والأداء من المحفوظ الذهني، وعدم تفضيل الكتابة وتدوين الأحاديث، إلا ما كان من جهد شخصي في الكتابة، وصحف حديثية نُقلت عن الصحابة رضوان الله عليهم، أو كُتبت عنهم مثل الصحيفة المشهورة عن همام بن منبه¹ التي كتبها عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد أخرج الإمام أحمد أحاديث هذه الصحيفة في مسنده²، وروى البخاري ومسلم أجزاء منها في صحيحيهما، ولذلك سميت هذه الصحيفة بالصحيفة الصحيحة، لثبوتها وشيوعها وتناقلها بين الرواة، وقد عثر عليها الباحث المحقق الهندي الدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادي في مخطوطتين متماثلتين في دمشق وبرلين³، وقد طبعت الطبعة الأولى سنة 1407هـ، وعدد أحاديثها 138 حديثاً⁴.

واستمر الحال في رواية الحديث بالسند الذي عُرف رجاله، واعتمدوا في بادئ الأمر على قاعدة من أسند فقد أحال، قال الإمام ابن عبد البر: "وقالت طائفة من أصحابنا مراسيل الثقات أولى من المسندات، واعتلوا بأن من أسند لك فقد أحالك على البحث عن أحوال من سماه لك، ومن أرسل من الأئمة حديثاً مع علمه ودينه وثقته فقد قطع لك على صحته وكفاك النظر"⁵.

¹ هو همام بن منبه بن كامل بن سيج أخو وهب بن منبه، أبو عتبة، من أبناء فارس يروي عن أبي هريرة روى عنه معمر بن راشد، ثقة من الرابعة، توفي سنة 131هـ، وقيل سنة 132هـ، انظر: ابن حبان: الثقات، (5/ 510)، ابن حجر: تقريب التهذيب، ص 574.

² أنظر: أحمد: المسند، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (9/ 12)، (16/ 580).

³ الصالح، صبحي إبراهيم (المتوفى: 1407هـ): علوم الحديث ومصطلحه، (1/ 32)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 15، 1984 م.

⁴ انظر: ابن منبه، أبو عقبة همام بن منبه بن كامل بن سيج اليماني (المتوفى: 131هـ): صحيفة همام بن منبه، تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ط 1، 1407هـ.

⁵ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ): التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (1/ 3)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

ثم اتسعت الدولة الإسلامية ودخل الناس في دين الله أفواجاً من الملل والنحل المختلفة، وظهرت الفتن والمحن والبدع ومات أكثر الصحابة رضوان الله عليهم، ودعت الحاجة إلى تدوين السنة، فانبرى لذلك خامس الخلفاء الراشدين¹، عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وطلب من المحدثين تدوين الحديث طلباً رسمياً، دعا إليه الخليفة وتبنته الدولة، قال ابن حجر: "فلما خاف عمر بن عبد العزيز، وكان على رأس المائة الأولى من ذهاب العلم بموت العلماء، رأى أن في تدوينه ضبطاً له وإبقاءً"²، وكان هذا الطلب على نوعين:

1- طلب خاص من كبار العلماء، ومن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه "كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ³: انظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاكْتُبْهُ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ، وَلَا تَقْبَلُ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ: وَلِنَفْسُوا الْعِلْمَ، وَتَتَجَلَسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا"⁴، وقد بين ذلك أيضاً الإمام ابن شهاب الزهري⁵ حيث قال: "أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفترًا دفترًا، فبعث إلى كل أرضٍ له عليها سلطان دفترًا"⁶.

¹ انظر: ابن حجر: تقريب التهذيب، (ص: 415).

² ابن حجر: فتح الباري، (1/ 195-194).

³ هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري النجاري المدني، قاضي المدينة وأميرها وكان أعلم زمانه بالقضاء، ثقة من كبار الخامسة وثقه ابن معين ومالك وغيرها، توفي سنة 120هـ، وقيل غير ذلك، انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، (3/ 344)، ابن حجر: تقريب التهذيب، ص624.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم، معلقاً، (1/ 31).

⁵ محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر ولد سنة 58هـ، أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعي، من أهل المدينة كان يحفظ ألفين ومئتي حديث، نصفها مسند، نزل الشام واستقر بها، قال ابن الجزري: مات بشَّعْب، آخر حدِّ الحجاز وأول حد فلسطين سنة 124هـ، أنظر: ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (المتوفى: 571هـ): تاريخ دمشق، (55/ 294)، ت: عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ-1995م، والزركلي، الأعلام، (7/ 97).

⁶ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ): جامع بيان العلم وفضله، (1/ 331)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ-1994م.

2- طلب عام إلى جميع العلماء في مختلف الأمصار والأقطار، روى أبو نعيم قال: "كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْأَفَاقِ: انظُرُوا حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاجْمَعُوهُ وَاحْفَظُوهُ؛ فَإِنِّي أَخَافُ ذُرُوسَ الْعِلْمِ، وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ"¹.

ولمّا كان أمرُ الخليفة عمر بن عبد العزيز موجهاً لأهل العلم، وكان الهدف منه حفظ حديث رسول الله ﷺ، سارع العلماء بالاستجابة لهذا الأمر، وبدؤوا بتدوين محفوظهم وجمع ما لم يحفظوا ليدونوه، وكان من أول من استجاب لهذا الأمر، الإمام العلم المحدث الموسوعة ابن شهاب الزهري قال رحمه الله: "لم يدون هذا العلم أحد قبل تدويني"²، قال الإمام مالك: "أول من دون العلم ابن شهاب"³.

وقد كان الاعتماد على الإمام الزهري أكثر من غيره لأنه كان حافظة موسوعية حوت ذاكرته كثيراً من السنة، ثم لإقامته في بداية الطلب في المدينة ثم تحوله إلى الشام وهذا مكنه من لقاء الكثير من الرواة والأخذ عنهم⁴.

ثم توالى حركة التأليف بعد ذلك في الدولة الإسلامية في مختلف الأمصار قال الإمام الترمذي: "وجدنا غير واحد من الأئمة تكلفوا من التصنيف ما لم يسبقوا إليه منهم هشام بن

¹ أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ): تاريخ أصبهان، (1/366)، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ-1990م.

² الجعبري، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل (المتوفى: 732 هـ): رسوخ الأخبار في منسوخ الأخبار، (ص: 89)، ت: الدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1409هـ-1988م.

³ الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (المتوفى: 430هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (3/363)، السعادة، بجوار محافظة مصر، 1394هـ.

⁴ ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، (1/321)، وابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): شرح علل الترمذي، (1/113)، ت: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة: الأولى، 1407هـ-1987م.

حسان¹، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ جَرِيحٍ²، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ³، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ. وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ صَنَفُوا فَجَعَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مَنَفَعَةً كَثِيرَةً⁴.

فأخرجت لنا المكتبة الإسلامية كتب الحديث المستقلة، ونشط علماء الحديث في تدوينه، ومن أوائل الكتب التي كُتبت، وقد وصلتنا كاملة كتاب الموطأ للإمام مالك، ثم المصنفات والمسانيد وعلى رأسها مسند الإمام أحمد، وكتب الصحيح وعلى رأسها صحيح البخاري ومسلم ثم كتب السنن وأشهرها السنن الأربعة⁵.

حظيت كتب السنة بعناية كبيرة فتلقاها طلبة الحديث عن الأئمة بالعشرات، ولا زالت تُروى بالأسانيد حتى يومنا هذا، حتى تواترت واستفاضت واشتهرت بنسبتها إلى أصحابها بما لا ينكره من له أدنى دراية بالعلم والتاريخ، فهناك كتب اشتهرت عن أصحابها ومؤلفيها ولم تظفر بالعناية التي حظيت بها كتب السنة، ومع ذلك فلا يشكك أحد بنسبتها إلى كاتبها، وهناك أحداث وشخصيات في التاريخ عُرفوا ونقلت أخبارهم إلينا جيلاً بعد جيل، فقطعنا بوجودهم وروينا تلك الأحداث مُسلمين بها، لذلك لا نكاد نرى من يشكك في نسبة كتب السنة إلى كاتبها، فاتجهت سهام النقد إلى مرحلة ما قبل التدوين، فرميت بشبه عديدة كان من أهمها اتهام علماء الحديث بتدوين السنة تحت تأثير السلطة السياسية.

هذه نظرة سريعة وموجزة حول هذه المرحلة، وقد تناول الباحثون والكتّاب في القديم والحديث مبحث تدوين السنة والطرق المتبعة في ذلك، وتقسيم وتصنيف الكتب التي كتبت في

¹ هو هشام بن حسان. أبو عبد الله الأزدي القردوسي، مولاها، البصري، وقد كان من المكثرين لرواية الحديث، توفي سنة 147هـ، انظر: ابن حبان، الثقات، (7/ 566)، والذهبي: تاريخ الإسلام، (3/ 999).

² هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح ويكنى بابي الوليد، كان أحد أوعية العلم، وهو أول من صنف التصانيف في الحديث، توفي سنة 141هـ، انظر: ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (المتوفى: 327هـ): الجرح والتعديل، الجرح والتعديل، (5/ 356)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1271هـ، الذهبي: تاريخ الإسلام، (3/ 919).

³ هو سعيد بن أبي عروبة واسم أبي عروبة مهران كنيته أبو النصر، كان من أوائل من صنف بالعلم في البصرة، وهو ثقة مأمون قبل أن يختلط، توفي سنة 151هـ، ابن حبان: الثقات، (6/ 360)، الذهبي: تاريخ الإسلام، (4/ 61).

⁴ الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): العلل الصغير، (ص: 738)، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

⁵ أنظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث، ص30، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية.

القرن الثاني والثالث حسب الموضوعات والمسانيد¹، وقد أُشبع هذا الموضوع بحثاً والمهم في هذا البحث معرفة الظروف السياسية التي صاحبت حركة التدوين، هذا ما سأتناوله في الفصول اللاحقة بإذن الله تعالى.

1 مثل كتاب تقييد العلم وشرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي، تدوين السنة لمناظر أحسن الكيلاني، وتدوين السنة لعبد المنعم السيد نجم، السنة قبل التدوين محمد عجاج الخطيب وغيرها.

الفصل الثاني

الفرق السياسية في عصر التدوين ومنهجها في رواية الحديث

مع اتساع الدولة الإسلامية ودخول غير العرب الإسلام واتصال المسلمين بالأمم والثقافات الأخرى، ودخول أقوام في الإسلام لهم مطامع في الحكم والرياسة، مثل منافقي العرب، أو من لهم مطامع في تفويض الحكم الإسلامي من الداخل، لأنه أنهى حكمهم وقوض حضارتهم مثل زنادقة الفرس، كل ذلك شكّل أرضاً خصبة لظهور الفرق السياسية، وكان من أهم دوافع ظهور هذه الفرق الدافع السياسي، لأن الأمم ما زالت تتنافس على الحكم والرياسة وحب الصدارة، فتمايزت هذه الفرق واستقلت بأفكارها ورجالها عن مجموع الأمة، إذ بدأ الخلاف سياسياً، ثم أصبح عقدياً.

وفي هذا الفصل بإذن الله سوف أستعرض الفرق السياسية التي ظهرت في صدر الإسلام، وهم: الخوارج والشيعة والنواصب، وأبيّن منهجهم في التعامل مع الحديث النبوي من خلال ثلاثة مباحث.

المبحث الأول

الخوارج ومنهجهم في رواية الحديث

كانت فرقة الخوارج أول فرقة سياسية ظهرت في الإسلام، خرجت على الأمة الإسلامية وتميزت بأفكارها ومعتقداتها وتوجهها الفكري والسياسي، وفي هذا المبحث سوف أعرض نبذة مختصرة عن هذه الفرقة ثم أبين منهجهم في التعامل مع الرواية الحديثية من خلال مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالخوارج

أولاً: معني الخوارج:

الخوارج لغة: من خَرَجَ، والخروج: نقيض الدخول، خرج يخرج خروجاً ومخرجاً، فهو خارج، والخارجية: طائفة منهم، لزمهم هذا الاسم لخروجهم عن الناس، والخوارج قوم من أهل الأهواء¹.
أما في الاصطلاح فلهم تعريف عام وخاص:

أما العام فهو ما عرفهم به الشهرستاني حيث قال: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان"².

وأما الخاص: فهم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب عليه السلام، قال أبو الحسن الأشعري: "قسموا خوارج لأنهم خرجوا على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه"³.

ومن ألقابهم: "الحرورية، الشراة، المارقة، المحكّمة"، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها، إلا بالمارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية، والسبب الذي له سموا

¹ أنظر: ابن منظور: لسان العرب، (249/2-251) والزيبي: تاج العروس، (517/5).

² الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (المتوفى: 548هـ): الملل والنحل، (114/1)، مؤسسة الحلبي.

³ الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم (المتوفى: 324هـ): مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص5، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن، ألمانيا، ط3، 1400هـ.

خارج خروجهم على علي بن أبي طالب عليه السلام، والذي له سما محكّمة إنكارهم الحكمين، وقولهم: لا حكم إلا لله، والذي سما له حرورية نزولهم بحروراء¹ في أول أمرهم، والذي له سما شراة قولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة².

ثانياً: نشأة الخوارج

اختلف العلماء في زمن ظهور الخوارج وأظهرها ثلاثة أقوال:

الأول: يرى جمع من العلماء ومنهم ابن الجوزي والشهرستاني وابن حزم³ أن أول ظهور الخوارج في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن الجوزي رحمه الله: "أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخوبصرة"⁴ الذي اعترض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له اعدل يا رسول الله قال: "وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ، لَقَدْ خَبِتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ"، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: "مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنْ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَفْرَعُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِرُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ"⁶.

¹ قرية من ناحية الكوفة ينسب إليها الحرورية طائفة من الخوارج، انظر: الهمداني، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي (المتوفى: 584هـ): الأماكن ما اتفق لفظه واقترب مسماه، ص332، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1415هـ.

² انظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص127/128.

³ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري (المتوفى: 456هـ): الفصل في الملل والأهواء والنحل، (4/121)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

⁴ حرقوص بن زهير بن السعدي، الملقب بذئ الخوبصرة، من بني تميم، خاصم الزبير فأمر النبي صلى الله عليه وسلم باستيفاء حقه منه، وبقي حرقوص إلى أيام علي، وشهد معه صفين، ثم صار من الخوارج، وقتل مع الخوارج سنة 37هـ، انظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (المتوفى: 630هـ)، أسد الغابة، (1/714)، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1 1415هـ-1994م، وابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (المتوفى: 852هـ): الإصابة في تمييز الصحابة، (2/44)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.

⁵ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ): تلبيس إبليس، ص81، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ.

⁶ البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم 3610، (4/200)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم 148، (2/744).

وقال الشهرستاني: "وهم الذين أولهم ذو الخويرة، وآخرهم ذو النديّة"¹.

الثاني: إنَّ أول ظهور الخوارج في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث خرجوا عليه، وانتهى المطاف بقتله رضي الله عنه على أيديهم، قال محمد بن أبي العز الحنفي: "وكان في عسكر عليّ رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج، الذين قتلوا عثمان"³ فقد سمى صراحة الذين قتلوا عثمان بالخوارج، لأنهم خرجوا على الإمام الحق، وقد وصف الإمام ابن كثير الظلمة الذين تعدوا على عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى انتهى بهم الأمر بقتله بالخوارج، وذلك أكثر من مرة⁴ في معرض كلامه عن فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومن ذلك قوله: "وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال، وكان فيه شيء كثير جدا"⁵.

الثالث: إنَّ أول ظهور للخوارج في زمن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عندما رفضوا التحكيم، وكفروا علياً ومعاوية والحكمين، ثم كفروا من رضي بالتحكيم، ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى: أن بداية ظهور الخوارج سنة سبع وثلاثين للهجرة حيث اتفق الحكمان أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص، وأخذا من عليّ ومعاوية رضي الله عنهما ومن الجنديين من العهود والمواثيق على أنهما آمان على أنفسهما وأهلها، والأمة لهما أنصار على الذي يتفاضيان عليه ويتفقان، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه أنهم على ما في هذه الصحيفة، وأجلاً القضاء إلى رمضان، وكتب في يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر، سنة سبع وثلاثين⁶، فحمل الأشعث بن قيس⁷

¹ حرقوص العنبري، له إدراك، وشهد فتح تستر مع أبي موسى الأشعري، وهو غير حرقوص بن زهير السعدي، وجزم ابن أبي داود بعد تخريج قصته بأنه ذو النديّة، وقد قيل في ذي النديّة إنه ذو الخويرة، انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، (145/2).

² ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (116/1).

³ ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد الأندري الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ): شرح الطحاوية: ص483، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة، ط1، 1426هـ.

⁴ ابن كثير: البداية والنهاية، (10/270، 281، 294، 298).

⁵ المرجع السابق: (10/316).

⁶ المرجع السابق: (10/556).

⁷ الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الكندي، وكان شريفاً مطاعاً جواداً شجاعاً، وله صحبة، ارتدّ زمن الردّة، ثم أسلم وتزوج أخت أبي بكر بالمدينة، وكان هاجر في أول الإسلام من اليمن في ثمانين رجلاً، سكن الكوفة وشهد صفين وكان سيّداً في قومه، سمي الأشعث لشعثة رأسه توفي سنة 40هـ، وله ثلاث وستون سنة، أنظر: ابن حبان: الثقات، (3/13)، وابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي أبو الفلاح (المتوفى: 1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (1/221)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط1، 1406هـ.

الكتاب يقرأه على الناس، فمر على ملاً من بني تميم، فقرأ عليهم الكتاب، فقام إليه عروة بن حدير¹ وقال: أُنحَكَمون في دين الله الرجال؟ ثم ضرب بسيفه عجز دابة الأشعث، فغضب الأشعث وقومه، وقد أخذ هذه الكلمة من هذا الرجل طوائف من أصحاب عليّ من القراء وقالوا: إن الحُكْمَ إلاّ الله، فسموا المحكّمة، وتفرق الناس إلى بلادهم من صفين، فرجع عليّ ﷺ إلى الكوفة على طريق هيت²، ورجع معاوية إلى الشام بأصحابه، ولمّا كان عليّ قد قرب من دخول الكوفة انخزل من جيشه قريب من اثني عشر ألفاً وهم الخوارج³، وكان هذا أول ظهور أمر الخوارج، وبذلك قال جمع من العلماء منهم الأشعري⁴ وعبد القادر البغدادي⁵ وأبو الحسين المَلْطِي⁶.

وهذا هو الأرجح للأسباب الآتية:

1- بعد هذه الحادثة انحسر الخوارج عن جيش عليّ بن أبي طالب، وجيش معاوية بن أبي سفيان، وأصبحوا جماعة وحدهم، وهذا لم يكن من قبل، لا في عهد النبي ﷺ، ولا في عهد الخلفاء أبي بكر وعمر، وحتى عهد عثمان رضي الله عنهم، وكان أولئك القوم مع عموم المسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكان شيطان الخوارج مقموماً لمّا كان المسلمون مجتمعين في عهد الخلفاء الثلاثة، أبي بكر وعمر وعثمان، فلمّا افتقرت الأمة في خلافة عليّ ﷺ، وجد شيطان الخوارج موضع الخروج، فخرجوا وكفّروا عليّاً ومعاوية ومن والاهما"⁷.

¹ عروة بن حدير التميمي بن أديّة، وأديّة أمه، من رجال النهروان، أول من قال: "لا حكم إلاّ الله" وسيفه أول ما سلّ من سيوف أباة التحكيم، توفي سنة 37هـ، انظر: الزركلي: الأعلام، (4/226).

² مدينه مذكورة في العراق، وهي على شاطئ الفرات، والهيئة: الهوة، وسمّيت هيت لأنّها في هوة، وهي مدينة عراقية تقع إلى الشمال من مدينة الرمادي، وعدد سكانها 75 ألف نسمة، انظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (المتوفى: 487هـ): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (4/1357)، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ.

³ ابن كثير: البداية والنهاية، (10/561) بتصرف.

⁴ الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص128.

⁵ البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي الأسفراييني (المتوفى: 429هـ): الفرق بين الفرق، ص57، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1977م.

⁶ المَلْطِي، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين العسقلاني (المتوفى: 377هـ): التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص47، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.

⁷ ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (19/89).

2- في حديث النبي ﷺ مع ذي الخويصرة، قال بعد وصف الخوارج: "وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ"¹، أي أن هذا رجل لا يمثل جماعة، ولكن سوف يخرج من نسله جماعة مستقلة، وقد كان ذلك بعد التحكيم، والصحابة رضوان الله عليهم استدلوا بحديث النبي ﷺ على قتل هذه الفئة من الناس، فهم المقصودون بهذه الأحاديث، أما عثمان بن عفان فلم يستدل بأحاديث الخوارج، ولم يقتل من خرج عليه، فالذين خرجوا على عثمان بالمفهوم الخاص ليسوا من الخوارج، وإن كانوا بالمفهوم العام كذلك.

3- بعد هذه الحادثة بدأت تظهر أفكار دخيلة على الأمة الإسلامية على أيديهم، وتميزوا عن الأمة في أقوالهم واعتقادهم.

وتميز الخوارج بمذهبهم، وكانوا أكثر تعصباً بعد المناظرة التي قام بها ابن عباس رضي الله عنهما لهم، فرجع على إثرها أربعة آلاف² منهم ممن كان في قلبه خير، وهم الثلث، وبقي الثلثان منهم ممن لا يقبل حقاً ولا يُقيم لصحابة رسول الله ﷺ وزناً، شرار الخلق كما أخبر عنهم النبي ﷺ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية³.

لذلك ترجح لدي أن سبب نشأة الخوارج عائد إلى خروجهم على الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ بعد قضية التحكيم، ومخالفة علي ﷺ في سياسته واختياراته، وهذا سبب سياسي ظاهر في نشوء هذه الفرقة.

ثالثاً: أهم أفكار الخوارج

ظهر الخوارج بعد التحكيم، وتنوعت واختلقت فرقتهم بعد ذلك، فقد عُرف عنهم أنهم كانوا يختلفون ويتفرقون لأنته الأسباب، وذلك راجع لغلوهم وعدم إحسان الظن بالمخالف، فهم من كفر الصحابة ولم يحسنوا الظن بهم، فكيف يحسنون الظن بأنفسهم؟

¹ البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم 3610، (4/200).

² ابن كثير: البداية والنهاية، (10/568).

³ سبق تخريجه: ص 29.

وهذا هو منهج الغلاة إلى يوم الدين، وقد ذكر أبو الحسن الملطي منها عشر فرق¹، وأهم هذه الفرق "المحكمة، الأزارقة، النجدات، الإباضية، الصفرية".

لقد كانت السمة الأبرز للخوارج الشدة والغلظة على المخالفين مع قلة العلم، فسفكوا دماء المسلمين بغير حق، وأعملوا فيهم القتل، أما أهم عقائد الخوارج²:

- 1- أنهم قالوا بكفر عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وكل من رضي بالتحكيم.
- 2- جعلوا الكبائر كفراً بالله عز وجل، وأجمعوا على أنّ الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً، إلا النجدات أصحاب نجدة، الذين يقولون عن مرتكب الكبيرة كافر نعمة لا كافر دين.
- 3- يثبتون إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وينكرون إمامة عثمان رضي الله عنه في وقت الأحداث التي نُقم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة عليّ قبل أن يُحكّم.
- 4- يرون أن الإمامة في قريش وغيرهم، إذا كان القائم بها مستحقاً لذلك، ولا يرون إمامة الجائر.
- 5- يرون جواز الخروج على الإمام الجائر، وجواز قتله.

المطلب الثاني: منهج الخوارج في رواية الحديث

الخوارج فرقة سياسية في الأصل خرجت على أهل السنة والجماعة، ثم تميّزت عنهم في أفكارهم ومعتقداتهم وتعاملهم مع أصول الإسلام القرآن والسنة، وفي هذا المطلب سوف أبحث مدى تأثير هذه الفرقة على الرواية الحديثية قبل التدوين وأثناءه، وهل استعمل الخوارج الرواية الحديثية مطيّة لآرائهم السياسية، مثل غيرهم من الفرق أم كان حالهم مختلفاً؟

¹ الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص47.

² أكتفي بذكر أهم عقائدهم المتصلة بشكل مباشر مع بدعتهم السياسية، وخالف الخوارج أهل السنة في الأصول والفروع وهناك تفصيلات كثيرة في عقائدهم يُنظر إليها في كتب الاعتقاد وكتب المذاهب والفرق، انظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين، ص84-125، ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (2/90).

وسأجيب من خلال هذا المطلب على هذه الأسئلة، موضحاً منهج الخوارج في تعاملهم مع الرواية الحديثية كفرقة سياسية، خرجت على جماعة المسلمين لغرض سياسي وتوجه فكري ثم عقدي وذلك من خلال عدة مسائل:

المسألة الأولى: الإباضية

رغم أن الخوارج تميزوا بأفكار وعقائد خاصة وانشقوا عن مجموع الأمة، لم يظهر منهم علماء مختصون ومستقلون عن أهل السنة في علوم الدين كلها من فقه وتفسير وعقيدة وحديث، وانحصرت بدعتهم في جوانب محددة، ولم يُكتب لهم الاستمرار عبر التاريخ مثل فرق الشيعة، إلا ما كان من فرقة الإباضية التي تُنسب إلى مؤسسها عبد الله بن إباض التميمي، ويدّعي أصحابها أنهم ليسوا خوارجاً، وينفون عن أنفسهم هذه النسبة، والحقيقة أنهم ليسوا من غلاة الخوارج كالأزارقة مثلاً، لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة منها: أن عبد الله بن إباض يعتبر نفسه امتداداً للمُحكِّمة الأولى من الخوارج، كما يتفقون مع الخوارج في تعطيل الصفات والقول بخلق القرآن وتجويز الخروج على أئمة الجور¹.

ومن أبرز علمائهم:

1- عبد الله بن إباض من بني مرة بن عبيد بن تميم، المؤسس الأول، ويرجع نسبه إلى إباض، وهي قرية باليمامة، وعبد الله عاصر معاوية رضي الله عنه، وتوفي في أواخر أيام عبد الملك بن مروان سنة 86هـ².

2- يذكر الإباضية أن أبرز شخصياتهم جابر بن زيد، وهو جابر بن زيد أبو الشعثاء الأزديّ اليمامي، أصله من الجوف ناحية بعمان وكان ينزل البصرة، قال ابن حبان: كانت الإباضية تتحلله وكان هو يتبرأ من ذلك، يروى عن ابن عباس وابن عمر قال ابن عباس:

¹ انظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (1/ 58)، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1420هـ.

² ابن حجر: لسان الميزان، (4/ 418)، والزركلي: الأعلام، (4/ 61).

لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ نَزَلُوا عِنْدَ قَوْلِ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ لِأَوْسَعِهِمْ عِلْمًا فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَكَانَ فُقَيْهًا، مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ¹.

3- مسلم بن أبي كريمة التميمي البصري، أبو عبيدة: فقيه، من علماء الإباضية، يزعم الإباضية أنه أخذ المذهب عن جابر بن زيد، ثم صار مرجعاً فيه، وكان يحرض على الخروج، واشتهر بالفقاف، توفي سنة 145هـ²، ولم يكن معروفاً عند المتقدمين من علماء الرجال، بل حكم غير واحد منهم بجهالته³.

4- الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي: عالم بالحديث، إباضي، قيل إنه من أعيان المائة الثانية للهجرة، من أهل البصرة، له كتاب في الحديث، سمي الجامع الصحيح⁴.

ولكني لم أجد له ترجمة في كتب التراجم والرجال المتقدمة، ولم يذكره علماء الرجال حتى في كتب الضعفاء والمجاهيل.

المسألة الثانية: كتب الخوارج

لم يُكتب لكتب الخوارج البقاء، بل اندثرت مع اندثار معظم فرقهم، إلا ما كان من كتب الإباضية، وأهمها مسند اعتزوا به كثيراً، وأعلوا من شأنه، وأثبتوه في كتبهم، وهو مسند الربيع، وهو كتاب مطبوع ومتداول، جمعه أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني⁵.

¹ انظر: ابن حبان: الثقات، (4/ 102)، وابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (المتوفى: 852هـ): تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ، (2/ 38).

² الزركلي: الأعلام، (7/ 222)، ولعل أصل الترجمة من كتب الإباضية، لأن علماء الرجال حكموا بجهالته.

³ انظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ): الضعفاء والمتروكون، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ، (3/ 118). والذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (المتوفى: 748هـ): ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1382هـ، (4/ 106). وابن حجر: لسان الميزان، (6/ 32).

⁴ الزركلي: الأعلام، (3/ 14).

⁵ يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني، أبو يعقوب: عالم بأصول الفقه، إباضي، من أهل ورجلان وهي واد في المغرب الأقصى كانت فيه عمارة ينزلها الإباضيون وخریها يحيي بن إسحاق الميورقي سنة 626 هـ رحل في شبابه إلى الأندلس، وسكن قرطبة وهو الذي جمع مسند الربيع، توفي سنة 750هـ، انظر: الزركلي: الأعلام، (8/ 212).

قال عبد الله السالمي¹: "اعلم أن هذا المسند الشريف أصح كتب الحديث روايةً، وأعلاها سنداً، وجميع رجاله مشهورون بالعلم والورع والضبط والأمانة والعدالة والصيانة، كلهم أئمة في الدين وقادة للمهتدين، هذا حكم المتصل من أخباره، وأما المنقطع بإرسال أو بلاغ فإن له حكم الصحيح، لتثبت روايته، ولأنه ثبت وصله من طرق آخر لها حكم الصحة، فجميع ما تضمنه الكتاب صحيح باتفاق أهل الدعوة، فهو أصح الكتب بعد القرآن العزيز، ويليه في الرتبة الصحاح من كتب السنة"².

والقطع بصحة مسند الربيع دعوى ليس لها ما يساندها في الواقع العلمي، فلم يذكر علماء الاسلام ممن اهتموا بالرواية وأخبارهم، مسند الربيع فضلاً أن يترجموا لمؤلفه، رغم اهتمامهم وحرصهم على الكتب المتقدمة، بكتابتها وروايتها بالسند المتصل عن مؤلفيها، وتتبعهم حال الرواية والحكم على عدالتهم وضبطهم وتتبع رحلاتهم والعوارض التي تطرأ عليهم اثر كبير سنهم او تغير حفظهم، فكيف يغيب هذا الكتاب المهم عن انظار الباحثين والمحققين رغم ادعاء علماء الاباضية أنه اصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل وزعمهم علو اسانيده حين أن الكتب لم يظهر للعيان إلا في القرن السابع بجمع يوسف الوراجلاني له بشهادة علماء الإباضة انفسهم بذلك.

ومع زيادة شهرة هذا المسند، ومعرفة الناس به خلال القرن الماضي، بدأ يُذكر بين علماء أهل السنة، فظهرت دراسات للتحقق من نسبة هذا الكتاب لمؤلفه، وأشهر من انتقد هذا الكتاب المحدث ناصر الدين الألباني، إذ انتقد الألباني مسند الربيع بن حبيب، وبين جهالة مؤلفه، وانتقد أحاديث المسند والرواة الذين حدّث عنهم الربيع في مسنده، وجرح أشهر شيوخ الربيع ممن روى لهم.

¹ عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي، أبو محمد: مؤرخ فقيه، من أعيان الإباضية، انتهت إليه رئاسة العلم عندهم في عصره، مولده ووفاته في عمان، وكان ضريراً، من تصانيفه: جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام أرجوزة، وتحفة الأعيان في تاريخ عمان، توفي سنة 1432هـ، انظر: الزركلي: الأعلام، (4/ 84)، ولم يُترجم له علماء التراجم ممن عاصره مثل الذهبي، في كتبه سير أعلام النبلاء أو تاريخ الإسلام.

² أنظر: مقدمة عبد الله السالمي على مسند الربيع بن حبيب بن عمرو، الجامع الصحيح، مكتبة مسقط، عُمان، ط1، 1424هـ، (15/1-16).

قال الألباني بعد أن أورد حديثاً ضعيفاً، رواه الربيع بن حبيب الأزدي في مسنده: "باطل بهذا اللفظ، جاء هكذا في مسند الربيع بن حبيب، الذي سماه الإباضية بالجامع الصحيح، وهو مشحون بالأحاديث المنكرة والباطلة، التي تفرد بها هذا المسند دون العشرات، بل المئات، بل الألوف من كتب السنة المطبوعة، منها والمخطوطة، والمشهور مؤلفوها بالعدالة والثقة والحفظ بخلاف الربيع هذا، فإنه لا يُعرف مطلقاً إلا في بعض كتب الإباضية المتأخرة التي بينها وبين الربيع قرون، ومع ذلك فليس فيها ترجمةٌ عنه وافية، نقلاً عن كانوا معاصرين له أو قريباً من عصره من الحفاظ المشهورين!"¹.

وقال أيضاً: "والربيع بن حبيب، وهو الفراهيدي البصري، إباضي مجهول ليس له ذكر في كتب أئمتنا، ومسنده هذا هو صحيح الإباضية، وهو مليء بالأحاديث الواهية والمنكرة"².

ونفي الألباني رحمه الله صحة أي من أحاديث المسند بقوله: "والواقع أن أحداً من العلماء بالحديث الشريف ورجاله، لا يستطيع أن يثبت بطريق علمي صحة حديث واحد منه، فضلاً عن أن يثبت صحة نسبة الكتاب إلى الربيع أولاً، وكون الربيع نفسه من الثقات الحفاظ ثانياً!"³.

وقد أجمل الدكتور سعيد حميد أهم الأسباب التي تثبت عدم صحة هذا الكتاب⁴:

1- أنه ليس له أصل خطي يوثق به، فلم يُعثر على مخطوط واحد قديم لهذا المسند.

2- جهالة الربيع بن حبيب وشيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كرية.

3- جهالة مرتبه الوارجلاني، وليس للكتاب إسناد إلى الوارجلاني، ولا بين الوارجلاني والربيع.

¹ الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم (المتوفي: 1420): سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ، (13/ 105).

² الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (6/ 304).

³ المرجع السابق: (13/ 730).

⁴ حميد، سعيد بن عبد الله بن عبد العزيز، معاصر: مسند الربيع بن حبيب الإباضي - دراسة نقدية -، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 47، 1430هـ، ص248.

4- الانقطاع بين أبي عبيدة وجابر بن زيد، لعدم الدليل على تتلمذ أبي عبيدة على جابر بن زيد.

5- وجود الانقطاع الشديد في كثير من أسانيد الكتاب، من الربيع فما فوقه.

6- لم يظهر ولم يُعرف الكتاب في عصر الرواية والنقد، ولم يستدل الإباضية القدامى بأحاديثه فيما يعتقدونه مما يخالفون به غيرهم.

7- اعتذر متأخرو الإباضية عن عدم ظهور الكتاب لعلماء الحديث، بالخوف من بطش الحكومات، فأجيبوا على ذلك بوجود فرصة لظهوره وقت قيام الدولة الرستميّة الإباضية التي حكمت أكثر من مائة وثلاثين سنة.

8- تفرد هذا الكتاب بأحاديث تضمنت أحكاماً شرعية تحتاجها الأمة، ويحرص على معرفتها علماء الحديث، فلو كانت مروية آنذاك لما غابت معرفتها عنهم، بالإضافة لعدد من الأحاديث المروية في هذا المسند، والتي تخالف أحاديث صحيحة متفق على صحتها.

وبذلك نعلم أنه لا يوجد عند الإباضية كتاب حديثي ثابت يرجعون إليه ليعتمدوا عليه في فكرهم وتصوراتهم، لذلك كان مذهبهم قائماً، على تفسير مجمل القرآن الكريم بما يتفق مع أفكارهم ومعتقداتهم، وقد تباينت أقوال الكتّاب من أهل السنة في نظرة الخوارج للرواية الحديثية بين من هم لهم بالوضع ومن وثقهم وقبل حديثهم، فما هو أثر الخوارج على الرواية الحديثية؟

المسألة الثالثة: الخوارج ووضع الحديث

اختلف النقاد من أهل السنة حول وضع الخوارج للحديث عن رسول الله ﷺ بين مُثَبِّتٍ

ونافٍ:

1- أورد الخطيب البغدادي¹، وابن الجوزي² وغيرهم عن ابن لهيعة قوله: سمعتُ شَيْخًا، من الخوارج وهو يقول: إِنَّ هذه الأحاديثَ دينٌ، فانظُرُوا عَمَّنْ تأخذونَ دينكم، فإنَّا كُنَّا إذا هويْنَا أمرًا صيرنَاهُ حديثًا، فهذا الأثر عن ابن لهيعة يدل أن الخوارج كان لهم دور في وضع الحديث الشريف.

2- وقد وُجِدَت أقوال تعارض هذا الأثر وتثبت صدق الخوارج في الرواية، قال أبو داود: "لَيْسَ فِي أَهْلِ الْأَهْوَاءِ أَصْحُ حَدِيثًا مِنَ الْخَوَارِجِ، ثُمَّ ذَكَرَ عِمْرَانَ بْنَ حِطَّانٍ³ وَأَبَا حَسَّانَ الْأَعْرَجَ⁴".

وقال ابن تيمية عن الخوارج "ليسوا ممن يتعمد الكذب، بل هم معروفون بالصدق حتى يقال: إن حديثهم من أصح الحديث لكنهم جهلوا، وضلوا في بدعتهم، ولم تكن بدعتهم عن زندقة، والحاد، بل عن جهل وضلال في معرفة معاني الكتاب"⁶.

وقال الذهبي: "والخوارج مع مروقهم من الدين فهم من أصدق الناس حتى قيل إن حديثهم من أصح الحديث"⁷.

¹ الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ): الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ص123.

² ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ): الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط1، 1386هـ، (1/ 37-38).

³ عمران بن حطان السدوسي صدوق إلا أنه كان على مذهب الخوارج ويقال رجع عن ذلك من الثالثة مات سنة 84هـ، أخرج له البخاري وأبو داود والنسائي، وذكر المزي سبب تحوله إلى مذهب الخوارج أن ابنة عم له رأت رأي الخوارج فتزوجها ليردها عن ذلك فصرفته إلى مذهبها، انظر: المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج (المتوفى: 742هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ، (22/ 323). وابن حجر: تقريب التهذيب، (ص: 429).

⁴ أبو حسان الأعرج الأحمدي البصري مشهور بكنيته واسمه مسلم بن عبد الله، صدوق رمي برأي الخوارج قتل سنة ثلاثين ومائة من الرابعة، روى له البخاري معلقاً ومسلم وأصحاب السنن، وثقه يحيى بن معين وأبو زرعة وغيرهم، انظر: ابن حجر: تقريب التهذيب، (ص: 632)، والمزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (33/ 242).

⁵ الخطيب: الكفاية في علم الرواية، ص130.

⁶ ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني الحنبلي دمشقي (المتوفى: 728هـ): منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1406هـ-1986م، (1/ 68).

⁷ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (المتوفى: 748هـ): المنتقى من منهاج الاعتدال، تحقيق: محب الدين الخطيب، ص22.

لذلك ضعف كثير من المحققين أثر ابن لهيعة، لوروده من طريق آخر، وليس فيه ذكر للخوارج، فعن "أبي عبد الرحمن المقرئ"¹، قال: سَمِعْتُ ابْنَ لَهَيْعَةَ، يَذْكُرُ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ رَجَعَ عَنِ بَدْعِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: انظُرُوا هَذَا الْحَدِيثَ عَمَّنْ تَأْخُذُونَهُ، فَإِنَّا كُنَّا إِذَا رَأَيْنَا رَأْيًا جَعَلْنَاهُ حَدِيثًا"².

قال الدكتور مصطفى السباعي، بعد أن أورد الخبر: "هكذا قال الكاتبون في هذا الموضوع من القدامى والمحدثين، ولكنني لم أعثر على حديث وضعه خارجي، وبحث كثير في كتب الموضوعات، فلم أعثر على خارجي عد من الكذابين والوضاعين، أما النص السابق الذي يذكره عن شيخ للخوارج، فلا أدري من هو هذا الشيخ؟ وقد سبق مثل هذا التصريح يرويه حماد بن سلمة³ عن شيخ رافضي، فلماذا لا تكون نسبه إلى شيخ خارجي خطأ؟ خصوصاً ولم نعثر على حديث واحد موضوع"⁴، وهذا ما اختاره وقرره الدكتور محمد عجاج الخطيب⁵ وأبو زهو⁶ والدكتور عمر بن حسن فلاتة⁷.

¹ عبد الله بن يزيد، مات بمكة في رجب سنة ثلاث عشرة ومائتين، وكان أصله من أهل البصرة، وكان ثقة كثير الحديث، انظر: ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (المتوفى: 230هـ): الطبقات الكبرى، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ، (6/43).

² أنظر: البغدادي: الكفاية في علم الرواية، ص123، وابن الجوزي: الموضوعات، (1/38).

³ حماد بن سلمة بن دينار البصري الزبيعي بالولاء، أبو سلمة: مفتي البصرة، وأحد رجال الحديث، ومن النحاة، كان حافظاً ثقة مأموناً، إلا أنه لما كبر ساء حفظه فتركه البخاري، وأما مسلم فاجتهد وأخذ من حديثه بعض ما سمع منه قبل تغييره. ونقل الذهبي: كان حماد إماماً في العربية، فقيهاً، فصيحاً مفوهاً، شديداً على المبتدعة، توفي سنة 167هـ، انظر: ابن حجر: تقريب التهذيب، (ص: 178)، الزركلي: الأعلام، (2/272).

⁴ السباعي، مصطفى بن حسني (المتوفى: 1384هـ): السنة ومكانتها في التشريع، المكتب الإسلامي، دمشق، ط2، 1402هـ، (1/82).

⁵ الخطيب، محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله: السنة قبل التدوين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1400هـ، (1/204).

⁶ أبو زهو: الحديث والمحدثون، ص87.

⁷ وقد ناقش الدكتور عمر حسن عثمان الاختلاف بين هاتين الروايتين مطولاً بجمع أسانيدهما، وتتبع الرجال، وخلص أن الرواية التي ذكر فيها أن الرجل التائب من أهل البدع هي الأصل، والتي ذكر فيها أنه من الخوارج، رواية بالمعنى على خلاف الأصل، انظر: فلاتة، عمر بن حسن عثمان، معاصر: الوضع في الحديث، مكتبة الغزالي، دمشق، 1401هـ، ص226-236.

ولعل هذا التقرير-صحة حديث الخوارج- قُصد به طائفة معينة من الخوارج، وذلك لورود نقولات كثيرة تثبت نظرة الخوارج السلبية للسنة النبوية، ومن ذلك قول ابن تيمية نفسه الذي انتصر لصحة حديث الخوارج كثيراً، حيث قال: "والخوارج جَوَزُوا عَلَى الرَسُولِ نَفْسَهُ أَنْ يَجُورَ وَيُضِلَّ فِي سُنَّتِهِ، وَلَمْ يُوجِبُوا طَاعَتَهُ وَمَتَابَعَتَهُ، وَإِنَّمَا صَدَّقُوهُ فِيمَا بَلَغَهُ مِنَ الْقُرْآنِ دُونَ مَا شَرَعَهُ مِنَ السُّنَّةِ الَّتِي تُخَالَفُ - بَرَعِمِهِمْ - ظَاهِرَ الْقُرْآنِ، وَغَالِبَ أَهْلِ الْبِدْعِ غَيْرِ الْخَوَارِجِ يُتَابِعُونَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ عَلَى هَذَا، فَإِنَّهُمْ يَرُونَ أَنَّ الرَسُولَ لَوْ قَالَ بِخِلَافِ مَقَالَتِهِمْ لَمَا اتَّبَعُوهُ، كَمَا يُحْكِي عَنْ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ¹.. وَإِنَّمَا يَدْفَعُونَ عَنْ نَفْسِهِمُ الْحِجَّةَ، إِمَّا بَرْدَ النِّقْلِ، وَإِمَّا بِتَأْوِيلِ الْمُنْقُولِ، فَيَطْعَنُونَ تَارَةً فِي الْإِسْنَادِ، وَتَارَةً فِي الْمَتْنِ، وَإِلَّا فَهَمْ لَيْسُوا مُتَّبِعِينَ وَلَا مُؤْتَمِّينَ بِحَقِيقَةِ السُّنَّةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَسُولُ، بَلْ وَلَا بِحَقِيقَةِ الْقُرْآنِ"².

وقد بَوَّبَ البخاري في صحيحه "باب قتل الخوارج والملحدین بعد إقامة الحجة عليهم"³.

فجمع الخوارج مع الملحدین لقبح مذهب الخوارج وخطره على الدين، ولعل أقرب فهم لقول ابن تيمية هذا وغيره من الأقوال التي تذم الخوارج، وتتهمهم برد السنة أن الخوارج رغم اختلافهم وتفرقهم كانوا على اتجاهين اثنين في نظرهم للسنة النبوية:

الاتجاه الأول: وهم الرواة المشتغلون برواية الحديث، فتحملوا الحديث عن علماء السنة ورووه لهم، ولم تبلغ بهم البدعة لينحسروا عن مجموع الأمة، بل اشتغلوا في علم الحديث، ولما كانوا يحملون عقيدة تكفير مرتكب الكبيرة، كانوا أبعد الناس عن الكذب، أخرج الإمام البخاري في صحيحه: "عن يَحْيَى، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ، أَنَّ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَدَّثَتْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: لَمْ يَكُنْ يَنْزُكُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا فِيهِ تَصَالِيْبٌ إِلَّا نَقَضَهُ"⁴.

¹ عمرو بن عبید بن باب بمحدثین التیمی مولاهم أبو عثمان البصري المعتزلي المشهور، كان داعية إلى بدعته، مع أنه كان عابدا من السابعة مات سنة 143هـ، ابن حجر: تقريب التهذيب، (ص: 424).

² ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (73 / 19).

³ البخاري: صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب نقض الصور، 5952 (9 / 16).

⁴ البخاري: صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب نقض الصور، 5952، (7 / 167).

ونلاحظ أن عمران في روايته هذه تحمل الحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي من الصحابييات التي زكّأها الله في كتابه¹، وتحمل عنه هذا الحديث يحيى وهو: يحيى ابن أبي كثير الطائي أبو نصر اليمامي.

قال عنه ابن حجر: ثقة ثبت²، وقال أيوب السختياني: ما أعلم أحداً بالمدينة بعد الزهري أعلم من يحيى بن أبي كثير، وقال أبو حاتم: إمام لا يحدث إلا عن ثقة³.

فيحيى لا شك أنه لا يخفى عليه أمر عمران بن حطان، ولم يرو عنه إلا ما استوثق به عنه، ولم يرو أهل السنة عن سلسلة من الخوارج، وإنما قد يرد الخارجي في إسناد من الرواة الثقات بعد معرفتهم به واختبارهم لحديثه، لذلك قبل علماء الحديث رواية بعضهم، وأخرجوا لهم في كتبهم ولم يُعرف لهم وضع للحديث انتصاراً لمذهبهم الباطل، كما فعل الشيعة الإمامية وغيرهم.

أما الاتجاه الثاني: فهم غلاة الخوارج الذين انعزلوا عن مجموع الأمة فكفروها، ولم يجيزوا لأنفسهم الرواية عن أهل الكفر، وكفروا جموع الصحابة فكيف يروون السنة عن يكفرونهم، ومثل هؤلاء لن تجد لهم رواية في كتب أهل السنة، وهم الطائفة الأكبر من الخوارج، ولذلك كانت رواية أهل السنة عن الخوارج قليلة جداً، لأنهم لم يجالسوا أهل السنة، ولم يشتغلوا برواية الحديث أصلاً، وبالرغم من أن نظرة هذا الاتجاه سلبية للسنة النبوية إلا أنهم لم يُعرف لهم أيضاً وضع للحديث انتصاراً لمذهبهم، قال المبرد: "والخوارج في جميع أصنافها تبرأ من الكاذب، ومن ذي المعصية الظاهرة"⁴.

وكانوا غالباً ما يستدلون على مذهبهم وبدعتهم بظواهر القرآن الكريم⁵، وتتمثل سلبية هذا الاتجاه للرواية الحديثية من خلال:

¹ ففيها نزلت البراءة من التهمة التي قال بها المنافقون ونزل فيها قران يتلى إلى يوم القيامة قال الله تعالى: لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ{النور: 16}، وتدخّل في عموم التزكية التي زكا الله بها مجموع الصحابة رضوان الله عليهم، {رَضِيََ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}{المجادلة: 22}.

² ابن حجر: تقريب التهذيب، ص596.

³ المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (31/ 508-509).

⁴ المبرد، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: 285هـ): الكامل في اللغة والأدب، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1417هـ، (3/ 122).

⁵ انظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين، ص127. ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (6/ 302).

1- نظرتهم للصحابة:

لا شك أن نظرة أي فرقة للصحابة رضوان الله عليهم مهمة جداً لمعرفة موقفهم من السنة النبوية، لأن التشكيك بالصحابة وتكفيرهم تشكيك بالسنة والرواية الحديثية ولا بد، والخارج كانت لهم نظرة سلبية لجموع الصحابة رضوان الله عليهم.

قال البغدادي: "وأكفروا الخوارج الذين ردوا جميع السنن التي رواها نقلة الأخبار لقولهم بتكفير ناقلها"¹.

وقال الأشعري: "والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر، وينكرون إمامة عثمان - رضوان الله عليهم- في وقت الأحداث التي نُقِمَ عليه من أجلها، ويقولون بإمامة عليّ قبل أن يُحكّم، وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم"².

وقد وضع السباعي ذلك بقوله: "فالخوارج على اختلاف فرقتهم يُعدّون الصحابة جميعاً قبل الفتنة، ثم يُكفّرون عليّاً وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضي بالتحكيم وصوّب الحكمين أو أحدهما، وبذلك ردّوا أحاديث جمهور الصحابة بعد الفتنة، لرضاهم بالتحكيم واتباعهم أئمة الجور على زعمهم فلم يكونوا أهلاً لتقتهم"³.

فهذا يدل على أن الخوارج ردّوا أحاديث الصحابة بعد الفتنة، ومعلوم أن الصحابة رضوان الله عليهم عمّروا بعد الفتنة كثيراً، ورووا كثيراً من السنة بعد تلك الحادثة المذكورة.

وقد اعترض الدكتور مصطفى الأعظمي⁴ على ذلك مستدلاً بالرواية عن الصحابة في مسند الربيع بقوله: مما لا ريب فيه أن كتب الخوارج قد انعدمت بانعدام مذهبهم، ما عدا الإباضية وهم فرقة من الخوارج وبمراجعة كتبهم نجدهم يقبلون الأحاديث النبوية: ويروون عن عليّ وعثمان

¹ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص315.

² الأشعري: مقالات الإسلاميين، ص125.

³ السباعي: السنة ومكانتها في التشريع، (1/130).

⁴ انظر: الأعظمي، الدكتور محمد مصطفى، معاصر: دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، المكتب الإسلامي،

(22/1).

وعائشة وأبي هريرة وأنس بن مالك وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين، ومما كتبه في أصول الفقه تبين أنهم أخذوا بخبر الآحاد.

قلت: لا يصح أن نعتمد موقف الخوارج من الرواية عن الصحابة من خلال الإباضية وذلك لسببين:

أ- لأن الإباضية فرقة من فرق الخوارج الكثيرة ولا تمثل مجموع الخوارج، بل إن الإباضية خالفت باقي فرق الخوارج في أصول كثيرة، كما أنهم يرفضون الانتساب للخوارج¹.

ب- ولأنه لم يصل إلينا كتاب حديثي للإباضية إلا كتاب المسند للربيع، الذي بيننا أنه لا يصح له سند نقلي أو مخطوط قديم يثبت وجوده، ولم يظهر إلا متأخراً، ولم يستدل به متقدمو الإباضية، فلا يصح أن نبني عليه موقف الإباضية من الصحابة، فضلاً على أن نبني عليه موقف الخوارج.

بل صرح الإباضية، بتفسيق وتكفير الصحابة رضوان الله عليهم، قال عبد الله بن إياض: "فلا تسأل عن معاوية ولا عن عمله ولا صنيعه، غير أنا قد أدركناه ورأينا عمله وسيرته في الناس.. لا يحكم بحكم حكمه الله، ولا أسفك لدم حرام منه، فلو لم يصب من الدماء إلا دم ابن سمية² لكان في ذلك ما يكفره"³.

ثم قال مبينا رأي الإباضية في عثمان ومعاوية ويزيد جميعاً: "فإننا نشهد الله وملائكته أنا براء منهم وأعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا، نعيش على ذلك ما عشنا، ونموت عليه إذا متنا، وتبعث عليه إذا بعثنا، نحاسب بذلك عند الله"⁴.

¹ فقد عامل الإباضية مخالفهم باللين بعكس باقي فرق الخوارج، ولم يكفروا مخالفهم كفرة أكبر مخرجاً من الملة، وجوزوا مناكحتهم ومخالطتهم، انظر: البغدادي: الفرق بين الفرق (ص: 82). الشهرستاني: الملل والنحل (1/ 134). الأشعري: مقالات الإسلاميين، (ص: 102).

² قصد به عمار بن ياسر وأمه سمية بنت الخطاب، انظر: ابن الأثير: أسد الغابة، (4/ 122)، والذهبي: سير أعلام النبلاء، (3/ 245).

³ الأزكوي، سرحان بن سعيد بن سرحان بن محمد بلحسن بن سرحان: كشف الغمة الجامع لإخبار الأمة، وزارة التراث والثقافة، 2012م، (4/ 16).

⁴ المرجع السابق: (4/ 95)

وبذلك نعلم أن نظرة الخوارج للصحابة رضوان الله عليهم نظرة سلبية، وذلك أن أصل بدعتهم تكفير الصحابة رضي الله عنهم بعد التحكيم، ثم انعزالهم عنهم، وقد أجمعوا على تكفير الصحابة بعد التحكيم، ولا شك أن لهذه النظرة السلبية إلى الصحابة التأثير الكبير على نظرهم للرواية الحديثية، فهم متفقون على تكفير الصحابة وتخوينهم، والتشكيك في نياتهم، وهم الحلقة الأولى من حلقات الإسناد، فتكفير الصحابة والتشكيك في إخلاصهم وقصدتهم، تشكيك بالسنة النبوية والرواية الحديثية ولا بد.

2- حجية السنة عند الخوارج:

يظهر لنا ضعف سلطان السنة في نفوس الخوارج، من موقف "ذو الخويرة" الذي اعترض على النبي ﷺ في قسمته واتهمه بالتقصير، ولمّا كان الخوارج فرعاً لذلك الأصل، شابهوه في هذه الصفة¹:

1- فلم يستسلموا للروايات الحديثية، وتجاوزوها في كثير من الأحيان بمجرد فهم ظواهر الآيات القرآنية.

2- يُجوّزون على الأنبياء الكبار، ويرون عصمة الرسول ﷺ في تبليغ القرآن فقط.

3- لا يلتفتون إلى السنّة المخالفة في رأيهم لظاهر القرآن ولو كانت متواترة، لذا فهم لا يترجمون الزاني، ويقطعون يد السارق فيما قلّ أو كثر، لأنهم لا يرون حجّة للسنّة الصادرة عن الرسول ﷺ، وإنما الحجّة في مذهبهم للقرآن وحده.

3- مخالفة السنة الصحيحة الصريحة:

وقد خالف الخوارج أهل السنة في كثير من المسائل المجمع عليها وعليها أدلة صحيحة صريحة، فضعفوها ولم يسلموا بها لمجرد مخالفتها أفهام بعض علمائهم، ومن ذلك:

¹ انظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المملكة العربية السعودية، ص184.

1- جَوَزُوا أَنْ تَكُونَ الْإِمَامَةَ فِي غَيْرِ قُرَيْشٍ¹، إِذَا كَانَ الْقَائِمُ بِهَا مُسْتَحَقًّا لَهَا، قَائِمًا عَلَى

الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ بِفَهْمِهِمْ لَهَا، سِوَاءَ أَكَانَ الْإِمَامَ عَبْدًا أَوْ حُرًّا أَوْ نَبْطِيًّا أَوْ قُرَشِيًّا².

رَغْمَ أَنْ مَسْأَلَةَ إِمَامَةِ الْقُرَشِيِّ وَرَدَتْ بِأَدْلَةٍ صَحِيحَةٍ وَصَرِيحَةٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْأَيُّمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ إِنْ لَهُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ حَقًّا مِثْلَ ذَلِكَ، مَا إِنْ اسْتُرْجِمُوا فَرَجِمُوا، وَإِنْ عَاهَدُوا وَفَّوْا، وَإِنْ حَكَمُوا عَدَلُوا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"³.

قال ابن حزم: "وهذه رواية جاءت مجيء التواتر، ورواها أنس بن مالك، وعبد الله ابن عمر بن الخطاب، ومعاوية، وجابر بن عبد الله، وجابر بن سمرة، وعبادة بن الصامت معناها، ومما يدل على صحة ذلك إذعان الأنصار رضي الله عنهم يوم السقيفة، وهم أهل الدار والمنعة والعدد والسابقة في الإسلام رضي الله عنهم"⁴.

قال الحافظ ابن حجر: "قد جمعت طرقه عن نحو أربعين صحابياً، لمَّا بلغني أن بعض فضلاء العصر ذكر أنه لم يرد إلا عن أبي بكر الصديق"⁵.

وقد نقل الإمام النووي الإجماع⁶ على ذلك بقوله: "هذه الأحاديث وأشباهاها، دليل ظاهر أن الخلافة مختصة بقريش، لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن

¹ فصلت في هذه المخالفة دون غيرها لأنها مخالفة سياسية ومن الأصول التي قام عليها مذهب الخوارج السياسي وباقي المخالفات اكتفي بذكرها مع الإشارة إلى مصادرها.

² انظر: الأثري: مقالات الإسلاميين، (ص: 125). والشهرستاني: الملل والنحل، (1/ 116). ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (4/ 74).

³ أحمد: المسند، 12307، (19/ 318)، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي، والألباني والأرنؤوط، وحسنه ابن حجر وقال: وقد جمعت طرقه في جزء مفرد عن نحو من أربعين صحابياً، ورواه الحاكم والطبراني والبيهقي من حديث علي، واختلف في وقفه ورفع، ورجح الدارقطني في العلل الموقوف، ورواه أبو بكر بن أبي عصام عن أبي بكر بن أبي شيبة من حديث أبي برزة الأسلمي، وفي الباب عن أبي هريرة متفق عليه بلفظ: "الناس تبع لقريش"، انظر: الحاكم: المستدرک علی الصحیحین، (4/ 85). وابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (المتوفى: 852هـ): التلخيص الحبير، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ، (4/ 116). والألباني: تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ، ص 34.

⁴ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (4/ 74).

⁵ ابن حجر: فتح الباري، (7/ 32).

⁶ وقد خالف في ذلك ابن خلدون في تاريخه ولم يرض شرط القرشية، وعلى ذلك الكثير من العلماء المعاصرين، انظر: وابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ): تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ، (1/ 241).

الصحابة فكذلك بعدهم، ومن خالف فيه من أهل البدع أو عرض بخلاف من غيرهم فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين"¹.

2- جوزوا أن يجمع الرجل بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها.

3- أنكروا حد الرجم للمحصن.

4- أنكروا أحاديث عذاب القبر.

5- لا يعتبرون النصاب في السرقة.

6- وأسقطوا حد القذف عن المحصنين من الرجال.

هذه بعض² المخالفات الصريحة للنصوص الصحيحة التي جاءت في السنة النبوية، فالتشريع لا يُؤخذ عندهم من السنة استقلاً إلا ما كان تفسيراً لمجمل القرآن الكريم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والخوارج لا يتمسكون من السنة إلا بما فسر مجملها دون ما خالف ظاهر القرآن عندهم، فلا يرجمون الزاني ولا يرون للسرقة نصاباً"³.

4- تحكيم العقل في قبول النصوص وردها:

اعتمد الخوارج على ظواهر آيات القرآن الكريم، وردوا نصوص السنة التي تخالف عقولهم وأفهامهم، ومما يدل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم "أن امرأة⁴ سألت عائشة فقالت: أتقضي إحدانا الصلاة أيام محيضها؟

¹ النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676هـ): شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ، (200 / 12).

² انظر: ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (2 / 90). ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (73 / 19). البغدادي: الفرق بين الفرق، (ص: 314). الأشعري: مقالات الإسلاميين، (ص: 89).

³ ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (48 / 13).

⁴ هي معاذة هي بنت عبد الله العدوية وهي معدودة في فقهاء التابعين، كذا أبهما همام وبين شعبة في روايته عن قتادة أنها هي معاذة الراوية، انظر: فتح الباري، (1 / 421).

فقال عائشة: أحرورية أنت؟ قد كانت إحدانا تحيض على عهد رسول الله ﷺ، ثم لا تُؤمر بقضاء¹.

وهذا نصّ نفيسٌ يُظهر تحكيم الخوارج العقل المجرد في النصوص وردهم لها، ومن هنا كان استنكار عائشة رضي الله عنها على المرأة السائلة، فهي تعلم أنها ليست حرورية، ولكن استنكرت عليها إعمال العقل المجرد في النصوص، كما هو حال الخوارج الحرورية، وكأنهم أصبحوا مضرباً، للمثل في تحكيم العقل والإعراض عن النصوص.

قال ابن حجر: "وهم فرق كثيرة لكن من أصولهم المتفق عليها بينهم، الأخذ بما دل عليه القرآن، ورد ما زاد عليه من الحديث مطلقاً، ولهذا استفهمت عائشة.. استفهام إنكار"².

¹ البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب: لا تقضي الحائض الصلاة، 321، (1/ 71)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة، 67، (1/ 265)، واللفظ لمسلم.

² ابن حجر: فتح الباري، (1/ 422).

المبحث الثاني

الشيعة ومنهجهم في رواية الحديث

المطلب الأول: نبذة مختصرة عن الشيعة

أولاً: تعريف الشيعة في اللغة، الشيعة من "شيع شاع الخبر يشيع شيعوعة ذاع، وسهم مشاع وشائع أي غير مقسوم، وأشاع الخبر أذاعه، وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره"¹.

والشيعة: القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر، فهم شيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض، فهم شيع، قال الأزهري²: "ومعنى الشيعة: الذي يتبع بعضهم بعضاً ومعنى الشيع: الفرق التي كل فرقة منهم يتبع بعضهم بعضاً وليس كلهم متفقين"³، وفي الحديث: القدرية شيعة الدجال⁴، أي أولياؤه⁵.

وأصل الشيعة: الفرقة من الناس على حدة، وكل من عاون إنساناً وتحزب له فهو له شيعة، قال الكميت⁶: وما لي إلا آل أحمد شيعة ... وما لي إلا مشعب الحق مشعب⁷.

¹ الرازي: مختار الصحاح، ص171.

² محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان نسبته إلى جده "الأزهر" عني بالفقه فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبخر في العربية توفي سنة 370هـ، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، (181/11). والزركلي: الأعلام، (311/5).

³ الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري أبو منصور (المتوفى: 370هـ): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، (41/3).

⁴ لم أجد بهذا النص وجاء قريب منه ما أورده أبو داود بسنده عن حذيفة ؓ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ وَمَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدَرَ، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُوا جَنَائِزَهُ، وَمَنْ مَرَضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُوذُوهُمْ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَالِ، وَحَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِالدَّجَالِ، أَبُو دَاوُدَ، سَلِيمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ بَشِيرِ بْنِ شَدَادِ بْنِ عَمْرِو الْأَزْدِيِّ السَّجِسْتَانِيِّ (المتوفى: 275هـ): سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، رقم 4692، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (222/4). وقد ضعفه الهيثمي والألباني والأرنؤوط، أنظر: الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (207/7). الألباني: ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ص680، تحقيق الأرنؤوط على، سنن أبي داود، (77/7).

⁵ ابن منظور: لسان العرب، (188/8)، بتصريف.

⁶ الكميت بن زيد بن خنس الأسدي، أبو المستهل: شاعر الهاشميين، من أهل الكوفة، اشتهر في العصر الأموي، وكان عالماً بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، ثقة في علمه، منحازاً إلى بني هاشم، كثير المدح لهم، توفي سنة 126، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، (623/17)، والزركلي: الأعلام، (233/5).

⁷ الربيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، (303-302/21).

أما في الاصطلاح: فالشيعة كما قال الإمام الجرجاني: "الشيعة: هم الذين شايعوا علياً عليه السلام، قالوا: إنه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده"¹.

ومن أوضح التعريفات وأجمعها وأمنعها ما عرّف به الأشعري الشيعة حيث قال: "الشيعة هم الذين شايعوا علياً عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً، وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده"².

ثانياً: نشأة الشيعة

ظهر التشيع على نوعين، تشيع سياسي وتشيع عقدي³:

النوع الأول: التشيع السياسي: والذي كان تعاطفاً وميلاً سياسياً لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وتأييداً له وقت الفتنة، واستمر هذا الاتجاه بعد عليّ بن أبي طالب عليه السلام مناصراً لآل البيت رغباً في إمامتهم، وخاصة في عهد الحسن والحسين رضي الله عنهما، وانتهى هذا الاتجاه بتحول الشيعة إلى فرقة اعتقادية لها أهداف سياسية.

النوع الثاني: التشيع العقدي: بدأ بظهور أفكار اعتقادية خاصة لفئة من الناس، ادعوا مناصرة آل البيت، وأول ظهور لهذه الأفكار كان على يد عبد الله بن سبأ⁴، ثم تطورت حتى أصبحت الشيعة طائفة منفصلة لها أفكارها وعقائدها الخاصة، وهذا الاتجاه نشأ مبكراً، واستمر إلى يومنا هذا.

ومما يدل على أن بعض عقائد الشيعة ظهرت في وقت مبكر، ما رواه الإمام البخاري أن أبا جحفة سأل علياً عليه السلام عن العقائد التي زعم الشيعة أنها خاصة عند عليّ عليه السلام فقال "هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ وقال مرة: ما ليس عند الناس؟ فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما

¹ الجرجاني، علي بن محمد بن علي (المتوفى: 816هـ): التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ، ص129.

² الشهرستاني: الملل والنحل، (1/146).

³ انظر: الغامدي، أحمد سعيد: التشيع نشأته مراحل تكوينه، دار ابن رجب، ط1، ص21-22.

⁴ هو عبد الله بن سبأ الذي ينسب إليه السبئية، وهو من غلاة الشيعة ضال مضل، أصله من أهل اليمن كان يهودياً وأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ينشر الفتنة ويدخل بينهم الشر، وقد دخل دمشق لذلك في زمن عثمان بن عفان، انظر: ابن عساکر: تاريخ دمشق، (3/29). والذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (المتوفى: 748هـ): المغني في الضعفاء، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر، (1/339).

عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي الْقُرْآنِ، إِلَّا فَهْمًا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ، وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟
قَالَ: الْعَقْلُ، وَفِكَالُ الْأَسِيرِ، وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ¹.

وقد سأل عاصم بن ضمرة²، الحسن بن عليّ رضي الله عنه فقال: " قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: إِنَّ الشَّيْعَةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا يَرْجِعُ، قَالَ: كَذَبَ أَوْلَيْكَ الْكُذَّابُونَ، لَوْ عَلِمْنَا ذَلِكَ مَا تَزَوَّجَ نِسَاؤُهُ، وَلَا قَسَمْنَا مِيرَاثَهُ"³.

أما ظهور لقب الشيعة، فقد كان سنة سبع وثلاثين للهجرة أي بعد معركة صفين وما صاحبها من انقسام الناس بين شيعة لعليّ بن أبي طالب وشيعة لمعاوية بن أبي سفيان⁴.

فنشأة الشيعة نشأة سياسية، وقد كانت في مرحلة مبكرة من تاريخ الأمة الإسلامية، قال الذهبي: "وكان الناس في الصدر الأول بعد وقعة صفين على أقسام: أهل سنة: وهم أولو العلم، وهم محبوبون للصحابة، كآفون عن الخوض فيما شجر بينهم، ثم شيعة: يتوالون، ويتوالون ممن حاربوا عليًّا، ويقولون: إنهم مسلمون بغاة ظلمة، ثم نواصب: وهم الذين حاربوا عليًّا يوم صفين، ويقولون بإسلام عليّ وسابقه⁵، ويقولون: خذل الخليفة عثمان، فما علمت في ذلك الزمان شيعياً كفر معاوية وحزبه، ولا ناصبياً كفر عليًّا وحزبه، بل دخلوا في سب وبغض"⁶.

ثالثاً: أهم عقائد الشيعة

اختلفت عقائد الشيعة باختلاف فرقهم، فقد ذكر عبد القادر البغدادي: أنهم ثلاث فرق رئيسية والباقي تفرعات لها⁷، بينما يرى الشهرستاني أنهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية،

¹ سبق تخريجه ص 19.

² عاصم بن ضمرة السلولي الكوفي صدوق من الثالثة سنة 74هـ، انظر: تقريب التهذيب، ص 285.

³ أحمد: المسند، حديث رقم 1266، (415/2)، قال الهيثمي إسناده جيد، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه: حسن لغيره: انظر: الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (10/22).

⁴ الدهلوي، شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي: مختصر التحفة الاثني عشرية، عرّبه: الشيخ الحافظ غلام محمد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي (1227هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1373هـ، (5/1).

⁵ وهم أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

⁶ الذهبي: سير أعلام النبلاء، (374/5).

⁷ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 22.

وغلاة، وإسماعيلية والباقي لهم فروع¹، ويرى أنه "يجمعهم القول بوجود التعيين والتنصيب²، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري³ قولاً، وفعلاً، وعقداً، إلا في حال النقية"⁴.

ولا شك أن أول من نادى بعقائد الشيعة الباطلة المحرفة، كان ابن سبأ اليهودي، قال الإمام الطبري: "كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين، يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ {القصص: 85}، فمحمداً أحق بالرجوع من عيسى، فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان عليّ وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعليّ خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ، ووثب على وصي رسول الله ﷺ، وتناول أمر الأمة، ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ، فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدأوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس، وادعواهم إلى هذا الأمر"^{5،6}.

لذلك نجد الإمام ابن تيمية، قد عقد فصلاً كاملاً قارن فيه بين عقيدة الروافض وعقيدة اليهود وجمع عشرات العقائد المتشابهة بينهم قال رحمه الله: "ولهذا كان بينهم وبين اليهود من

¹ الشهرستاني: الملل والنحل، (147/1).

² أي تعيين الخلافة لعلي بن أبي طالب بعد النبي ﷺ ووجود النصوص على ذلك.

³ التولي: تولاه: اتَّخَذَهُ وَلِيًّا، التبري: التَّعَرُّضُ وَالتَّبَرُّؤُ: الْبُرْءَاءَةُ، والمعنى الولاء للأئمة والبراء من أعدائهم، وأعداء الأئمة في اعتقادهم أغلب الصحابة ولم يستثنى منهم إلا القليل ممن والى آل البيت وناصرهم، انظر: الكفوي: الكليات، ص 309-312. والندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (1/ 438).

⁴ الشهرستاني: الملل والنحل، (146/1).

⁵ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر (المتوفى: 369هـ): تاريخ الطبري، دار التراث، بيروت، ط2، 1387هـ، (341-340/4).

⁶ وبذلك قال: ابن عساكر وابن كثير وغيرهم أن عبد الله بن سبأ كان أول من نادى بعقائد الشيعة المنحرفة، انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، (3/29). وابن كثير: البداية والنهاية، (10/263).

المشابهة في الخبث، واتباع الهوى، وغير ذلك من أخلاق اليهود¹ ثم ساق رحمه الله تشبيهات كثيرة بين الرافضة واليهود يُرجع إليها في موضعها².

وقد أقر الشيعة بهذه الحقيقة، فقد ذكر النوبختي وهو من أعلام الشيعة في القرن الثالث الهجري: أن الشيعة بعد استشهاده عليه السلام انقسموا إلى ثلاث فرق ثم ذكر بعضاً من عقائد الشيعة السبئية، فقال: "فرقة منهم قالت إن علياً لم يُقتل ولم يمت، ولا يُقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً..، وهذه الفرقة تسمى السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم .. وهو أول من شهّر القول بفرض إمامة عليّ عليه السلام، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه، فمن هناك، قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية"³.

وأورد أيضاً الكشي⁴ روايات عدة في ذلك وأظهرها ما ساقه بسنده "عن أبان بن عثمان⁵، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لعن الله عبد الله بن سبأ إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام، وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله طائعاً، الويل لمن كذب علينا، وإن قوماً يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم، نبرأ إلى الله منهم"⁶.

وبذلك يظهر أن نشأة الشيعة نشأة سياسية، فالاتجاه السياسي تكوّن نصرة لعليّ عليه السلام منحاذاً له ومناصراً على خصومه، ثم بدأ بالانحراف بالغلو فيه من جهة، والنيل من باقي الصحابة رضوان الله عليهم من جهة أخرى، أما الاتجاه العقدي المتمثل بابن سبأ فقد كان له أهداف سياسية في بثِّ

¹ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (22/1).

² المرجع السابق، (38-24/1).

³ النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى (المتوفى: 310هـ)، فرق الشيعة، بتصرف، ص 19-20.

⁴ محمد بن عمر بن عبد العزيز، أبو عمرو، الكشي فقيه من الشيعة الإمامية، نسبته إلى (كش) من بلاد ما وراء النهر اشتهر بكتابه معرفة أخبار الرجال، توفي سنة 340هـ، انظر: ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني، (المتوفى: 852هـ)، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، ط2، 1390هـ-1971م، (87/1). والزركلي: الأعلام (311/6).

⁵ أبان بن عثمان بن عفان الأموي أبو سعيد وقيل أبو عبد الله، مدني، ثقة، من الثالثة، وهو أول من كتب في السيرة النبوية مات 105هـ، انظر: ابن حجر: تقريب التهذيب، ص 87. والزركلي، الأعلام، (27/1).

⁶ الطوسي، أبو محمد جعفر بن الحسن (المتوفى: 460هـ): اختيار معرفة الرجال، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط1، 1427هـ، ص 102.

الفرقة والخلاف في الدولة الإسلامية، ولم يجد أفضل من أنصار عليّ السياسيين، حتى يستجيبوا لأفكاره، فخلط العقائد الفاسدة الباطلة بأقوال زائفة في حب عليّ عليه السلام، وتقديس آل البيت، وكانت النواة الأولى لمذهب الشيعة بشهادة كتّاب أهل السنة وكتّاب الشيعة كما تقدم.

المطلب الثاني: منهج الشيعة في رواية الحديث

كانت فرقة الشيعة ثاني فرقة سياسية ظهرت في الأمة الإسلامية بعد الخوارج، ولها أفكارها الخاصة بها، ولها كتب حديثة وفقهية تتميز بها وتستقل عن باقي الفرق، وقد علمنا¹ أن الشيعة ليست فرقة واحدة، بل هي فرق شتى، وأكبر هذه الفرق على الإطلاق، هي فرقة الشيعة الإمامية، وهي الفرقة التي لها امتداد عبر التاريخ من دون انقطاع، بين قوة في بعض العصور وضعف

وتخفّ في عصور أخرى، وأغلب الشيعة الموجودين في هذا العصر هم من الإمامية²، ولهم كتبهم القديمة والحديثة في مختلف العلوم والتخصصات، ولا بد أن نعلم أن الشيعة الإمامية انقسمت إلى اتجاهين رئيسين، وهما الأصولية والإخبارية، حيث يكفر أحدهما الآخر، ويلعن أحدهما الآخر، وينسب بعض الإخباريين إلى الأصوليين تخريب الدين³.

ولا بد من التعرّيج على هذين الاتجاهين، لأن خلافهما بشكل أساسي في نظرتهما إلى الأحاديث النبوية والروايات والواردة عن الأئمة.

فالإخباريون: فرقة من الشيعة الإمامية، يمنعون الاجتهاد، ويعملون بالأخبار الواردة في الكتب الأربعة⁴، ويرون أن الأخبار الواردة في الكتب الأربعة قطعية الصدور عن الأئمة، ولا يوجد

¹ انظر: الطوسي: اختيار معرفة الرجال، مرجع السابق: ص 61.

² وقد ظهر أمرهم واتسع نفوذهم بعد الثورة التي قام بها الخميني وتسلم زمام الأمور في دولة إيران، وبالرغم من أنه رفع شعارات إسلامية عامة في بداية الثورة، إلا أنه ما لبث أن كشف عن حقيقة مذهبه وتعصبه له ورغبته في تصدير ثورته إلى بقية العالم الإسلامي، فقام بحرب العراق ثم صدر التشيع لدول إسلامية أخرى ليصبح أغلب الشيعة الموجودون في العصر الحديث هم من الشيعة الإمامية الاثني عشرية، انظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (1/ 53).

³ الإسترآبادي، محمد أمين، العاملي، السيد نور الدين، (المتوفي: 1119هـ): الفوائد المدنية والشواهد المكية، تحقيق: الشيخ رحمة الله الرحمتي الأراكي، مؤسسة النشر الإسلامي، بقم، ط1، 1424هـ، ص 368.

⁴ وهي: الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والاستبصار، والتهذيب، سوف يأتي ذكرها بالتفصيل لاحقاً.

خبر واحد فيها ضعيف، وقد "تحددت معالمها بصورة علمية على يد الشيخ أمين الإسترآبادي، وبشكل خاص في كتابه "الفوائد المدنية" الذي وضع أصول ما فيه من الأفكار في المدينة المنورة، ثم دونها في مكة المكرمة وسماه بالفوائد المدنية في الرد على من قال بالاجتهاد والتقليد، وهذا الكتاب يحوي أصول الفكر الإخباري"¹.

قال الإسترآبادي: الصواب عندي مذهب قدامنا الإخباريين وطريقتهم.

أما مذهبهم: فهو أن كل ما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة عليه دلالة قطعية من قبله تعالى حتى أُرش الخدش²، وأن كثيراً مما جاء به النبي ﷺ من الأحكام، ومما يتعلّق بكتاب الله وسنة، نبيه ﷺ من نسخ وتقييد وتخصيص وتأويل مخزون عند العترة الطاهرة عليهم السلام، وأن القرآن في الأكثر ورد على وجه التعمية بالنسبة إلى أذهان الرعية، وكذلك كثير من السنن النبوية، وأنه لا سبيل لنا فيما لا نعلمه من الأحكام الشرعية النظرية، أصلية كانت أو فرعية، إلاّ السماع من الصادقين عليهم السلام، وأنه لا يجوز استنباط الأحكام النظرية، من ظواهر كتاب الله ولا من ظواهر السنن النبوية، ما لم يعلم أحوالهما من جهة أهل الذكر عليهم السلام، بل يجب التوقّف والاحتياط فيهما، وأن المجتهد في نفس أحكامه تعالى إن أخطأ كذب على الله تعالى وافترى، وإن أصاب لم يؤجر.

وأما طريقتهم: فهي أنهم لم يعتمدوا فيما ليس من ضروريّات الدين من المسائل الكلامية والأصولية والفقهية وغيرها من الأمور الدينية إلاّ على الأخبار الصحيحة الصريحة المروية عن العترة الطاهرة عليهم السلام³.

¹ وهناك علماء آخرون بنفس الاتجاه كالشيخ حسين بن شهاب الدين الكركي العاملي (1076هـ)، والحر العاملي مؤلف الموسوعة الحديثية " وسائل الشيعة " والفيض الكاشاني مؤلف "الوافي"، والشيخ يوسف مؤلف "الحدائق الناضرة"، والشيخ ميرزا محمد الأخباري (المتوفي: 1233هـ)، وكان هذا الأخير شديداً في آرائه قاسياً في نقده للأصوليين، انظر: الطباطبائي، السيد علي (المتوفي: 1231): رياض المسائل، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412، (108-103/1).

² الأرش: الدية، ويعرف في الجراحات كالشجّة ونحوها، وقد انترش للخماشة واستسلم للقصاص، وقال أبو منصور: أصل الأرش الخدش، انظر: ابن منظور: لسان العرب، (6/263).

³ انظر بتصريف يسير: الإسترآبادي: الفوائد المدنية والشواهد المكية، ص114-113.

أما الأصوليون: فهم القائلون بالاجتهاد، وأن مصادر الدين عندهم القرآن والسنة والإجماع والعقل، وأن الأخبار الواردة في الكتب الأربعة فيها الصحيح والضعيف¹.

أما عن أهم محاور الخلاف بين المدرستين²:

1- يرى الإخباريون قطعية صدور كل ما ورد في الكتب الحديثية الأربعة من الروايات عن الأئمة، لاهتمام أصحابها بتدوين الروايات التي يمكن العمل والاحتجاج بها، وعليه فلا يحتاج الفقيه إلى البحث عن أسانيد الروايات الواردة في الكتب الأربعة، ويصح له التمسك بما ورد فيها من الأحاديث، أما الأصوليون فلم رأ أي آخر فيما ورد في الكتب الأربعة ويقسمون الحديث إلى الأقسام الأربعة المشهورة: الصحيح والحسن والموثق والضعيف، ويأخذون بالأولين أو بالثلاثة الأول دون الأخير.

2- نفي حجية الاجماع وهو رأي معروف للإخباريين، أما الأصوليون فيتمسكون بالإجماع إذا كان من الإجماع المحصل³.

3- توقف الإخباريون عن الأخذ بظواهر الكتاب العزيز، حتى يرد تفسير وشرح عن أهل البيت عليهم السلام، فلا يجيزون الاجتهاد فيما لا نص فيه عن أهل البيت، أما الأصوليون فيجيزونه.

ولم يُقدّر للاتجاه الإخباري أن يبقى في ساحة الصراع الفكري، واختفى تقريباً من مراكز الدراسات الفقهية المعاصرة المعروفة، ولم يُعد يزاحم الاتجاه الأصولي القائم على الاجتهاد لدى الشيعة في المراكز العلمية الشيعية القائمة.

¹ انظر: القاسم، أسعد وحيد، معاصر: أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ، ص275. وفتح الله، الدكتور أحمد، معاصر: معجم ألفاظ الفقه الجعفري، مطابع المدوخل، الدمام، ط1، 1415هـ، ص38.

² انظر: الطباطبائي: رياض المسائل، (106/1). والمظفر، محمد رضا (توفي: 1383هـ). أصول الفقه، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، (17/1).

³ هو ما ثبت واقعا وعلم بلا واسطة النقل، وأريد بهذا التعريف ان يتولى المجتهد نفسه مؤنة البحث عن هؤلاء المجمعين والتعرف على هوياتهم وآرائهم في المسألة، انظر: الحكيم، السيد محمد تقي، معاصر، الأصول العامة للفقه المقارن، مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر، ط2، 1979، ص271.

وبناءً على ذلك لا يمكن مناقشة الشيعة الإخبارية في علم الحديث أو الإسناد لأنهم لا يعترفون بهذا العلم أصلاً، بل ويعتبرون الشيعة الأصولية هدموا الدين مرتين: إحداهما يوم بحث الحلي في علم الإسناد وتصنيف الأحاديث، وجعل بعضهم الثانية يوم وُلد الحلي¹، وإنما جرت المناقشة من قبل الباحثين في هذه العلوم مع الشيعة الأصولية، إذ لا يُعقل مناقشة طرف بعلم لا يعترف له أصلاً.

فكيف تلقى الشيعة حديث رسول الله ﷺ؟ وكيف كتبه؟ وهل أثر الاتجاه السياسي على الرواية الحديثية؟ أُجيب على ذلك من خلال عدة مسائل:

المسألة الأولى: السنة هي المصدر الثاني عند الشيعة

قرر كتاب الشيعة أن القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر التلقي لديهم، وهو الحجة، ولا يكون ذلك إلا بقيم يفهم القرآن الكريم الفهم الصحيح، أورد الكليني في كتابه عن أبي عبد الله أنه قال " أَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ قِيَمَ الْقُرْآنِ، وَكَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً، وَكَانَ الْحُجَّةَ عَلَى النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"².

أما المصدر الثاني من مصادر التلقي عند الشيعة فهو السنة، وتعريف السنة عندهم هي: "كل ما يصدر عن المعصوم من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير"³.

¹ هو الحسين بن يوسف بن المطهر الإمام جمال الدين ابن المطهر الأسيدي الحلي المعتزلي عالم الشيعة وفقههم صاحب التصانيف التي اشتهرت في حياته رد عليه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في ثلاث مجلدات وكان يسميه ابن المنجس، توفي سنة 725هـ، انظر: الأصفهاني: الوافي بالوفيات، (13/ 54). والزركلي: الأعلام، (2/ 227). والأمين، السيد محسن الأمين (ت: 1371هـ): أعيان الشيعة، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، (3/ 190).

² الكليني: الكافي، (1/ 169)، وليس مجال بحثي القرآن الكريم، وإنما السنة النبوية وإلا هنالك اعتقادات فاسدة لهم في القرآن الكريم، منها أن الإمام مختص بفهم القرآن الكريم وأن الامام قوله ينسخ القرآن الكريم وهناك طائفة منهم تقول بتحريف القرآن الكريم كل ذلك ورد في الكافي للكليني وهو أصح الكتب عندهم انظر: القفاري، ناصر بن عبد الله بن علي، معاصر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، ط2، 1414هـ، (1/ 127-145).

³ أورد كثير من الباحثين هذا التعريف بهذا اللفظ عن الحكيم (محمد تقي الحكيم) ولم أجده عند غيره خصوصاً الكتب القديمة التي صنف في الحديث وعلومه، نقله المؤلف عن بعض الشيعة ولم يُسمهم ثم نقد هذا التعريف ولم يرتضيه، وإن كانت التعريفات الأخرى تدل عليه، انظر، الحكيم، السيد محمد تقي، معاصر: السنة في الشريعة الإسلامية، ص9.

وقد عرّف العاملِي الحديث بأنه: "كلام يحكي قول المعصوم أو فعله أو تقريره"¹ وهذا التعريف أظهر من التعريف الأول في كتب الشيعة وبه قال الأصوليون الإمامية².

ولعل أقدم تعريف شامل على مذهبهم ما عرف به الشهيد الأول السنة بقوله: "السنة: طريقة النبي أو الإمام المحكية عنه، فالنبي بالأصالة والإمام بالنيابة، وهي ثلاثة: قول، وفعل، وتقرير"³.

وقد جعل الشهيد الثاني منتهى الحديث الصحيح إلى المعصوم فقال: "الحديث الصحيح، هو ما اتصل سنده إلى المعصوم، بنقل العدل الإمامي عن مثله، في جميع الطبقات"⁴.

فالحديث لا يكون من قول النبي ﷺ فقط، بل كل ما ينسب إلى الإمام فهو حديث أيضاً، كما أنهم جوزوا أن يروى الراوي الحديث وينسبه للحلقة الأعلى أو الأدنى منه، جاء في الكافي عن أبي بصير⁵ قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: "أَلْحَدِيثُ أَسْمَعُهُ مِنْكَ أَرْوِيهِ عَنْ أَبِيكَ، أَوْ أَسْمَعُهُ مِنْ أَبِيكَ أَرْوِيهِ عَنْكَ، قَالَ: سَوَاءٌ إِلَّا أَنَّكَ تَرْوِيهِ عَنْ أَبِي أَحَبُّ"⁶.

المسألة الثانية: بداية الكتابة عند الشيعة

تباينت أقوال الكُتّاب من الشيعة، واختلفت اختلافاً كبيراً في تحديد بداية تدوين الحديث عندهم وأظهر هذه الأقوال:

¹ العاملِي، محمد بن حسين الحارثي، (توفي: 1030هـ)، **الحبل الممتين**، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، ص4.
² انظر: القمي، علي ابن بابويه، (توفي: 329)، **فقه الرضا**، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ط1، 1406هـ، ص20. المازندراني، مولي محمد صالح شرح (المتوفي: 1081هـ)، **أصول الكافي**، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1421هـ، (26/2).

³ الشهيد الأول، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين مكي العاملِي (المتوفي: 786هـ): **ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة**، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ط1، 1419هـ، (47/1).

⁴ الشهيد الثاني، زين الدين بن علي الجباعي العاملِي (توفي: 965)، **الرعاية في علم الدراية**، تحقيق: عبد الحسين محمد علي بقال، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط2، 1408، ص77.

⁵ لم أجد في تراجم أهل السنة، وهو حسب تراجم الشيعة، يحيى بن أبي القاسم، يكنى أبا بصير، مكفوف، انظر: الطوسي، محمد بن الحسن بن علي بن الحسن، (المتوفي: 460هـ): **رجال الطوسي**، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط1، 1415هـ، ص149. وابن الغضائري، أحمد بن الحسين الواسطي البغدادي (المتوفي: 450هـ): **رجال ابن الغضائري**، تحقيق: السيد محمد رضا الجليلي، دار الحديث، ط1، 1422هـ، ص120.

⁶ الكليني: **الكافي**، (51/1).

1- أن أول تدوين الحديث لدى الشيعة ما كان من تدوين عليّ بن أبي طالب عليه السلام للأحاديث في صحيفة طولها سبعون ذراعاً، ويسمونها بالجامعة، وهذه الصحيفة كانت من إملاء النبي صلى الله عليه وآله على عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وفيها كل ما يحتاجه الناس إلى يوم القيامة، وتوارثها الأئمة المعصومون إمام بعد إمام إلى أن استقرت مع الإمام الغائب¹.

وقد عُرف لعليّ بن أبي طالب عليه السلام صحيفة سميت بالصحيفة الصادقة، ولكن توسع الشيعة وتقولوا عليها بما ليس فيها، ولها ذكر واسع جداً في كتبهم، وقد جعلوها أشبه باللوح المحفوظ، الذي فيه كل ما هو كائن إلى يوم القيامة².

أورد الخصيبي عن جعفر الصادق قوله: "واعلم أن أسماء أبنائك عندنا في الصحيفة الجامعة والوسطى، مثبتان مسميان مع أسماء شيعتنا وأسماء آبائهم وأمهاتهم وقبائلهم وعشائرهم، مصوران مجليان وأجدادهم وأولادهم، وما يلدون إلى يوم القيامة رجلاً رجلاً، وامرأةً امرأةً، وهي صحيفة صفراء مدروجة مخطوطة بالنور لا بحبر ولا بمداد"³.

2- أورد ابن النديم في كتابه أن أول كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم بن قيس الهلالي رواه أبان بن أبي عياش⁴ لم يروه غيره⁵.

وقد ذكر الزركلي أن سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي من أوائل المصنفين في الإسلام، كان من أصحاب الإمام عليّ بن أبي طالب وعاش في الكوفة إلى أن دخل الحجاج الثقفي العراق، له "كتاب السقيفة" طبع باسم "كتاب سليم بن قيس الكوفي"، وهو من الأصول التي

¹ انظر: المزندراني: أصول الكافي، (264/2)، والبروجردي، السيد حسين بن السيد علي الطباطبائي (المتوفى: 1383): جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية، قم، 1399هـ، (72، 127/1).

² انظر: المزندراني: أصول الكافي، (264/2). والبروجردي: جامع أحاديث الشيعة، (72، 127/1).

³ الخصبي، الحسين بن حمدان (المتوفى: 334): الهداية الكبرى، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 1411هـ، ص 253.

⁴ أبان بن أبي عياش فيروز البصري أبو إسماعيل العبدى متروك من الخامسة من صغار التابعين، مات في 140هـ، وابن حجر: تقريب التهذيب، ص 87. انظر: الذهبي: ميزان الاعتدال، (10 / 1)، ففيه كلام كثير عنه، وقال ابن الغضائري: أبان بن أبي عياش، واسم أبي عياش: فيروز تابعي، روى عن أنس بن مالك، وروى عن عليّ بن الحسين عليهما السلام ضعيفاً، لا يُلقَّبُ إليه، وينسبُ أصحابنا وضع كتاب سليم بن قيس إليه، انظر، ابن الغضائري: رجال ابن الغضائري، ص 36.

⁵ ابن النديم: الفهرست، (ص: 271).

ترجع إليها الشيعة وتعول عليها، قال جعفر الصادق: من لم يكن عنده كتاب سليم بن قيس، فليس عنده من أمرنا شيء، توفي سنة 85هـ¹.

ولكن سليم بن قيس الهلالي ليس له ترجمة في كتب أهل السنة، إلا ما ذكره الرازي بقوله "سليم بن قيس العامري روى عن سحيم بن نوفل روى عنه أبان سمعت أبي يقول ذلك"²، ولعل أصل الترجمة عند الزركلي من كتب الشيعة، لأنه اعتبره أول المصنفين في الإسلام، وقد شكك كثير من الشيعة في هذا الكتاب، وساقوا أدلة على بطلانه.

قال ابن الغضائري³: "سليم بن قيس الهلالي، روى عن أمير المؤمنين، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين عليهم السلام، ويُنسب إليه هذا الكتاب المشهور، وكان أصحابنا يقولون: إنَّ سُلَيْمًا لا يُعرف، ولا ذُكر في خبر، والكتاب موضوعٌ، لا مَرِيَّةَ فِيهِ، وعلى ذلك علاماتٌ فيه تدلُّ على ما ذكرناه:

أ- حيث ذكر أنَّ مُحَمَّدَ بن أبي بكر وعظ أباه عند موته⁴.

ب- أنَّ الأئمة ثلاثة عشر⁵.

ت- وأسانيدُ هذا الكتاب تختلفُ.

وقطع الحلبي أن هذا الكتاب موضوع وقال: "لم يرو عنه إلا أبان بن أبي عياش، وفي الكتاب مناكير مشتهرة، وما أظنه إلا موضوعاً"⁶.

¹ الزركلي، الأعلام (3/ 119).

² ابن ابي حاتم: الجرح والتعديل، (4/ 214).

³ ابن الغضائري: رجال ابن الغضائري، ص 63.

⁴ وقد كان محمد بن أبي بكر عند وفاة أبيه ابن سنتين وسبعة أشهر فكيف يعظ أباه وهو في هذا السن، انظر: الكنتوري، إعجاز حسين بن محمد قلي خان الموسوي، (المتوفى: 1286هـ): كشف الحجب والأستار، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط2، 1409هـ، ص 226.

⁵ إذ الشيعة يعتقدون أن الأئمة اثنا عشر آخرهم الحسن العسكري وهو المهدي المنتظر عند الشيعة، لذلك اعتبر هذا الرأي الشاذ عند عموم الشيعة سبب ضعف أو وضع هذا الكتاب.

⁶ الحلبي، الحسن بن علي ابن داوود، (المتوفى: 704هـ): رجال ابن داوود، تحقيق وتقديم: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، منشورات مطبعة الحيدرية، النجف، 1392هـ، ص 249.

3- كتاب توحيد المفضل، وهو كتاب يدعي الشيعة أن الإمام جعفر الصادق أملاه على المفضل بن عمر الجعفي¹، وعند البحث لم أجد لهذا الكتاب ذكراً في كتب أهل السنة، مع أن عموم الشيعة تثبت هذا الكتاب لجعفر الصادق وتعتز به²، وهو كتاب مطبوع³ مستقل، وأدرجه المجلسي كاملاً في بحار الأنوار مع الشرح والبيان⁴.

وقد ادعى الشيعة الإمامية بأنهم أول من تقدم في جمع الآثار والأخبار، اقتداءً بالإمام عليّ عليه السلام، وذلك في القرن الثاني الهجري، حيث دون كثير من الإمامية أحاديث آل البيت وخاصة الإمام جعفر الصادق، وذكروا أن الرواة الذين دونوا أحاديث آل البيت بلغت مؤلفاتهم ستة آلاف وستمائة كتاب⁵، وامتاز بين هذه الكتب أربعمائة كتاب، عرفت بالأصول الأربعمائة، وهي أجوبة مسائل الإمام جعفر الصادق⁶.

وقد نُقلت هذه الأصول الأربعمائة في الكتب الأربعة المعروفة والمعتمدة لدى الشيعة الإمامية، قال الحر العاملي: "إن جميع علماء الإمامية أجمعوا على اعتبار الكتب الأربعة، واعتمادها والعمل بها، والشهادة بكونها منقولة من الأصول الأربعمائة المجمع عليها المعروضة على الأئمة عليهم السلام"⁷.

¹ لا يوجد له ذكر في كتب أهل السنة وقد عرف به كتاب الشيعة بأنه، المفضّل بنُ عُمَر الجُعفيّ، أبو عبد الله، ضعيف، مُتَهافت، مُرتفع القول، حُطّابيّ، وقد زيد عليه شيءٌ كثيرٌ، ولا يجوز أن يُكتب حديثُه انظر: ابن الغضائري: رجال ابن الغضائري، ص 87.

² المجلسي، محمد باقر المجلسي، (المتوفى: 1111هـ): إجازات الحديث، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم، ط 1، 1410هـ، ص 108.

³ الجعفي، المفضل بن عمر، (المتوفى: 160هـ): التوحيد، تحقيق: كاظم المظفر، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط 2، 1404هـ، والجلالي، محمد حسين الحسيني الجلاي، معاصر: فهرس التراث، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلاي، نكارش، ط 1، 1422هـ، (140/1).

⁴ الجلاي، السيد محمد رضا، معاصر: تدوين السنة الشريفة، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط 2، 1418هـ، ص 165.

⁵ الكركي، علي بن حسين بن علي بن محمد بن عبد العالي، (المتوفى: 940هـ): جامع المقاصد، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ط 1، 1408هـ، (10/1).

⁶ انظر: الشهيد الثاني، زين الدين بن علي الجبعي العاملي، (المتوفى: 965): الروضة البهية في شرح اللمعة دمشقية، تحقيق: السيد محمد كلانتر، منشورات جامعة النجف الدينية، ط 2، 1386هـ، (35/1). والطباطبائي: رياض المسائل، (19/1).

⁷ الحر العاملي، أبو جعفر محمد بن الشيخ الحسن بن علي، (المتوفى: 1104هـ): الفوائد الطوسية، تحقيق: علق عليه وصححه العالمان المتتبعان الحاج السيد مهدي اللازوردي والشيخ محمد درودي، المطبعة العلمية، قم، 1403هـ، ص 10.

ومع أن نشأة الشيعة كانت مبكرة، إلا أنهم لم يتميزوا بأفكارهم، ولم تظهر كتبهم الخاصة بهم إلا في وقت متأخر، إذ إن معظم الكتب المذكورة بأنها أُلِّفت قبل القرن الثاني، هي عبارة عن مزاعم لم يصلنا منها شيء، إلا ما ذكر من خبرها في كتبهم، وأوسع جمع لآثارهم في العصور المتقدمة قبل الكتب الأربعة، ما قام به أبو جعفر القمي في كتابه "بصائر الدرجات في علوم آل محمد وما خصهم الله به"¹، وقد طُبِع أول طبعة له في طهران سنة 1362هـ، ويُعتبر حاوية لأحاديث الشيعة، وله شأن عظيم عندهم وله حضور في كتبهم².

قال الكنتوري: "بصائر الدرجات في علوم آل محمد وما خصهم الله به، لمحمد بن الحسن الصفار القمي، المتوفى سنة تسعين ومائتين، وهو مرتب على أربعة أجزاء، أوله باب في العلم، وإن طلبه فريضة على الناس"³.

وعند الاطلاع على الكتاب، نجد فيه الغلو في الأئمة، والانحراف في سب الصحابة رضوان الله عليهم، وبذلك يُعلم أن الروايات التي فيه مفتراه على الأئمة من آل البيت عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما بداية ظهور التأليف في الكتب الحديثية المعتمدة، فقد بدأ به الكليني في بداية القرن الرابع الهجري في كتابه الكافي، وهو أول كتب الشيعة المعتمدة، وأكثرها شهرة عندهم، ويعتبرونه بمثابة صحيح الإمام البخاري بالنسبة لأهل السنة.

الكتب الرئيسية عند الشيعة الإمامية:

إن الكتب الرئيسية التي تعتبر مصادر الأخبار عند الشيعة الإمامية بلغت ثمانية كتب، ويقولون بأنها المصادر المهمة للأحاديث المروية عن الأئمة، ويسمونها بالجوامع المتقدمة والجوامع المتأخرة⁴، فالمتقدمة هي ملخص الأصول الأربعمئة المعتمدة.

¹ وهو مطبوع ومن طبعاته، القمي، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (المتوفى: 290هـ): بصائر الدرجات، تحقيق: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، مطبعة، طهران، 1404هـ.

² انظر: المرجع السابق: ص 1-5.

³ الكنتوري، إجاز حسين بن محمد قلي خان الموسوي (المتوفى: 1286هـ): كشف الحجب والأستار، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط3، 1409، ص 87.

⁴ الفضلي، الدكتور عبد الهادي، معاصر: أصول الحديث، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1423هـ، ص 51.

قال الشهيد الثاني: "كان قد استقر أمر الإمامية على أربعمئة مصنف سموها أصولاً، فكان عليها اعتمادهم، وتداعت الحال إلى أن ذهب معظم تلك الأصول، ولخصها جماعة في كتب خاصة تقريباً على المتناول، وأحسن ما جمع منها الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه"¹.

قال الفضيلي إن لهذه الأصول ميزات عن غيرها من الكتب وذلك²:

1- انفرادها بمنهجها الخاص في التأليف، وهو أن الحديث المدون فيها إما أنه برواية مؤلفه عن الإمام مباشرة، أو بروايته عن يرويه عن الإمام مباشرة.

2- الثناء على مؤلفيها، بما أوجب أن يقال بصحة ما فيها، من قبل قدماء أصحابنا.

وعند الاطلاع على هذه الأصول، نلاحظ أنها في جلها مروية عن جعفر الصادق، إلا ما رفعه جعفر الصادق إلى النبي ﷺ مباشرة، ومن دون ذكر الواسطة، فأهل السنة يتحدثون عن السنة النبوية، والإمامية يتحدثون عن سنة جعفر الصادق، وغيره من الأئمة، ثم يدعون أن ذلك السنة، ثم إن بعض هذه الأصول وبخاصة التي تتكلم عن عقائد الإمامية، وتوصل لها جاءت بعد عهد الأئمة الاثني عشر، ومن هذه الكتب، "مقتضب الأثر في الأئمة الاثني عشر"، تأليف أحمد بن محمد بن عياش الجوهري المتوفي سنة 401هـ، فكيف رويوا عن الأئمة ولم يدركوهم؟!³.

الكتب الأربعة (الجوامع المتقدمة)⁴:

1. الكافي لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت: 328هـ)، صنفه مؤلفه في 34

كتاباً و326 باباً، وعدة أحاديثه 16199 حديثاً وقسمه إلى قسمين: الأصول والفروع،

¹ الشهيد الثاني: الرعاية في علم الدراية، ص72.

² الفضيلي: أصول الحديث، ص48.

³ انظر: زرزور، عدنان محمد، معاصر: السنة النبوية وعلومها بين السنة والشيعه الإمامية، دار الاعلام للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1429هـ، ص139-140.

⁴ انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، (المتوفي: 664): فتح الأبواب، تحقيق: حامد الخفاف، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث بيروت، لبنان، ط1، 1409هـ، ص82-92. والأمين، السيد محسن الأمين، (المتوفي: 1371هـ): أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للطبعات، بيروت، لبنان، (1/144). والقفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، (1/353).

ضمن قسم الأصول أحاديث الاعتقاد، وقسم الفروع أحاديث الفقه، وجمعه خلال عشرين عاماً، طبع أصوله في نشرته الأولى بإيران سنة 1281، وفروعه سنة 1315هـ، ثم طبع مراراً.

2. من لا يحضره الفقيه، لأبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت: 381 هـ)، جزأه مؤلفه أربعة أجزاء، وبوبه 666 باباً، وضممه 5998 حديثاً، طبع في إيران سنة 1325 هـ، ثم طبع مراراً.

3. تهذيب الأحكام (التهذيب)، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: 460 هـ) عدة أبوابه 393 باباً، وعدد أحاديثه 13590 حديثاً، طبع مراراً.

4. الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، لأبي جعفر الطوسي أيضاً، يقع في ثلاثة أجزاء جزءان منه في العبادات، والثالث في بقية أبواب الفقه من العقود والأحكام إلى الحدود والديات، مشتمل على عدة كتب من تهذيب الأحكام، غير أن هذا مقصور على ذكر ما اختلف فيه من الأخبار وطريق الجمع بينها، وعدد أحاديثه 5511 حديثاً، طبع مراراً.

الجوامع المتأخرة¹:

وهي المجموعات الكبيرة التي جمعت ما في الجوامع المتقدمة، أو استدركت عليها، أو جمعت واستدركت معاً، أو استدركت بعضها على بعض، ومع أنها جاءت في عصور متأخرة ولم تأت بأي جديد، فقد اعتبرها الشيعة من أصول الحديث أيضاً وهي:

1. الوافي، للشيخ محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني والملقب بالفيض (ت: 1091هـ) جمع أحاديث الكتب الأربعة المتقدمة، إلى أحاديث مهمة نقلها من غيرها، مع شيء من التعليق والشرح، قال في مقدمته: "بذلت جهدي في أن لا يشذ عنه حديث ولا إسناد، يشتمل عليه الكتب الأربعة ما استطعت إليه سبيلاً، وشرحت منه ما لعله يحتاج إلى بيان شرحاً

¹ الفضلي: أصول الحديث، ص 51-58. والطهراني: الذريعة، (4/352). والجلالي، فهرس التراث، (2/19). السحيمي، أحمد حارس سحيمي، معاصر: توثيق السنة بين الشيعة الإمامية وأهل السنة، دار السلام، ط1، 2003م، ص 199-202.

مختصراً، وأوردت بتقريب الشرح أحاديث مهمة من غيرها من الكتب والأصول¹، يحتوي
14 كتاباً، و 50000 حديث، طبع في إيران.

2. وسائل الشيعة، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، لمحمد بن الحسن
الحر العاملي، (ت: 1104هـ)، وهو حاو لجميع أحاديث الكتب الأربعة، ويشبه الكافي
أيضاً، في طول مدة جمعه في عشرين سنة، والكتاب خاص بأحاديثهم في الأحكام، وقد
رتبه على أبواب الفقه، فصار المعول عليه والمرجع لهم في الفقه، وعدد أحاديثه 35850
حديثاً.

3. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لمحمد باقر بن محمد تقي المجلسي
(ت: 1110هـ)، قال الطهراني: "هو الجامع الذي لم يكتب قبله ولا بعده جامع مثله،
لاشتماله مع جمع الأخبار على تحقيقات دقيقة، وبيانات وشروح لها غالباً"².

وهذا الكتاب هو تجميع لكتب الحديث من الكتب الأربعة ومن غيرها، ونصوص البحار
غالباً من دون سند مكتفياً جامعاً بذكر الكتاب الذي نقل عنه، وطُبع في إيران سنة 1303هـ، في
خمسة وعشرين مجلداً.

4. مستدرك الوسائل ومستنبط الدلائل، لميرزا حسين النوري (ت: 1320هـ)، فيه زهاء ثلاثة
وعشرين ألف حديث، استدرکها مؤلفه على كتاب "وسائل الشيعة" للحر العاملي، ويعتبره
الشيعة أعظم مصنف في أحاديث المذهب، والدافع إلى تأليفه عثور المؤلف على بعض
الكتب التي لم تسجل في جوامع الشيعة من قبل.

قال الطهراني: "فأصبح كتاب المستدرك من بركة هذا الكتاب ومصادره المعتمدة كسائر
المجاميع الحديثية المتأخرة في أنه يجب على عامة المجتهدين الفحول أن يطلعوا عليها، ويرجعوا
إليها في استنباط الأحكام عن الأدلة.. وقد أذعن بذلك جل علمائنا المعاصرين"³.

¹ الكاشاني، الفيض محمد بن مرتضى، (المتوفى: 1091): الوافي، (7/1)، تحقيق: ضياء الدين الحسيني، مكتبة الامام أمير
المؤمنين علي (ع) العامة، أصفهان، ط1، 1406هـ.

² الطهراني: الذريعة، ص16.

³ السابق، ص111.

كتب الرجال

أما كتب الرجال عند الشيعة فقد ادعى الشيعة أنها ظهرت مبكرة منذ عصر التابعين، وأول ظهور لهذه الكتب في أوائل النصف الثاني من القرن الأول وهو كتاب "عبيد الله بن أبي رافع"¹، حيث دون أسماء الصحابة الذين شايعوا علياً وحضروا حروبه وقاتلوا معه، ثم كتاب عبد الله بن جبلة الكناني² وغيرهم³، في القرن الثاني إلى أوائل القرن الثالث، واستمر تدوين الرجال إلى أواخر القرن الرابع.

وقد تأسفوا بأنه لم تصل هذه الكتب إلينا⁴، ولم نتحصل على أي كتاب في علم الرجال، إلا ما دون في القرنين الرابع والخامس، وقد سميت هذه الكتب أصول الكتب الرجالية⁵، والتي تزامنت مع بداية الكتب الرئيسية الأربعة وهي⁶:

1. رجال الكشي

تأليف محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بالكشي، والكش بلد معروف على مراحل من سمرقند، والكشي من عيون الثقات والعلماء والاثبات عند الإمامية، قال النجاشي: محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي أبو عمرو، كان ثقة عينا وروى عن الضعفاء كثيراً، له كتاب الرجال،

¹ وهو عبيد الله بن أبي رافع المدني مولى النبي ﷺ روى عن أبيه وأمه سلمى وعن علي وكان كاتبه، انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب، (7/ 10) وقال الطوسي: عبيد الله بن أبي رافع ﷺ كاتب أمير المؤمنين عليه السلام له كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام وله كتاب تسمية من شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام الجمل وصفين والنهروان من الصحابة رضي الله عنهم، انظر: الطوسي: الفهرست، ص174.

² عبد الله بن جبلة بن حيان بن أبجر الكناني، أبو محمد: فقيه إمامي، من أهل الكوفة، من كتبه "الرجال" و "الصفة في الغيبة" و "القطر" و "النوادر" توفي سنة 219هـ، قال عنه الشاهرودي: الثقة الجليل من أصحاب الكاظم عليه السلام، انظر: الزركلي: الأعلام، (4/ 76). والشاهرودي، الشيخ علي النمازي (المتوفى: 1405هـ): مستدرجات علم رجال الحديث، طهران، ط1، 1412، (73/1).

³ ومن هذه الكتب كما ذكروا أيضاً، كتاب المشيخة، الحسن بن محبوب (ت224هـ)، كتاب الرجال، الحسن بن فضال (ت224هـ)، كتاب الرجال، علي بن الحسن بن فضال، انظر: الفضلي: أصول الحديث، ص24.

⁴ فيبقى أمر هذه الكتب مجرد دعوى لا قيمة لها إذ تحتاج إلى دليل منهم على وجودها واثباتها.

⁵ السبحاني، جعفر بن محمد حسين، معاصر: كليات في علم الرجال، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط3، 1414هـ، ص57.

⁶ السبحاني: كليات في علم الرجال، ص57-70. والطبرسي، ميرزا حسين النوري (المتوفى: 1320هـ): خاتمة المستدرک، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الناشر، مؤسسة آل البيت، لإحياء التراث، قم، إيران، ط1، 1416هـ، (334/5).

الغريفي، محي الدين الموسوي، معاصر: قواعد الحديث، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ، ص157-165.

كثير العلم وفيه أغلاط كثيرة¹، وقال الطوسي في الفهرست: " ثقة بصير بالأخبار والرجال، حسن الاعتقاد، له كتاب الرجال"²، وله كتب تتجاوز على مائتين، وقد أسمى الكشي كتابه الرجال بـ " معرفة الرجال" وقد طبع في الهند، وطبع في النجف، وقد ألفه على نهج الطبقات، مبتدئاً بأصحاب الرسول والوصي إلى أن يصل إلى أصحاب الهادي والعسكري، ثم إلى الذين يلونهم، وهو عند الشيعة كطبقات ابن سعد عند السنة.

1- فهرس النجاشي

تأليف أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس، الشهير بالنجاشي، وقد ترجم نفسه في نفس الكتاب ذكراً نسبه وأهم كتبه، وهو ثقة معتمد عليه عند الشيعة، وله كتاب الرجال، وتوفي بمطير آباد في جمادي الأولى سنة خمسين وأربعمائة³، وكان مولده في صفر سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، " ولكتابه هذا امتيازات كما أشار إليها بعض كتاب الشيعة⁴.

2- رجال الشيخ

تأليف الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى: 460هـ) فقد جمع في كتابه أصحاب النبي ﷺ، يقول المحقق التستري: "صار الطوسي بالإطلاق، لأن له من أربعة كتب الأخبار اثنين،

¹ النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد بن عباس (المتوفى: 450هـ): رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي، بقم، ط5، 1416هـ، ص 372.

² الطوسي، محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (المتوفى: 460هـ): الفهرست، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1417هـ، ص217.

³ ومع ذلك فقد ترجم ل محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري مثبناً تاريخ وفاته الذي كان عام 463 ولعل ذلك من زيادة النساخ ثم أدخل في أصل الكتاب وهذا الأمر ظاهر في كتب الشيعة فيزيد الناسخ على أصل الكتاب دون إشارة إلى ذلك انظر: السبحاني: كليات في علم الرجال، ص63.

⁴ أ- اختصاصه برجال الشيعة كما ذكره في مقدمته، ولا يذكر من غير الشيعي إلا إذا كان عامياً روى عنهم.

ب- تعرضه لجرح الرواة وتعديلهم غالباً استقلالاً أو استطراداً.

ت- تثبته في مقالاته وتأمله في إفاداته.

ث- سعة معرفته بهذا الفن.

ج- أنه ألف فهرسه بعد فهرس الشيخ الطوسي بشهادة أنه ترجمه، وذكر فيه فهرس الشيخ وبذلك يتسنى له الإفادة منه ويمكن أن يخالفه في بعض الرجال، انظر: الكلباسي، محمد بن الشيخ إبراهيم الخراساني (المتوفى: 1356هـ): سماء المقال في علم الرجال، تحقيق: السيد محمد الحسيني القزويني، مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية، قم، ط1، 1419هـ، (198/1).

ومن أربعة كتب الرجال كتابين¹، وذكر أن له كتباً مهمة في الفقه، إلا أنه لحرصه على الاستكثار ينقل الغث والسمين².

ومع ذلك فلم يأت بكل الصحابة، ولا بكل أصحاب الأئمة.

3- فهرس الشيخ:

وهو للطوسي أيضاً فقد أتى بأسماء الذين لهم أصل أو تصنيف، قال في مقدمته: "فإذا ذكرت كل واحد من المصنفين وأصحاب الأصول فلا بد من أن أشير إلى ما قيل فيه من التعديل والتجريح، وهل يعول على روايته أو لا، وأبين عن اعتقاده وهل هو موافق للحق أو هو مخالف له، لأن كثيراً من مصنفي أصحابنا وأصحاب الأصول ينتحلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة، فإذا سهل الله تعالى إتمام هذا الكتاب، فإنه يطلع على أكثر ما عمل من التصانيف والأصول، ويعرف به قدر صالح من الرجال وطرائقهم، ولم أضمن أنني أستوفى ذلك إلى آخره"³.

ولكنه لم يُفِ بوعده في كثير من ذوي المذاهب الفاسدة، وذكرهم في كتابه دون أن يبين حالهم⁴.

4- كتاب الرجال:

لأبي الحسين أحمد بن الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم الغضائري، توفي والده سنة 411هـ، وتوفي هو بعده في حياة مشاركته في القراءة على والده، وهو أبو العباس النجاشي الذي توفي سنة، 450 فانتقل بعض كتبه إلى النجاشي بعد وفاته، له كتاب الرجال والذي عُرف بكتاب الضعفاء، وقد ضعف فيه كثير من مشايخ الإمامية الذين ادعى علماء الشيعة أنهم ثقات، حتى قلَّ من يسلم من جرحه أو قدحه.

¹ أي من كتب الحديث المعتمدة والمعروفة بالكتب الأربعة له كتابان وكذلك له من أصول الكتب الرجالية الأربعة كتابان كذلك.

² التستري، محمد تقي، معاصر: قاموس الرجال، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي، بقم، ط1، 1425هـ، (126/12-127).

³ الطوسي: الفهرست، ص32-33.

⁴ السبحاني: كليات في علم الرجال، ص70.

وبالرغم من أن ابن الغضائري من الأجلة والثقات عند الشيعة الذين لا يحتاجون إلى النص بالوثاقة كما بينوا¹، فقد قدح كثير² من محققي من الإمامية في هذا الكتاب وشككوا في نسبته لمؤلفه، وجعلوا ذلك عائداً لعدة أسباب³:

أ. عدم وصول النسخة بطرق مقبولة.

ب. اعتماده على الاجتهاد في الأحكام الرجالية.

ج. تسرعه في الجرح بما لا يجرح، أو بما يُختلف فيه، كالغلو.

د. كثرة تضعيفاته وجرحه، حتى قيل لم يسلم من طعنه أحد والسالم من سلم منه، ووصف بأنه الطعان.

ورجح السبحاني⁴ صحة نسبة هذا الكتاب إلى ابن الغضائري، بعد مناقشة الاختلاف على هذا الكتاب، ولكنه اعتبر أن جرحه وتوثيقه غير معتبر، لأنه لم يكن في الجرح والتضعيف مستنداً إلى الشهادة والاستماع ولم يتحصل على القرائن المفيدة للاطمئنان، وكان مستنده في كثير من الأحيان متن الحديث، وختم هذا المبحث بقوله: "بل الحق في عدم قبوله هو ما أوعزنا إليه من أن توثيقاته وتضعيفاته لم تكن مستندة إلى الحس والشهود والسماع عن المشايخ والثقات، بل كانت مستندة إلى الحدس والاستنباط وقراءة المتون والروايات، ثم القضاء في حق الراوي بما نقل من الرواية، ومثل هذه الشهادة لا تكون حجة لا في التضعيف ولا في التوثيق".

وبالرغم من إطلاقهم على هذه الكتب الكثيرة اسم الأصول الرجالية⁵، إلا أنها لم تستوعب جميع الرجال المروي عنهم في الكتب الأربعة، فضلاً عن الأصول الأربعمئة المسماة.

¹ الأمين، أعيان الشيعة، (565/2).

² كالمجلسي، المحدث النوري، كالميرزا القمي، الطهراني، انظر ابن الغضائري، أحمد بن الحسين الغضائري الواسطي البغدادي، (المتوفي: 445هـ): أهم مصادر رجال الحديث عند الشيعة، تحقيق: السيد محمد رضا الجالي، دار الحديث، ط1، 1422هـ، ص20.

³ المرجع السابق: ص21.

⁴ السبحاني: كليات في علم الرجال، ص77-103.

⁵ هنالك كتب أخرى للرجال اعتبروها ثانوية مثل رجال البرقيني ورجال ابن داود، ومشیخة الصدوق وغيرها، انظر السابق، ص71-75.

قال شيخهم الغريفي: "وليس في تلك الأصول الرجالية السنة¹ كتاب شامل لجميع رواة أحاديثنا، بحيث يكشف عن حالهم، توثيقاً وتضعيفاً ومدحاً وجرماً"².

وبذلك نثبت أن كثيراً من روايتهم من المجاهيل لا بالنسبة لنا نحن أهل السنة، وإنما مجاهيل بشهادة علماء الرجال عند الشيعة، إذ لا يعرفون عن بعض الرواة شيئاً، ومع ذلك ينقلون عنهم الروايات الكثيرة ويصححونها، وكثير ممن ترجموا لهم ضعفاء بشهادتهم، كما هو الحال في الرجال عند ابن الغضائري وغيره من كتب الرجال.

المسألة الثالثة: تاريخ الإسناد وأهم اشكالاته عند الشيعة:

تبين لنا من خلال المسألة السابقة أن تدوين الحديث بشكل فعليّ ومستقل في كتب خاصة وجامعة، لم يبدأ عند الشيعة إلا مع بداية القرن الرابع الهجري، وكان أول الكتب الجامعة للشيعة الإمامية هو كتاب الكافي للكليني، ولكن هذه الكتب لم تهتم بعلم الإسناد، وإنما اكتفى مؤلفوها بسرد الروايات عن الأئمة مسندة أو مرسلة دون النظر إلى الرجال كما هو الحال عند أهل السنة، وبقي الحال كذلك إلى القرن الثامن الهجري، وهو العصر الذي ناظر فيه الإمام ابن تيمية الشيعة، حيث ناظر ابن مطهر الحلي، وأفحمه بأن لا إسناد ولا علم لهم به.

قال شيخ الإسلام في رده عليه: "من أين لكم أنّ الذين نقلوا هذه الأحاديث في الزمان القديم ثقاة، وأنتم لم تدركوهم ولم تعلموا أحوالهم، ولا لكم كتب مصنفة تعتمدون عليها في أخبارهم التي يميز بها بين الثقة وغيره، ولا لكم أسانيد تعرفون رجالها"³.

وقال أيضاً: "وليس للشيعة أسانيد متصلة برجال معروفين، مثل أسانيد أهل السنة، حتى ينظر في الإسناد، وعدالة الرجال، بل إنما هي منقولات منقطعة عن طائفة عُرف فيها كثرة الكذب، وكثرة التناقض في النقل"⁴.

¹ الخمسة التي ذكرتها بالإضافة إلى رجال البرقيني.

² الغريفي: قواعد الحديث، ص 159.

³ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (7/ 412).

⁴ السابق، (4/ 18).

فما كان من ابن مطهر الحلي¹ إلا أن عمد إلى الحديث واشتغل به فقسمه إلى أقسام حسب الصحة والضعف، على نحو يشبه تصنيف أهل السنة²، وشهد كثير من محققي الشيعة بهذا الأمر.

قال محسن الأمين: "اعلم أن تقسيم الحديث إلى أقسامه المشهورة، كان أصله من غيرنا، ولم يكن معروفاً بين قدماء علمائنا، وإنما كانوا يردون الحديث بضعف السند، ويقبلون ما صح سنده، وقد يردونه لأمر آخر، وقد يقبلون ما لم يصح سنده لاعتضاده بقرائن الصحة أو غير ذلك، ولم يكن معروفاً بينهم الاصطلاح المعروف في أقسام الحديث اليوم، وأول من استعمل ذلك الاصطلاح العلامة الحلي فقسم الحديث إلى الصحيح والحسن والموثق والضعيف والمرسل وغير ذلك وتبعه من بعده إلى اليوم"³.

وعاب الإخباريون عليه وعلى سائر المجتهدين لزعمهم أن جميع ما في كتب الأخبار صحيح، واتهم بعضهم الحلي بهدم دينهم مرتين، مره بمولده ومره بتقسيمه للحديث على النحو المعروف في كتبهم اليوم⁴.

قال الحر العاملي: "إن طريقة المتقدمين مباينة لطريقة العامة⁵، والاصطلاح الجديد موافق لاعتقاد العامة واصطلاحهم، بل هو مأخوذ من كتبهم كما هو ظاهر بالتتابع"⁶. ولم يظهر علم الدراية⁷ عند الشيعة الإمامية، ولم يكتب فيه أحد قبل الشهيد الثاني، إذ كان كتابه الرعاية في علم الدراية، أول كتاب في بابيه، وكل من كتب في علم الدراية اعتمد على هذا الكتاب، والجدير بالذكر أن أصل هذا الكتاب، مأخوذ من كتب أهل السنة، بشهادة الشيعة أنفسهم.

¹ وقيل أول من صنف في هذا العلم وقسم الحديث إلى أقسام حسب الصحة والضعف أحمد بن طاووس وهو شيخ ابن مطهر الحلي، أنظر: البحراني، يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن عصفور الدرزي، (المتوفي: 1186هـ): الحدائق الناضرة، مؤسسة النشر الإسلامي، بقم، (48/7). والغريفي: قواعد الحديث، ص16، والفضلي: أصول الحديث، ص26.

² القفاري، ناصر بن عبد الله بن علي، معاصر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، (1/280)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1428هـ.

³ الأمين: أعيان الشيعة، (401/5).

⁴ المرجع السابق: (401/5).

⁵ العامة عند الشيعة هم أهل السنة.

⁶ الحر العاملي، أبو جعفر محمد بن الشيخ الحسن بن علي (المتوفي: 1104): وسائل الشيعة، تحقيق: محمد رضا الجليلي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بقم، ط2، 1414هـ، (259/3).

⁷ أي التأصيل لعلم مصطلح الحديث من وجهة نظر الشيعة.

قال الحر العاملي: "من المعلومات التي لا يشك فيها أحد، أنه لم يصنف في دراية الحديث أحد من علمائنا قبل الشهيد الثاني، وإنما هو من علوم العامة التي اخترعوها موافقا لما اتفق في أحاديثهم"¹.

ثم قارن بين أقواله التي خلص إليها، وتوصل إلى أن أصل كتابه مأخوذ من ابن الصلاح والنووي لأنه اتفق معهم تماماً في شروط التواتر وغيرها من مسائل علوم الحديث².

وعزا العاملي سبب اهتمام متأخري الشيعة بعلم الإسناد ودراية الحديث بالتركيب باتصال سلسلة المخاطبة اللسانية، ودفع تعبير العامة الشيعة، بأن أحاديثهم غير معنعة، بل منقولة من أصول قدمائهم³.

ولم يرتض بتعريف المدرسة الأصولية لعدالة الرواة، حيث قال: "ودعوى بعض المتأخرين: أن الثقة بمعنى: العدل، الضابط، ممنوعة، وهو مطالب بدليلها وكيف؟ وهم مصرحون بخلافها حيث يوثقون من يعتقدون فسقه وكفره وفساد مذهبه"⁴!

أما أهم اشكالات علم الإسناد عند الشيعة:

1- عقيدة التقيّة وأثرها على الإسناد:

عقيدة التقيّة من العقائد الأصيلة عند الشيعة الإمامية، وهي مترسخة في كتبهم، ولم تتحصر عقيدة التقيّة على المخالفين من أهل السنة، بل كان لها وللكذب المشتهر به كثير من رواة الشيعة أثر سلبي على الروايات الحديثية، إذ من أهم صفات الراوي الثقة، الأمانة في التحمل والأداء، وهذا ما افتقده كثير من رواة الشيعة.

¹ الحر العاملي، أبو جعفر محمد بن الشيخ الحسن بن علي، (المتوفى: 1104هـ): الفوائد الطوسية، تحقيق: السيد مهدي اللازوردي والشيخ محمد درودي، المطبعة العلمية، قم، 1403هـ، ص 257.

² السابق، ص 257.

³ الحر العاملي: وسائل الشيعة، (258/30).

⁴ العاملي: وسائل الشيعة، (260/30).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية " أما الرافضة، فأصل بدعتهم عن زندقة، وإلحاد، وتعتمد الكذب كثير فيهم، وهم يقرون بذلك حيث يقولون: ديننا التقية، وهو أن يقول أحدهم بلسانه خلاف ما في قلبه، وهذا هو الكذب والنفاق، ويدعون مع هذا أنهم هم المؤمنون دون غيرهم من أهل الملة، ويصفون السابقين الأولين بالردة، والنفاق، فهم في ذلك، كما قيل: رمتي بدائها، وانسلت"¹.

وقال شريك: أحمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة يضعون الحديث ويتخذونه ديناً².

وشهدوا على أنفسهم بذلك، وذلك كثير مستفيض في كتبهم ومراجعهم المعتمدة القديمة منها والحديثة، حتى أن الباحث يتحير أي النصوص يختار لكثرة النصوص في كتبهم التي تثبت أن الكذب والفسق منتشر في جل روايتهم، وكتاب الضعفاء لابن الغضائري مليء بذكر الرواة الكذابين ممن روى عنهم الشيعة، حتى إن الشيعة شككوا في الكتاب، لأنه كشف حجم الرواة الكذابين وأصحاب المذاهب الفاسدة، ممن روى عنهم الشيعة وصححوا روايتهم.

أورد الكليني، عن الإمام جعفر أنه قال: " إن ممن ينتحل هذا الأمر ليكذب حتى أن الشيطان ليحتاج إلى كذبه"³.

وعنه عند المجلسي أنه قال: " إن الناس أولعوا بالكذب علينا..، وإني أحدث أحدهم بالحديث، فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله، وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا"⁴.

وقال الطوسي: "لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه، حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا"⁵.

¹ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (1/ 68).

² الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، (1/ 27-28).

³ الكليني: الكافي، (8/ 254).

⁴ المجلسي، محمد باقر (المتوفى: 1111هـ): بحار الأنوار، (2/ 246)، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ.

⁵ الطوسي، محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (المتوفى: 460هـ): تهذيب الأحكام، (1/ 2)، تحقيق: السيد حسن الموسوي

الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط3، 136هـ.

وقال البحراني في إجابته على تعارض الخبرين: "لورود الكثير منها على جهة التقية التي هي على خلاف الحكم الشرعي واقعا، إذ التقية كما قد عرفت في المقدمة الأولى أصل الاختلاف في أخبارنا"¹، وقال في موضع آخر: "فلم يعلم من أحكام الدين على اليقين إلا القليل، لامتزاج أخباره بأخبار التقية"².

وبذلك نعلم أن **التقية** عند الشيعة دخلت على أصل الدين، فرووا الروايات المختلفة تقية، بل والأغرب من ذلك أنهم جوزوا التقية على بعضهم وليس على أهل السنة فقط، ولا أوضح في الدلالة على ذلك من رواية الكليني، "عن زرارة بن أعين³، عن أبي جعفر عليه السلام⁴ قال: سألته عن مسألة فأجابني ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني، ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، فلما خرج الرجلان قلت: يا ابن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه؟ فقال: يا زرارة! إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا، وكان أقل لبقائنا ويقائكم"⁵.

وروى أيضاً "عن محمد بن الحسن بن أبي خالد شينولة⁶ قال: قلت لأبي جعفر الثاني⁷ عليه السلام: جعلت فداك إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وكانت

¹ البحراني، يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن عصفور الدرزي (المتوفى: 1186هـ): الحدائق الناضرة، مؤسسة النشر الإسلامي، بقم، (1/89-90).

² المرجع السابق: (5/1).

³ زرارة بن أعين الشيباني، مولاهم كوفي، يكنى أبا الحسن، مات سنة خمسين ومائة، وهو من أوثق رواة الشيعة ومع ذلك ضعفه الطوسي بالإرسال، كما زعموا، وقد ذكره ابن عدي في كتابه الكامل في الضعفاء ووصفه أنه من غلاة التشيع، انظر: ابن عدي، أبو أحمد الجرجاني (المتوفى: 365هـ): الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود/ علي محمد معوض، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ، (4/215). الطوسي، رجال الطوسي، ص210. الطوسي: الفهرست، ص307.

⁴ هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو جعفر الباقر، ابن حجر: تهذيب التهذيب، (9/350).

⁵ الكليني: الكافي، (1/65).

⁶ لم أجد له ترجمة في تراجم أهل السنة وقد ترجم له كتأب الشيعة بأنه محمد بن الحسن بن أبي خالد الأشعري القمي، انظر: الخوئي، أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم (المتوفى: 1413هـ)، معجم رجال الحديث، (16/212)، ط5، 1413.

⁷ هو تاسع الأئمة عند الشيعة وهو محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن طالب، لقب أبو جعفر الثاني لأن أبا جعفر الأول هو محمد الباقر، قال الخطيب: قدم من مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بغداد وافدا على أبي إسحاق المعتصم ومعه امرأته أم الفضل بنت المأمون فتوفي ببغداد، ودفن في مقابر قریش عند جده موسى بن جعفر، انظر: الخطيب: تاريخ بغداد، (4/88)، الطوسي: رجال الطوسي، ص363.

التقية شديدة، فكتبوا كتبهم ولم تُرَو عنهم فلما ماتوا صارت الكتب إلينا فقال: حدثوا بها فإنها حق¹.

وقال الخوئي: "إن أصحاب الأئمة عليهم السلام وإن بذلوا غاية جهدهم واهتمامهم في أمر الحديث وحفظه من الضياع والاندراس حسبما أمرهم به الأئمة عليهم السلام، إلا أنهم عاشوا في دور **التقية**، ولم يتمكنوا من نشر الأحاديث علناً، فكيف بلغت هذه الأحاديث حد التواتر أو قريباً منه²!"

ولم يكتب كُتَّاب الشيعة بإدخال التقية على متون رواياتهم، بل أدخلوا التقية على علم الرجال، وبذلك يفقد هذا العلم أهميته، لأن هذا العلم يقوم على التمييز بين الرجال، ويمكن أن يُحمل كل طعن ليس على مزاج ناقد معين على التقية، وبذلك لا قيمة لجرح أي راوٍ.

وقد أجاب الخوئي على التناقض الكبير بين جرح وتوثيق أعدل الرجال لديهم وهو زرارة بن أعين بقوله: "والجواب عن هذه الروايات: أنه لم يثبت صدور أكثرها من المعصوم عليه السلام، من جهة ضعف إسنادها، وأما ما ثبت صدوره، **فلا بد من حمله على التقية**، وأنه سلام الله عليه إنما عاب زرارة لا لبيان أمر واقع، بل شفقة عليه واهتماماً بشأنه³.

وأختم هذه المسألة بشهادة الإمام ابن تيمية في الشيعة بقوله: "وأنتم يشهد عليكم أهل الحديث، والفقهاء، والمسلمون، والتجار، والعامة، والجند، وكل من عاشركم وجربكم قديماً وحديثاً أن طائفكم **أكذب الطوائف**، وإذا وجد فيها صادق فالصادق في غيرها أكثر، وإذا وجد في غيرها كاذب فالكاذب فيها أكثر⁴.

¹ الخوئي: معجم رجال الحديث، (53/1).

² المرجع السابق: (22/1).

³ المرجع السابق: (252/8).

⁴ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (7/ 413).

2. رواية نواصب في كتب الشيعة:

ومن الدلائل الواضحة على ضعف علماء الشيعة في علم الإسناد، وعدم معرفة رجال أسانيدهم، أنهم رووا لرجال نواصب ناصبوا العداء لآل البيت الأطهار رضي الله عنهم، ومن هؤلاء:

• علي بن الجهم:

فقد أخرج الحر العاملي في كتابه عن علي بن الجهم قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لا يأبى الكرامة إلا حمار قلت: أي شيء الكرامة؟ قال: مثل الطيب وما يكرم به الرجل¹.

وقد روى علي هذا المناظرة الشهيرة في كتب الشيعة بين الرضا والخليفة العباسي المأمون²، وغيرها من الروايات في أصول الشيعة³، ومع ذلك فهو ناصبي كان يبغض علي بن أبي طالب⁴.

قال الخوئي في ترجمته: "عن مروج الذهب⁴ أنه بلغ من نصب علي بن الجهم، أنه كان يلعن أباه، فسئل عن ذلك فقال: بتسميتي علياً"⁵.

ويمثل ذلك قال الجواهري⁶، وقد شهد علماء السنة عليه بالنصب أيضاً، قال ابن خلكان: "وكان مع انحرافه عن علي بن أبي طالب⁷، وإظهاره التسنن، مطبوعاً مقتدرًا على الشعر عذب الألفاظ"⁷.

¹ العاملي: وسائل الشيعة، (102/12).

² المجلسي: بحار الانوار، (47/4).

³ المرجع السابق: (305/8)، (160/11)، (147/17) وغيرها.

⁴ هو كتاب لعلي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، من ذرية عبد الله بن مسعود مؤرخ، رحالة، باحث، من أهل بغداد، كان إمامياً وفيه اعتزال، توفي سنة 346هـ، انظر: الصفي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله (المتوفى: 764هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ، (5/21).

والزركلي: الأعلام للزركلي، (4/277)،

⁵ الخوئي: معجم رجال الحديث، (323/12).

⁶ الجواهري، محمد، معاصر: المفيد من معجم رجال الحديث، مكتبة المحلاتي، قم، إيران، ط2، 1424هـ، ص387.

⁷ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (المتوفى: 681هـ): وفيات الأعيان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (3/355).

وقال ابن حجر عنه: "مشهور بالنصب، كثير الحط على عليّ وأهل البيت، وقيل: إنه كان يلعن أباه لم سماه عليّاً، قتل في أيام المستعين سنة 249هـ¹."

• أحمد بن هلال

كان ناصبياً وقد أخرج الكليني "عن أحمد بن هلال، عن عيسى بن عبد الله²، عن أبيه، عن جده، عن عليّ عليه السلام، أن النبي صلى الله عليه وآله كان لا يرد الطيب والحلواء"³.

قال الخوئي: "ما رأينا ولا سمعنا بمنتشيع رجع عن تشيعه إلى النصب، إلا أحمد بن هلال، وكانوا يقولون: إن ما تفرد بروايته أحمد بن هلال، فلا يجوز استعماله"⁴.

ومع ذلك فقد انتشرت روايته في كتب الشيعة، وخرجوا له في الأصول كثيرا، قال الطوسي: "أحمد بن هلال العبرتي، وعبرتا قرية بنوحي بلد اسكاف، وهو من بني جنيد، ولد سنة ثمانين ومائة، ومات سنة سبع وستين ومائتين، وكان غالياً متهما في دينه، وقد روى أكثر أصول أصحابنا"⁵.

3. مجاهيل في كتب الشيعة:

ومهما بلغت عناية علماء الرجال عند الشيعة، إلا أنهم لم ولن يستطيعوا أن يعرفوا بكل الرجال المروي عنهم في كتبهم، لبعد الفترة الزمنية بين الرواة وبداية الكتابة في علم الرجال، ولذلك بقي الكثير من الرواة من المجاهيل، ولم يُعرف بهم أحد من أهل التراجم.

¹ ابن حجر: لسان الميزان، (210/4).

² هو عيسى بن عبد الله وجده محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، له كتاب يرويه جماعة، انظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص295. وهو من الضعفاء عند أهل السنة ذكره ابن عدي في الكامل وقال الدارقطني متروك الحديث، انظر: ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال، (6/424). الدارقطني: سنن الدارقطني، (3/307). والذهبي: ميزان الاعتدال، (3/315).

³ الكليني: الكافي، (513/6).

⁴ الخوئي: معجم رجال الحديث، (152/3).

⁵ الطوسي: الفهرست، ص83

قال الرضا البصري: قد كثرت الرواية عن جماعة من الرجال، ولا ذكر لهم في كتب الجرح والتعديل، فمنهم: أبو الحسين عليّ بن أبي الجيد¹ الذي كثرت الرواية عنه في كتب الشيعة، ولم يذكر له مدح ولا قدح²، وعند تتبع تراجم الرجال في كتب الشيعة، نلاحظ أن كثيراً من الرواة المترجم لهم هذا حالهم، يُذكر اسمه كاملاً مع اثبات الرواية له من دون مدح أو ذم.

ومن جهلهم بالرجال أيضاً، أنهم رووا لرواة روافض وزعموا أنهم من أهل السنة³، وفي ذلك اثبات لجهلهم بالرجال من جهتين:

1- أنهم لم يحتجوا برواية أهل السنة، وجعلوا من شروط الرواية الصحيحة أن يكون الراوي إمامياً مالياً لآل البيت، فكيف اعتمدوا روايتهم في كتبهم واحتجوا بها مع شهادتهم لهم أنهم من أهل السنة؟

2- عند تتبع هؤلاء الرجال يظهر أنهم شيعة روافض، فكيف يجهل علماء الرجال من الشيعة، روافض بالغوا في الرفض والعداء لأهل السنة؟

وبذلك نعلم أن علم الرجال، هو محاولة متأخرة من علماء الشيعة، لتقليد أهل السنة في هذا العلم الذي تميّز به أهل السنة عن غيرهم من أهل الملل والنحل الأخرى، حتى شهد لهم القاصي والداني على تميزهم بهذا العلم⁴، فكانت هذه محاولة فاشلة من علماء الشيعة الأصولية ليقلدوا أهل السنة، ويدفعوا تعبيرهم لهم قلة علمهم في هذا الباب.

¹ لم أجد في تراجم الشيعة الأصلية، فضلاً عن تراجم أهل السنة.

² وذكر جماعة منهم: محمد بن عليّ ماجيلويه، وحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد، والحسين بن الحسن بن أبان..، أنظر: البصري، أحمد بن عبد الرضا، (المتوفى: 1085هـ): فائق المقال في الحديث والرجال، تحقيق: غلامحسين قيصريه ها، دار الحديث، ط1، 1422هـ، ص46-47.

³ ومن هؤلاء ابان بن ابي تغلب، وابان بن أبي حديد، وابن المغازلي، والخوارزمي الحنفي، وغيرهم انظر: دمشقية، عبد الرحمن بن سعيد، معاصر: استدلال الشيعة بالسنة النبوية في ميزان النقد العلمي، دار الصفاة، القاهرة، ط1، 1424هـ.

⁴ وممن شهد لعلماء الإسلام تميزهم وابداعهم هذا العلم من غير المسلمين، المؤرخ اللبناني، المسيحي أسد جبرائيل رستم، في كتابه، مصطلح التاريخ.

المسألة الرابعة: طريقة التلقي عند الشيعة

أما طرق التحمل عند الشيعة الإمامية فتختلف اختلافاً كبيراً بين الأصوليين والإخباريين منهم، فالأصوليون لا نكاد نجد فرقاً بين طريقة التحمل التي قالوا بها وطريقة التحمل عند أهل السنة¹، وأول من بحث طريقة التحمل على نحو يشبه ما كان عليه أهل السنة هو الشهيد الثاني في كتابه الرعاية في علوم الدراية، وقد أخذ عنه الباحثون من بعده².

وأما طرق التحمل عند الإخباريين فهي ضرب من الأوهام والأحلام، وذلك يتحقق بطريقتين:

1- "طريق الإلهام كالنبي من طريق الوحي.

2- أو من طريق التلقي من المعصوم من قبله، وجعلوا ذلك مثل العلم الذي تعلمه على بن أبي طالب عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وذلك بقوله: "علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، يفتح لي من كل باب ألف باب"³.

بل جعلوا كلام الأئمة هو عين السنة، قال محمد المظفر: "فإن كلام الأئمة ليس بياناً للأحكام من نوع رواية السنة وحكايتها، ولا من نوع الاجتهاد في الرأي والاستنباط من مصادر التشريع، بل هم أنفسهم مصدر للتشريع، فقولهم سنة لا حكاية السنة"⁴.

وروى الصفار عن جعفر الصادق قوله: إنَّ العلم نكَّتْ في القلوب ونقر في الأسماع ثم وضح ذلك بقوله: "وأما النكت في القلوب فالهائم، وأما النقر في الأسماع فأمر الملك"⁵.

¹ وقد جعلوها سبع طرق لم تختلف عن طرق التحمل عند السنة في الأصل ولا في التفصيل وهذه الطرق هي: السماع، القراءة، الإجازة، المناولة، الكتابة، الإعلام، الوجداء، انظر: الشهيد الثاني، الرعاية في علوم الدراية، ص (230-310).

² انظر: البابلي، إعداد أبو الفضل حافظيان، معاصر، رسائل في دراية الحديث، دار الحديث للطباعة والنشر، ط1، 1424هـ، وغفاري، علي أكبر، معاصر: دراسات في علم الدراية، جامعة الإمام الصادق، ط1، تهران، 1369هـ، ص(169-184).

³ الكاشاني: الوافي، (260/1).

⁴ المظفر، الشيخ محمد رضا (المتوفى: 1383هـ): أصول الفقه، مؤسسة النشر الإسلامي، بقم، (65/3).

⁵ القمي: بصائر الدرجات، ص338.

وقد بين ابن تيمية أنّ كثيراً من الأحاديث التي يرونها الشيعة لم يحصل لهم سماع بها فقال: " فاعلم أن الرافضة ثلاثة أصناف:

- 1- صنف منهم سمعوا أشياء من الحديث فوضعوا أحاديث وزادوا ونقصوا.
- 2- وصنف لم يسمعوا فتراهم يكذبون على جعفر الصادق، ويقولون: قال جعفر، وقال فلان.
- 3- وصنف ثالث عوامّ جهلة يقولون ما يريدون مما يسوغ في العقل، ومما لا يسوغ¹.

المسألة الخامسة: طريقة الحكم على الحديث

طريقة الحكم على الحديث من أعمق نقاط الخلاف بين الأصوليين والإخباريين، إذ نقطة التحول في الفكر الشيعي بدأت بنقد ابن مطهر الحلي لروايات الكتب الأربعة، وتقسيمها إلى الصحيح والموثوق والضعيف والمردود، ولم يرتض الإخباريون هذا التقسم وقطعوا بصحة الأخبار الواردة في كتب الأصول، مستدلين بأقوال متقدمي علماء الشيعة، والنصوص الشاهدة بصحة الكتب الأربعة من كلام المتقدمين، أو من المتأخرين من الإخباريين كثيرة جداً لا يمكن حصرها واكتفي بذكر بعضها للتمثيل والاستشهاد.

قال الكليني: "وقلت، إنك تحب أن يكون عندك كتاب كاف، يجمع من جميع فنون علم الدين، ما يكتفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين، والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام"².

وقال محمد القمي: "بل قصدت إلى إيراد ما أفتي به، وأحكم بصحته، وأعتقد فيه أنه حجة فيما بيني وبين ربي"³.

¹ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (7/ 442-443).

² الكليني: الكافي، (24/1).

³ القمي، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، (المتوفى: 381هـ): من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، بقم، ط2، (3/1).

وقال الطوسي في مقدمة كتابه: "وأذكر مسألة، مسألة فاستدل عليها، إما من ظاهر القرآن، أو من صريحه، أو فحواه، أو دليله، أو معناه، وإما من السنة المقطوع بها، من الأخبار المتواترة، أو الأخبار التي تقتنر إليها القرائن التي تدل على صحتها¹.

وقال المرتضي: "إن أكثر أخبارنا المروية في كتبنا معلومة مقطوعة على صحتها، إما بالتواتر من طريق الإشاعة والإذاعة، أو بأمانة وعلامة دلت على صحتها وصدق روايتها، فهي موجبة للعلم مقتضية للقطع"².

وعند المقارنة بن أقوال متقدمي الشيعة السابقة، وأقوال الإخبارين منهم، نجد انسجاماً تاماً في نظرتهم إلى الأحاديث والقطع بصحة كل ما جاء في الكتب الأربعة³.

قال الإسترابادي في تعليقه على وجوب العمل بكل مرويات الكُتبي: "ومن المعلوم أنه رحمه الله لم يذكر في كتابه هذا قاعدة بها يميّز بين الحديث الصحيح وغيره، فعلم أنّ كلّ ما فيه صحيح، فإنّه لو كان ملقاً من صحيح وغير صحيح لزد السائل الإشكال والحيرة ولما جاز اكتفاء المتعلّم به وأخذ المسترشد منه"⁴.

وبالرغم من القطع بصحة كل ما في الكتب الأربعة، فقد جعل متقدمو الشيعة قواعد للتصحيح بالجملة فلا يُنظر في كل رواية بسندها ومنتها، والمعروف بينهم إطلاق الصحيح على كل حديث اعتضد بما يقتضي الاعتماد عليه، واقتنر بما يوجب الوثوق به والركون إليه وذلك⁵:

1- كوجوده في كثير من الأصول الأربعة المشهورة المتداولة بينهم التي نقلوها عن مشايخهم بطرقهم المتصلة بأصحاب العصمة.

¹ الطوسي: تهذيب الاحكام، (3/1).

² العامل: الفوائد الطوسية، ص214.

³ انظر: الخوئي: معجم رجال الحديث، (81/1). والطبرسي: خاتمة المستدرک، (463/3). وشرف الدين، السيد عبد الحسين، (المتوفي: 1377هـ): المراجعات، تحقيق: حسين الراضي، ط2، 1402هـ، ص419.

⁴ الإسترابادي: الفوائد المدنية والشواهد المكية، ص117.

⁵ الفيض الكاشاني: الوافي، (22-23)، والحر العاملي، أبو جعفر محمد بن الشيخ الحسن بن علي، (المتوفي: 1104هـ): هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، ط1، 1414هـ، (567/8).

- 2- وكتكراره في أصل أو أصلين منها فصاعداً بطرق مختلفة وأسانيد عديدة معتبرة.
- 3- وكوجوده في أصل معروف لأحد الجماعة الذين أجمعوا على تصديقهم، أو تصحيح ما يصحّ عنهم، أو العمل برواياتهم¹.
- 4- وكاندرجه في أحد الكتب التي عرضت على أحد الأئمة المعصومين عليه السّلام، فأتوا على مؤلفيها².
- 5- كونه مأخوذاً من الكتب التي شاع من سلفهم الوثوق بها والاعتماد عليها.

نلاحظ أن هذه القرائن التي جعلوها دليلاً على صحة الروايات، قوالب واسعة جداً، القرينة الواحدة تدخل آلاف الأحاديث في زمرة الأحاديث الصحيحة، دون مراعاة حال الراوي وظروف الرواية من تحمل وأداء في كثير من الأحيان، ليقطعوا بعد ذلك بصحة كل ما ورد في الكتب الأربعة وغيرها من الأصول، معتمدين على هذه القرائن الواسعة وغير المنضبطة.

وقد لخص الإمام ابن تيمية الأصول التي اعتمد عليها متقدمو الشيعة في تصحيح الآثار والأخبار بقوله: "وعمدتهم في الشرعيات ما نقل لهم عن بعض أهل البيت، وذلك النقل منه ما هو صدق، ومنه ما هو كذب عمداً، أو خطأ، وليسوا أهل معرفة بصحيح المنقول وضعيفه كأهل المعرفة بالحديث، ثم إذا صح النقل عن بعض هؤلاء، فإنهم بنوا وجوب قبول قول الواحد من هؤلاء على ثلاثة أصول:

- 1- على أن الواحد من هؤلاء معصوم مثل عصمة الرسول ﷺ، وعلى أن ما يقوله أحدهم، فإنما يقول نقلاً عن الرسول ﷺ.

- 2- وأنهم قد علم منهم أنهم قالوا: مهما قلنا، فإنما نقوله نقلاً عن الرسول، ويدعون العصمة في أهل النقل.

¹ مثل أسعد بن زرارة، ومحمد بن مسلم، والفضل بن يسار، انظر: الفيض الكاشاني: الوافي، (23-22/1).

² ككتاب عبيد الله الحلبي الذي عرض على الصادق عليه السّلام وكتابي يونس بن عبد الرحمن والفضل بن شاذان المعروفين على العسكري عليه السّلام، انظر: الفيض الكاشاني: الوافي، (23-22/1). والحر العاملي: هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، (567/8).

3- أن إجماع العترة حجة، ثم يدعون أن العترة هم الاثنا عشر، ويدعون أن ما نقل عن أحدهم، فقد أجمعوا كلهم عليه، فهذه أصول الشرعيات عندهم، وهي أصول فاسدة¹.

أما الأصوليون فقد تمسكوا بالتقسيم الذي بدأ به الحلي، وساروا عليه ولم يرضوا بالقطع بصحة جميع الأخبار الواردة في كتب الأصول، وحاول الكثير منهم اسقاط علم الإسناد الموجود عند أهل السنة على روايات الشيعة، وكان أول جهد في هذا الباب ما قام به الشهيد الثاني في كتابه الرعاية في علم الدراية مع شيء من التعديل، وإخراج هذا العلم في ثوب شيعي بإضافة بعض الشروط عما هو موجود عند أهل السنة.

اهتم الأصوليون اهتماماً كبيراً بعلم دراية الحديث، وأخذ حيزاً كبيراً في التأليف المعاصر ولعل ذلك عائد إلى أمرين مهمين:

1- اعتبر الأصوليون هذا العلم والكتابة فيه حركة اجتهادية تصحيحية، ميزتهم عن جمود المدرسة الإخبارية وظهرت من خلاله بثوب تجديدي، يواكب الحاجة، ويقابل جمود المدرسة الإخبارية.

2- تخلصت الشيعة الإمامية من أمرين مهمين فيما يتعلق بمناظرة أهل السنة:

أ- دفع تعبير أهل السنة لهم على ضعفهم في هذا العلم، بل أصبحت هنالك مؤلفات وكتب كثيرة وتصنيف للروايات في الكتب الأربعة على نحو يشبه ما هو موجود عند أهل السنة.

ب- تخلصوا من كثير من النقد الموجه لهم، ولبعض الروايات الموجودة في كتبهم، بحجة أنها ضعيفة ولا يجوز العمل بها، وهذا خفف عنهم كثيراً، لأن بعض الروايات الموجودة في كتبهم لا يقبل بها عقل سوي، ويظهر الكذب والتلفيق فيها دون الحاجة إلى بحث سندها أو متنها، وقد شكلت هذه الروايات حرجاً كبيراً لهم في مناقشة خصومهم.

¹ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (1/ 69).

وبقي أن نعلم أن جل علوم الحديث التي بحثها الأصوليون في كتبهم المعاصرة هي من كتب أهل السنة، ولكن كان لا بد من إضافات وتعديلات ليظهر للقارئ وكأنه علم خاص بهم دون غيرهم وسوف أعرض أهم هذه الاختلافات.

• شروط الراوي

تتفق شروط الراوي عند الشيعة بشروط الراوي عند أهل السنة فقد جعلوا شروط الراوي، الإسلام، والعقل، البلوغ، العدالة، الضبط¹، وأضافوا شرط الايمان، وقصدوا به أن يكون الراوي إمامياً.

قال العاملي: "واشترطه هو المشهور بين الأصحاب، وحثهم قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوا﴾ {الحجرات:6}"² بل جعلوا مخالفة أهل السنة أصلاً من أصول النظر في الروايات الحديثية³، روى الكليني عن جعفر الصادق في جوابه عن تعارض الخبرين المرويين عن أهل البيت فقال: ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة فيؤخذ به، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة، قال السائل⁴: "جُعلت فداك أرايت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة، ووجدنا أحد الخبرين موافقا للعامة والآخر مخالفا لهم بأي الخبرين يُؤخذ؟ قال: ما خالف العامة ففيه الرشاد"⁵.

وقد أجاب الغريفي عن اختصاص العدالة بالإمامي دون غيره: "ويمكن الجواب عنه بأن اعتبار الإمامي الممدوح من أجل ثبوت عدالته بالمدح، لأنها عبارة عن حسن الظاهر المفسر بعدم

¹ الفضيلي: أصول الحديث، ص 185-192.

² العاملي، حسن بن زين الدين (المتوفى: 1011هـ): معالم الدين وملاذ المجتهدين، تحقيق: لجنة التحقيق، مؤسسة النشر الإسلامي، بقم، ص 200.

³ ومنهم من قبل برواية أهل السنة ووضعوا لها شروطاً تشبه الشروط التي وضعها أهل السنة في رواية المبتدع وهو مذهب الطوسي وغيره، وهذا أصل معروف مشتهر في كتب الشيعة وهو يشبه مخالفة أهل السنة لأهل الكتاب، انظر: الفضيلي: أصول الحديث، ص 186-188.

⁴ عمر بن حنظله، انظر: الكليني، الكافي، (67/1).

⁵ المرجع السابق: (68/1).

ظهور ما ينافي العدالة المقرون بالمدح، وهذا مختص بالإمامي، لعدم اتصاف غيره بالعدالة، وإن مُدِح أو وُثِق¹.

وهذا الأمر واضح جداً في تعريفهم للحديث الصحيح فقد قصره بنقل العدل الإمامي عن غيره دون سواه².

• أنواع الحديث

علمنا أن الأصوليين قسموا الحديث إلى عدة أقسام، ولا بد أن نعلم هذه الأنواع وتعريفهم لها³:

1- الحديث الصحيح: هو ما اتَّصل سنده بنقل عدل إمامي عن مثله في جميع الطبقات، حيث تكون متعددة، وإن اعتراه شذوذ.

2- الحسن: هو متَّصل السند إلى المعصوم، بإماميٍّ ممدوح في كلِّ طبقة غير منصوص على عدالته بالتوثيق.

3- ثمَّ الموثَّق، وهو ما دخل في طريقه فاسد العقيدة المنصوص على توثيقه.

وقد عرفه الملا كني: "ما كان جميع سلسلة سنده ممدوحين بالتوثيق الأعم الشامل للمقيد بالجوارح مع كون الجميع أو البعض من غير الإمامية مع اشتراط الاتصال السابق فإنه معتبر في الجميع عدا الضعيف"⁴.

4- القوي، وهو مروِّي الإمامي في جميع الطبقات الداخل في طريقه -ولو في طبقة ما- من ليس بممدوح ولا مذموم، مع سلامته عن فساد العقيدة، وقد عده بعضهم مع الموثوق ولم يذكره الشهيد الثاني في تقسيمه.

¹ الغريفي: قواعد الحديث، ص30.

² كما سينتقد.

³ انظر: الشهيد الثاني، الرعاية في علم الدراية، ص77-92. والداماد، محمَّد باقر بن محمَّد الحسيني (المتوفى: 1041): الرواشح السماوية، تحقيق: غلا محسن قيصريه ها، نعمة الله الجليلي، دار الحديث للطباعة والنشر، ط1، 1422هـ، ص72، البابلي: رسائل في دراية الحديث، (151/2-153).

⁴ الملا كني، علي الطهراني (المتوفى: 1306): توضيح المقال في علم الرجال، تحقيق: محمد حسين مولوي، دار الحديث، ط1، 1421هـ، ص246.

5- الضعيف فهو ما لا يستجمع فيه شروط أحد الأربعة المتقدّمة، بأن يشتمل طريقه على مجروح بالفسق أو بالكذب أو بالحكم عليه بالجهالة أو بآثمه وضّاع أو بشيء من أشباه ذلك، فهو مقابل الصحيح والحسن والموثّق والقويّ جميعاً، وربّما يقال: إنّه يقابل الموثّق والقويّ كليهما فقط، ودرجاته في الضعف: متفاوتة بحسب بعده عن شروط الصحة، فكلما بُعد بعض رجاله عنها، كان أقوى في الضعف، وكذا ما كثر فيه الرواة المجروحون، بالنسبة إلى ما قل فيه.

نلاحظ أن التقسيمات السابقة للأحاديث بناء على صحة الحديث من ضعفها، تشبه إلى حد كبير تقسيمات أهل السنة، مع بعض الاختلافات، ليظهر وكأنه علم خاص بالشيعة الامامية، فجعلوا من شروط ثقة الراوي وصحة الرواية، أن يكون الراوي إمامياً موالياً.

وقد أجرى الأصوليون هذا التقسيم على الكتب الأربعة وخلصوا إلى أن معظم الروايات في هذه الكتب ضعيفة ولو أنصفوا أكثر لقالوا إن الصحيح فيها نادر، ولا يكون إلا ما وافقوا أهل السنة في روايته، فقد قسموا أحاديث الكافي البالغة (16199) ستّة عشر ألف حديث ومائة وتسعة وتسعين حديثاً، الصحيح منها باصطلاح مَنْ تأخّر: (5072) خمسة آلاف واثنان وسبعون، والحسن: (149) مائة وتسعة وأربعون حديثاً، والموثّق: (1118) ألف ومائة وثمانية عشر حديثاً، والقوي منها: (302) اثنان وثلاثمائة، والضعيف منها: (9485) تسعة آلاف وأربعمائة وخمسة وثمانون حديثاً¹.

نلاحظ أن الأحاديث الصحيحة في أصح الكتب لدى الشيعة، وقد قطع كثير منهم بصحة ما فيه، لم تبلغ الثلث، بينما تجاوز الضعيف النصف وكذلك الموثوق المختلف بالعمل به والغريب أنه على تقسيمهم بقي 73 حديثاً لم تصنف في أي الأقسام.

¹ انظر: الصدر، السيد حسن (المتوفى: 1351): نهاية الدراية، ص546، تحقيق: ماجد الغريابي، نشر المشع، والسبحاني: كليات في علم الرجال، ص357، والبغدادي، الشيخ خالد، معاصر: تصحيح القراءة، مركز الأبحاث العقائدية، ط1، ص1427هـ، ص262.

قال المحقق الخوئي: "لم تثبت صحّة جميع روايات الكافي، بل لا شكّ في أنّ بعضها ضعيفة، بل إنّ بعضها يطمأن بعدم صدورها من المعصوم"¹.

وقال الطبرسي مستنكراً هذا التقسيم لأنه يُضعف معظم ما في كتب الشيعة: "وعلى ما ذكره فأكثر من نصف أخبار الكافي ضعيف لا يجوز العمل به، إلا بعد الانجبار، وأين هذا من كونه أجل كتب الشيعة، ومؤلفه أوثق الناس في الحديث وأثبتهم"².

ولعل أهم أسباب تقسيم الأصوليين للأحاديث في كتبهم، كان لعجزهم أمام مخالفيهم من أهل السنة في كثير من الروايات المتناقضة والموضوعة والتي شكلت لهم إخراجاً دائماً.

قال البغدادي: "وعليه فلا معنى للإلزام الإمامية كما هو دأب الكتاب من مخالفيهم بكلّ رواية موجودة في كتبهم الحديثية، ما لم تبلغ درجة الصحّة والتوثيق، أو تبلغ درجة التواتر، خاصّة إذا كانت ممّا له علاقة بأمر العقائد عندهم"³.

• حجية العمل

الصحيح منها حجة بلا خلاف بين القائلين بحجية خبر الواحد⁴، وأما الموثوق والحسن فالمشهور عندهم حجيتهما، وخالف في ذلك بعضهم.

قال الشهيد الثاني: واختلفوا في العمل بالحسن، فمنهم من عمل به مطلقاً: كالصحيح، ومنهم من رده مطلقاً وهم الأكثرون⁵.

وقال الغريفي: "والحق حجيتهما معاً، لقيام السيرة العقلانية¹ على قبول كل خبر كان المخبر به موثقاً به في نقله، أو حسن الظاهر ومدوحاً، ولم يثبت ردع عنها من قبل الشرع"².

¹ الخوئي: معجم رجال الحديث، (86/1).

² الطبرسي: خاتمة المستدرک، (506-505/3).

³ البغدادي: تصحيح القراءة، ص263.

⁴ الشهيد الثاني: الرعاية في علم الدراية، ص88

⁵ المرجع السابق: ص90.

¹ هي السيرة التي استمر عليها عمل العقلاء لم يثبت عن الشارع المقدس ردع عن العمل بها كما عرفها الحلبي، انظر: الحلبي، حسين ابن الشيخ علي بن الحاج حسين (المتوفي: 1379هـ): دليل العروة الوثقى، مطبعة النجف، ط1379هـ، (142/1).

² الغريفي: قواعد الحديث، ص28.

وأما الضعيف: فذهب الأكثر إلى منع العمل به مطلقاً، للأمر بالتنبئ عند إخبار الفاسق الموجب لرده، وأجازه آخرون مع اعتضاده بالشهرة روايةً، بأن يكتر تدوينها وروايتها بلفظ واحد، أو ألفاظ متغايرة متقاربة المعنى، أو فتوى بمضمونها في كتب الفقه، لقوة الظن بصدق الراوي في جانبها، أي جانب الشهرة وإن ضعف الطريق، فإن الطريق الضعيف، قد يثبت به الخبر، مع اشتهاً مضمونه¹.

• كيف يسلم لهم حديث وهم يفسقون عامة الصحابة؟

بقي أن نعلم أن المدرسة الأصولية متفقة تماماً مع المدرسة الإخبارية في العقائد، وعلى رأسها تكفير وتفسيق جل الصحابة رضوان الله عليهم، إلا صحابة رسول الله ﷺ من آل البيت ومن والاهم، ولهم مطاعن في الصحابة على وجه العموم، ولهم مطاعن في صحابة على وجه الخصوص، مثل الخلفاء الثلاثة، وعمرو بن العاص، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم أجمعين، وهذه المطاعن أصلها فتنة سياسية، ثم زندقة وإلحاد، وانتصار زائف أو انتصار بجهل وهوى، لعلي بن أبي طالب ﷺ، ودفاع عن أحقيته في الخلافة، ولم يسلم من هذا النقد والطعن إلا قلة سموهم في كتبهم، وجعلوهم ثلاثة عشر رجلاً.

قال البغدادي: " وأما الإمامية منهم فقد زعم أكثرهم أن الصحابة ارتدَّت بعد النبي ﷺ سوى عليّ وابنيه ومقدار ثلاثة عشر منهم"².

وكثير من الشيعة يرون العدد أقل من ذلك، أورد الكليني عن جعفر الصادق أنه قال: " كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ، إلا ثلاثة، قيل: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي"¹.

وفسر القمي قول الله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ {المائدة: 71} أي لا يكون اختبار ولا يمتحنهم

¹ انظر: الشهيد الثاني، الرعاية في علم الدراية، ص 92.

² البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 308.

¹ الكليني: الكافي، (245/8).

الله بأمرير المؤمنين عليه السلام، فعموا وضموا، قال: حيث كان رسول الله ﷺ بين أظهرهم " ثم عموا وضموا حين قبض رسول الله ﷺ، وأقام أمير المؤمنين عليه السلام عليهم، فعموا وضموا فيه حتى الساعة"¹.

وقال شيخهم عبد المحسن الموسوي: "وقد تواترت الأخبار عن أئمتنا الأبرار بردتهم"² أي الصحابة.

وقال مرتضى العسكري: "كان الخلفاء قبله قد غيروا وبدلوا من سنة الرسول ما يخالف سياستهم مما سماها اتباعهم من بعد باجتهاد الخلفاء"³.

ومعلوم من خلال كتب الشيعة أن الروايات المرفوعة عندهم إلى النبي ﷺ قليلة جداً، والمرفوعة إلى النبي ﷺ من طريق هؤلاء المرضي عنهم عند الشيعة أقل وأقل، وبذلك نعلم أن هناك انقطاعاً أكيداً في روايات الشيعة، لفقدان أهم حلقة من حلقات السند في رواياتهم، لنعلم أن جهد الأصوليون الحديثي شكلي في غالبه، ويفتقد أحد أهم أركانه وهو حلقة الصحابة رضوان الله عليهم. وقد بين ابن تيمية حال الشيعة من الأخيار الأطهار من الصحابة وغيرهم من رواة الحديث بقوله: "فإنهم يعمدون إلى خيار الأئمة يعادونهم..، ويعمدون إلى الصدق الظاهر المتواتر يدفعونه، وإلى الكذب المختلق الذي يُعلم فساده يقيمونه"¹.

• خلاصة مهمة

أشرت سابقاً إلى انقسام الشيعة إلى إخباريين وأصوليين، ورغم أن المدرسة الإخبارية نشأت في الدولة الصفوية، إثر الصراع الشديد الذي كان يجري في العصر الصفوي بصورة مكتومة، بين المؤسسة السياسية والمؤسسة الفقهية، فقد أخذ الصفويون يتضابقون من سعة دائرة نفوذ المؤسسة

¹ القمي، علي بن إبراهيم القمي (المتوفى: 329هـ): تفسير القمي، تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، إيران، ط3، 1404هـ، (175/2-176).

² والكلام بتكفير الصحابة والطعن فيهم من أهم ركائز مذهب الإمامية وهو مشتهر في كتب المتقدمين والمعاصرين من الإخباريين والأصوليين كثيراً، وقد أصبح الطعن والسب يظهر في المجلات والصحف والقنوات بعدما قويت شوكة إيران الرافضية، الموسوي، شرف الدين (المتوفى: 1377هـ): الفصول المهمة في تأليف الأمة، ط1، قسم الإعلام الخارجي لمؤسسة البعثة، ص200.

³ أي علي بن أبي طالب ﷺ، العسكري، مرتضى، معاصر: معالم المدرستين، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1410هـ، (352/2).

¹ ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (4/472).

الفقهية، وفي هذه الفترة بالذات ظهرت الحركة الإخبارية، ابتداءً من سنة 985هـ، ثم اتسعت هذه الحركة، وتمكنت من شق المدرسة الفقهية عند الشيعة الإمامية إلى شطرين متصارعين، فالحركة الإخبارية كانت هي البديلة لمؤسسة الاجتهاد، حتى تُرسخ الحركة الإخبارية أفكار الشيعة المتقدمة، وتحارب التصحيح وتنتصر للمذهب الحاكم.

ومع أن كلا المدرستين تنتسبان لعلماء الشيعة المتقدمين، إلا أننا نلمس في المؤلفات القديمة النزعة الإخبارية، وانسجاماً تاماً مع هذه المدرسة، واختلافاً كبيراً مع المدرسة الأصولية، وكأن المدرسة الأصولية ثارت على الأخطاء في التراث القديم.

ولم يرق هذا الأمر لعلماء الدولة الصفوية وهم من الإخباريين، فتصدوا لهم وكان على رأس هؤلاء: الإسترابادي، والحر العاملي، والفيض الكاشاني، وميرزا محمد الإخباري¹، وتظهر النزعة الإخبارية في كتب متقدمي الشيعة من خلال²:

1- عدم اهتمامهم بعلم الإسناد وعلوم الحديث، فأول كتبهم الحديثية الأصلية والمعتمدة ظهرت في بداية القرن الرابع الهجري، وأول تقسيم للأخبار في بداية القرن الثامن الهجري، وأول كتاب في علم دراية الحديث، في القرن العاشر الهجري.

2- عدم استيعاب كتب الرجال الرواة في الكتب الجامعة والمعتمدة لديهم، وبذلك يُعلم أن المتقدمين لم يهتموا لحال السند، إذ لو كان عندهم أدنى اهتمام، لظهرت عنايتهم برجال الأسانيد التي يروونها وينقلونها ويصحونها.

3- اعتراف كثير من محققي الشيعة أن علم الإسناد ودراية الحديث طراً على المذهب الشيعي متأخراً، ولم يعرف هذا العلم متقدمو علماء الشيعة.

4- إشارة متقدمي الشيعة أن الكتب الأربعة ملخص للأصول الأربعمئة الصحيحة والمعتمدة والمعروضة على الأئمة عليهم السلام، واثبات هذا الكلام يلغي أهمية دراسة الأحاديث فلا قيمة لها بعد القطع بتصحيحها.

¹ الطباطبائي: رياض المسائل، (1/105).

² هذه النتائج مبنية على المعلومات التي أثبتتها الباحثة في هذا المطلب.

5- احتجاج الشيعة الإخبارية على الأصولية بالنصوص القديمة والمروية عن علماء القرون المتقدمة، وكأنهم ينتسبون إليهم، ويتصلون من كل أصولي مجتهد مُحدث.

أما المدرسة الأصولية فهي وإن قالت بالاجتهاد وصنفت الأحاديث على نحو يشبه تصنيف أهل السنة، إلا أننا لا نُسلم لهم حتى بالروايات التي زعموا صحتها، وذلك لأسباب كثيرة نذكر منها:

1- أن الشيعة الإمامية بكافة اتجاهاتها يفسقون الصحابة رضوان الله عليهم ويكفرونهم، وهم حلقة الوصل بين النبي ﷺ والأجيال من بعده، والروايات عن الصحابة رضوان الله عليهم الموثوقين عندهم قليلة جداً بل نادرة في كتبهم، وجل رواياتهم منقولة بأسانيد منقطعة عن الإمام جعفر الصادق وغيره من أئمتهم فهي روايات عن الأئمة وليست عن النبي ﷺ.

2- عقيدة التقيّة والتي أقرّها علماء المدرسة الأصولية، دخلت في حياة الشيعة العلمية، فأخفوا أحاديث تقيّة وجرحوا رواه تقيّة وكذبوا على بعضهم تقيّة.

3- شهادتهم بوجود الفسقة والكذابين والمجاهيل في أسانيد رواياتهم، ولا يملك الشيعة الأصولية أن يُغيروا من واقع الرواة شيئاً.

4- شهادة بعض علمائهم أن روايات الشيعة لا تقبل النقد لأنها إذا أُعمل عليها هذا النقد سوف تنتهي ولا يبقى من المذهب الشيعي شيء، قال الحر العاملي: " وأصحاب الاصطلاح الجديد قد اشترطوا في الراوي العدالة، فيلزم من ذلك ضعف جميع أحاديثنا لعدم العلم بعدالة أحد منهم إلا نادراً"¹.

وبذلك يُعلم أن جهد المدرسة الأصولية الحديثي، وتقسيم الأخبار إلى أقسام حسب الصحة والضعف، والكتابة في علوم دراية الحديث، لا قيمة له علمية في الواقع، لأننا لو أعملنا هذه القواعد التي أصلوها في كتب دراية الحديث، لم يبقَ لهم من مذهبهم شيء البتّة.

¹ الحر العاملي: وسائل الشيعة، (260/3).

قال البحراني: "والواجب إما الأخذ بهذه الأخبار، كما هو عليه متقدمو علمائنا الأبرار، أو
تحصيل دين غير هذا الدين، وشريعة أخرى غير هذه الشريعة، لنقصانها وعدم تمامها، لعدم الدليل
على جملة من أحكامها، ولا أراهم يلتزمون شيئاً من الأمرين، مع أنه لا ثالث لهما في البين، وهذا
بحمد الله ظاهر لكل ناظر، غير متعسف ولا مكابر"¹.

¹ البحراني، يوسف بن أحمد، (المتوفى: 1186هـ): لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم الحديث، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، مكتبة فخرآوي، البحرين، ط1، 1429هـ، ص45.

المبحث الثالث

النواصب ومنهجهم في رواية الحديث

المطلب الأول: التعريف بالنواصب

أولاً: معنى النواصب

النواصب لغةً من نصب: والنَّصَبُ: الإِعياء والنَّعَبُ¹، ومعناه أن الإنسان لا يزال منتصباً حتى يَعيي².

وقال النابغة³: "كَلِينِي لَهُمْ يَا أُمِيمَةَ ناصِبٍ وَلَيْلِ أُنَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ"⁴.

"والنَّصَبُ: المريض الوجع، وقد نصبه المرض وأنصبه"⁵ والنَّصَبُ: "رَفَعُكَ شَيْئاً تَنْصِبُهُ قائماً مُنْتَصِيباً"⁶، ومن المجاز: تنصبت لفلان: عاديته نصباً، ومنه النواصب، والناصبية، وأهل النصب، وهم المتدينون ببغضة سيدنا أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب ﷺ وكرم وجهه لأنهم نصبوا له، أي: عادوه، وأظهروا له الخلاف⁷.

أما تعريف النصب اصطلاحاً فيقال: "لمذهب هو بغض علي بن أبي طالب، وهو طرف النقيض من الرفض، ويقال لهم: الطائفة النواصب"⁸، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ويمسكون عما شجر بين الصحابة"⁹.

¹ الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (المتوفى: 170هـ): العين، تحقيق: مهدي المخزمي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (135/7). الزبيدي: تاج العروس، (4/270).

² ابن فارس: مقاييس اللغة، (434/5).

³ زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع ابن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن قيس عيلان بن مضر أبو أمانة المعروف بالنابغة الذبياني، أحد شعراء الجاهلية المشهورين ومن أعيان فحولهم المذكورين، توفي قبل الإسلام، انظر: الجمحي: طبقات فحول الشعراء، (51/1)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، (19/221).

⁴ الأزهري: تهذيب اللغة، (147/12).

⁵ ابن منظور: لسان العرب، (758/1).

⁶ الفراهيدي: العين، (136/7).

⁷ أنظر: الزبيدي: تاج العروس، (4/277).

⁸ الكفوي: الكليات، ص906.

⁹ ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (3/154).

واختص النصب بجماعة ممن يؤذون الإمام عليّ ﷺ وهم في عدائه على درجات، فمنهم من يسبّه، ومنهم من يفسقه، ومنهم من يكفره¹.

وللنواصب معنيان أحدهما خاص: وهو النيل من عليّ ﷺ على وجه الخصوص، وقد كان في زمن تولي عليّ بن أبي طالب الخلافة، والمعنى العام: هو النيل من آل البيت رضوان الله عليهم على وجه العموم، وهذا ظهر بشكل واضح في خلافة بني أمية².

ثانياً: نشأة النواصب

نلاحظ قلّة في التعريفات للنواصب في كتب أهل السنة، فلم يُعرف هذا المصطلح في القرن الأول والثاني³، وكانت بدايات استعمال هذا المصطلح مرتبطة بالخوارج الذين ناصبوا العدا لعلّي ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية "وذلك أن النواصب - من الخوارج وغيرهم - الذين يكفرون عليّاً أو يفسقونه"⁴ وقال رحمه الله: "ورداً على من يطعن عليه من الخوارج وغيرهم من النواصب"⁵.

وبالرغم من عدم وضوح النصب كاتجاه مستقل مثل الفرق السياسية الأخرى، إلا ان أهل السنة، ميّزوهم وعرفّوهم بصفاتهم، قال أبو زرعة: "إذا رأيت الكوفي يطعن على سفيان الثوري.. فلا تشك أنه رافضي، وإذا رأيت الشامي يطعن على مكحول والأوزاعي، فلا تشك أنه ناصبي"⁶.

فالنواصب ليست فرقة ظاهرة المعالم متميزة، وثابتة في أفكارها، وإنما هي اتجاه سياسي في الغالب موافق للسلطان الأموي، تختلف أفكارها من شخص إلى آخر، ومن زمن إلى آخر، وقد انتشر هذا المصطلح في بداية القرن الرابع، وأصبح يدل على مدلول معين، أورد الإمام البغدادي

¹ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (7/339).

² أنظر: العواد، بدر بن ناصر بن محمد: النصب والنواصب دراسة تاريخية عقديّة، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط1، 1433هـ، ص69-76.

³ أنظر: العواد: النصب والنواصب دراسة تاريخية عقديّة، ص 69.

⁴ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (4/386).

⁵ المرجع السابق: (4/395).

⁶ ابن مفلح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله (المتوفى: 884هـ): المقصد الارشد، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1، 1410هـ-1990م، (2/70).

في ترجمة الفئبيطي¹ أنه قال: "لو أخذت معاوية على كتفك لقال الناس: رافضي، ولو أخذت أنا علياً على كتفي لقال الناس: ناصبي"².

ورغم أن بني أمية أكثر من تصدى للخوارج وحاربهم - وهم من يكفرون علياً - إلا أن النصب في عصرهم شاع وانتشر، ونيل من علي بن أبي طالب ﷺ على المنابر، قال الإمام الذهبي: "في آل مروان نَصَبٌ ظاهر سوى عمر بن عبد العزيز - رحمه الله"³.

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: "قلما كان في بني أمية من يسب علياً ﷺ ويذمه ويقول: إنه ليس من الخلفاء الراشدين، وتولى عمر بن عبد العزيز بعد أولئك، فقيل: إنه أول من ذكر الخلفاء الراشدين الأربعة على المنبر، فأظهر ذكر عليّ والثناء عليه، وذكر فضائله، بعد أن كان طائفة ممن يبغض علياً لا تختار ذلك"⁴.

وقال ابن عبد البر: "وقد كَانَ بنو أمية ينالون منه، وينقصونه، فما زاده الله بذلك إلا سمواً وعلواً ومحبةً عند العلماء"⁵.

أما سبب نشوء وظهور النصب، كما يذكر الإمام ابن تيمية: أنه كان بسبب اتهام عليّ ﷺ بدم عثمان بن عفان ﷺ، وأنه متلطح به، وما قُتل عثمان إلا بعلمه وبرضاه، وذلك لامتناعه عن تسليم قتلة عثمان⁶.

ولا شك أن هذا السبب سبب سياسي لنشوء هذا الاتجاه في الأمة الإسلامية، وبقي اتجاهًا سياسياً يناصر الخلفاء، وينتقص من عليّ ﷺ وآل بيته، ولم يتحول هذا الاتجاه السياسي إلى اتجاه عقدي، ولم يُعرف عنه أفكار خاصة ثابتة له كما عُرف عن فرقتي الشيعة والخوارج.

¹ عيسى بن حامد بن بشر، القاضي أبو الحسين الرُّحَجي ثم البغدادي، المعروف أيضاً بابن بنت الفئبيطي توفي في ذي الحجة سنة 368هـ، انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، (292/8).

² الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي (المتوفى: 463هـ): تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ-2002م، (18/3).

³ الذهبي: سير أعلام النبلاء، (113/5).

⁴ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (164/4).

⁵ القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (1118/3).

⁶ انظر: ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (405/4)، (452/7).

المطلب الثاني: منهج النواصب في رواية الحديث

غالى كثير من الشيعة في حبهم لآل البيت ورفعوا أئمتهم فوق الأنبياء والمرسلين، وكفروا الصحابة رضوان الله عليهم، وشنعوا عليهم في السب والطعن واللعن، فأنحرفوا عن أهل السنة والجماعة.

وفي انحراف مقابل للشيعة، انتقص النواصب من آل البيت وسبوهم وانتصروا لأمراء ولدولة بني أمية، و"دين الله وسط بين الغالي فيه، والجافي عنه، والله تعالى ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بأيهما ظفر: إما إفراط أو تفریط"¹.

فالنواصب اتجاء مقابل للشيعة وانحرف عن أهل البيت، ولم يتكون لهم فرقة محدودة المعالم والاتجاهات، وليس لهم كتب خاصة واجتهاد خاص يجمعهم كما الشيعة، ولا حتى عقيدة موحدة كالخوارج وفرقها، فيختلف النصب من رجل إلى آخر، حسب بغضه لآل البيت الأطهار، والانتصار للخلفاء والأمراء في الدولة الأموية².

وفي هذا المطلب أبحث بإذن الله مدى تأثير النواصب على الرواية الحديثية من خلال عدة مسائل.

المسألة الأولى: أقسام النواصب

علمنا أن النواصب ينقسمون إلى قسمين حسب الاعتقاد، نواصب مكفرة وغير مكفرة³، والقسم الثاني منهم كذلك ليسوا على درجة واحدة في النصب، وإذا نظرنا إلى ترجمة الرواة الذين رُموا بالنصب يمكن لنا أن نقسمهم إلى الأقسام التالية:

1- من بالغ في مدح بني أمية ولم يُعرف له سبب لآل البيت، فبعض الرواة بالغوا في مدح

بني أمية كونهم الفئة الحاكمة والمسيطرة، ولكن لم يوقعهم هذا المديح في الانتقاص من آل

البيت الأطهار ومثال ذلك:

¹ ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (3/ 381)

² العواد: النصب والنواصب دراسة تاريخية عقديّة، ص337.

³ انظر: المرجع السابق: ص101.

• **عبد المغيث بن زهير الحربي**¹، وهو الشيخ الإمام المحدث، الزاهد الصالح، الحنبلي، ولد سنة خمس مائة وتوفي رحمه الله سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة وعني بالآثار، وقرأ الكتب، وكان من أهل الصدق والتمسك بالسنن، إلا أنه، ألف جزءاً في فضائل يزيد.

قال ابن كثير: وله مصنف في فضل يزيد بن معاوية، أتى فيه بالغرائب والعجائب.

ومما يدل على أن مدحه لم يكن عن انحراف عن آل البيت رضوان الله عليهم، أن الخليفة الناصر² لما بلغه نهي الشيخ عبد المغيث عن سب يزيد، قصده وسأله عن ذلك، وعرف عبد المغيث أنه الخليفة، ولم يظهر أنه يعلمه فقال: يا هذا أنا قصدي كف السنة الناس عن لعنة خلفاء المسلمين وولاتهم، وإلا فلو فتحنا هذا الباب لكان خليفة وقتنا أحق باللعن، فإنه يفعل أموراً منكراً أعظم مما فعله يزيد، فإن هذا يفعل كذا ويفعل كذا، وجعل يعدد مظالم الخليفة³.

2- من اختلف النقاد في رميّه بالنصب فرماه البعض ونفاه عنه آخرون ومثاله⁴:

• **الهيثم بن الأسود**⁵: وهو النخعي أبو العريان الكوفي شاعر صدوق رمي بالنصب مات دون المائة بعد الثمانين، وهو أحد الشعراء وكان عثمانياً منحرفاً.

ومع ذلك وثقه نقاد آخرون ولم يعرجوا على نصبه، قال العجلي: كوفي، تابعي، ثقة من خيار التابعين، وقد وثقه ابن حبان في كتابه الثقات.

¹ انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، (15/ 349)، والصفدي: الوافي بالوفيات، (19/ 102)، وابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (4/ 574-575)، وابن كثير: البداية والنهاية، (16/ 598).

² هو أبو العباس، أحمد بن المستضئ بأمر الله الحسن، الناصر لدين الله، خليفة عباسي بويح بالخلافة بعد موت أبيه سنة 575هـ، توفي سنة 622هـ، انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، (16/ 385)، الزركلي: الأعلام للزركلي، (1/ 110).

³ انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، (12/ 760-761).

⁴ ليس الغرض من عرض أسماء الرواة الذين رموا بالنصب ترجيح ما إن كانوا نواصب أم لا، وإنما الغرض من ذلك بيان أن الرواة النواصب ليسوا على درجة واجدة من النصب.

⁵ انظر: العجلي: الثقات للعجلي، (2/ 335)، وابن حبان: الثقات، (5/ 507)، المزني: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (30/ 362)، ابن حجر: تهذيب التهذيب، (11/ 90)، وتقريب التهذيب، (ص: 577).

3- من وثقه النقاد وروى له الأئمة الكبار رغم نصبه.

- حريز بن عثمان بن جبر بن أحمر الحمصي¹: وثقه الذهبي في روايته وأثبت بدعته، ووثقه ابن حجر وأثبت له النصب، توفي سنة 163هـ.

ومع أن كبار الأئمة أثبتوا له النصب، نجد له توثيقات من أئمة كبار أيضاً، فقد وثقه الإمام أحمد وأبو داود وابن معين وأبو حاتم وأخرج له الإمام البخاري في صحيحه، وأصحاب السنن في سننهم، وبذلك نعلم أن بدعة الرجل لم تؤثر على روايته، لسير أئمة الحديث حديث الرجل وعرضه على أحاديث الثقات في ضبطهم، العدول في دينهم، وهذا منهج أهل السنة في تعاملهم مع رواية المبتدع كما سيأتي.

قال الإمام أحمد: حديث حريز نحو من ثلاث مئة، وهو صحيح الحديث².

وقال الإمام الذهبي عن حريز: كان متقناً ثباتاً، لكنه مبتدع³.

4- من اتفق النقاد على رميه بالنصب ولم يقبلوا روايته لأنه كان داعياً لبدعته.

- ربيعة بن يزيد السلمى⁴:

كان من غلاة النواصب، قال ابن عبد البر: كان من النواصب يشتم علياً عليه السلام، لذلك أعرض الرواة عنه، وقال أبو حاتم الرازي: "ليس بمشهور ولا يروى عنه الحديث"⁵.

ولم أجد من قسم النواصب غير المكفرة إلى أنواع، ولكن يظهر ذلك من خلال ترجمة علماء الجرح والتعديل للنواصب، وقبولهم الرواية عن بعضهم وامتناعهم عن البعض الآخر، وما ذلك إلا لاختلاف درجة النصب بينهم، فقبلوا حديث بعض النواصب بعد سبر حديثهم، وأعرضوا

¹ انظر: المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (5/ 572)، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (المتوفى: 748هـ): الكاشف، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبة للثقافة الإسلامية، جدة، ط1، 1413هـ، (1/ 319). وميزان الاعتدال، (1/ 475)، ابن حجر: تقريب التهذيب، (ص: 156).

² المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (5/ 572).

³ الذهبي: ميزان الاعتدال، (1/ 475)

⁴ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (2/ 494)، الصفي: الوافي بالوفيات، (14/ 60).

⁵ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، (3/ 472).

عن آخرين، مثلما قبلوا أحاديث بعض ممن رُموا بالتشيع اليسير¹، وأعرضوا عن غلاة الشيعة والروافض، غير أن الكلام في النصب أقل من كلامهم في التشيع، لأن التشيع بقي حياً وله عقائد خاصة يتميز بها الشيعة، وينفصلون عن مجموع الأمة عبر القرون، خلافاً للنواصب فهو اتجاه اشتد في زمن بني أمية ثم عُمر ولم يُكتب له الاستمرار.

المسألة الثانية: النواصب ووضع الحديث

لكل إفراط تقريظ مقابل له في الاتجاه سواءً كان مثله في المقدار أو ينقص أو يزيد، ومن إفراط الشيعة في وضع الأحاديث في ذم الصحابة رضوان الله عليهم عامة، وذم الخلفاء الثلاثة ومعاوية رضي الله عنهم على وجه الخصوص، إلى إفراط النواصب وبعض جهلة أهل السنة في وضع بعض الأحاديث، في مدح معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وأحياناً أخرى وضع الأحاديث في ذم أهل البيت رضي الله عنهم أجمعين.

وقد بين ابن الجوزي رحمه الله: أن بعض المتعصبين من أهل السنة وضعوا أحاديث في فضائل معاوية رضي الله عنه ليغضبوا الرافضة².

وقال ابن القيم: "ومن ذلك ما وضعه بعض جهلة أهل السنة في فضائل معاوية بن أبي سفيان"³.

وقال ابن حجر: "وأما الفضائل فلا تحصي كم وضع الرافضة في فضل أهل البيت وعارضهم جهلة أهل السنة بفضائل معاوية بل وبفضائل الشيخين، وقد أغناهما الله وأعلى مرتبتهما عنها"⁴.

¹ مثل: شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي قال عنه الذهبي: فيه تشيع خفيف على قاعدة أهل بلده، وأبو نعيم الفضل بن دكين التيمي الطلحي، قال فيه الذهبي: وكان في أبي نعيم تشيع خفيف، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، (7/ 247)، (8/ 309).

² ابن الجوزي: الموضوعات، (2/ 15)

³ ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): المنار المنيف في الصحيح والضعيف والمقبول، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط1، 1390هـ، (ص: 116).

⁴ ابن حجر: لسان الميزان، (1/ 13).

ومن الأحاديث الموضوعة في فضل معاوية بن أبي سفيان ﷺ ما أخرجه ابن الجوزي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: " لما نزلت آية الكرسي قال رسول الله ﷺ لمعاوية: اكتبها، فقال: ما لي بكتابتها إن كتبتها، قال: لا يقرأها أحد إلا كتب لك أجرها"¹.

وأورد أيضا أن النبي ﷺ خشي على معاوية من أن يفتتن لكتابته الوحي فاستشار جبريل فقال: "استكتبه فإنه أمين"².

وعمد بعض الوضاعين من النواصب وجهلة أهل السنة إلى الانتقاص من أمير المؤمنين علي ﷺ، وتحريف بعض الآثار الواردة في فضله بهدف الانتصار لمعاوية بن أبي سفيان ولبنو أمية، ومن ذلك ما أورده الخطيب البغدادي وغيره³ عن حريز بن عثمان⁴ قال: هذا الذي يرويه الناس عن النبي ﷺ قال لعليّ: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى"⁵ حق ولكن أخطأ السامع.

قلت: فما هو؟ قال: إنما هو أنت مني مكان قارون من موسى.

وقد اعترف بعض جهلة أهل السنة بالوضع رداً على وضع الشيعة الحديث، فقد أورد الإمام الذهبي عن أبي حيان⁶ أنه وضع رسالة في فضل أبي بكر وعمر وغيرهما نكاية بالرافضة، وجعل سبب ذلك أنهم كانوا يحضرون مجلس بعض الوزراء، وكانوا يغلون في حال عليّ، قال: فعملت هذه الرسالة⁷.

¹ وهذا وضعه حسين بن علي الحنائي، أنظر: ابن الجوزي: الموضوعات، (2/ 16).

² ابن الجوزي: الموضوعات، (2/ 17).

³ انظر: البغدادي: تاريخ بغداد، (8/ 262)، والمزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (5/ 577).

⁴ وردت ترجمته سابقاً: ص 98.

⁵ البخاري: صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن ﷺ، رقم 3706، (5/ 19)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، رقم 2404، (4/ 1870).

⁶ علي بن محمد بن العباس التوحيدي، أبو حيان: فيلسوف، متصوف معتزلي، نعتة ياقوت بشيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء، وقال ابن الجوزي: كان زنديقا كذاباً، توفي نحو سنة 400هـ، انظر: الذهبي: ميزان الاعتدال، (4/ 518)، ابن حجر: لسان الميزان، (7/ 38)، الزركلي: الأعلام، (4/ 326).

⁷ انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، (12/ 548).

ولكن عند المقارنة بين حجم الموضوعات من جهة النواصب وبعض جهلة أهل السنة، وما وضعة الشيعة سواءً كان في فضل الأئمة أو في ذم الخصوم، نجد أن ما وضعه الشيعة أضعاف مضاعفة.

قال الإمام ابن تيمية: "والناس قد رووا أحاديث مكذوبة في فضل أبي بكر وعمر، وعثمان، وعليّ، ومعاوية رضي الله عنهم وغيرهم، لكن المكذوب في فضل عليّ أكثر، لأن الشيعة أجرأ على الكذب من النواصب"¹.

وقد قيل ليزيد بن هارون²: "لم تحدث بفضائل عثمان، ولا تحدث بفضائل عليّ؟ قال: إن أصحاب عثمان مأمونون على عليّ، وأصحاب عليّ ليسوا بالمؤمنين على عثمان"³.

ويشهادة بعض الشيعة أنفسهم فإنّ جل ما في كتبهم هو من الضعيف والموضوع، أما إذا طبقنا قواعد علماء الحديث على كتبهم، فلا يسلم لهم منها إلا نزر يسير مما وافقوا أهل السنة فيه.

المسألة الثالثة: رأي النواصب في الصحابة

لم يعرف للنواصب جرح للصحابة رضوان الله عليهم، إلا ما كان من تحاملهم على عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعلى آل بيته الأطهار، وما ذلك إلا لتحول الموقف من عليّ وآل بيته، إلى موقف سياسي تبنته الدولة الأموية في تثبيت أركانها وصيانة ملكها من منافس قوي، له محبة في قلوب الناس وطاعة⁴.

ومع أن النواصب انحرفوا عن عليّ عليه السلام، وسبوه ومنهم من فسقه، إلا أنه لم يصل بهم الحال إلى تكفيره كما فعلت الشيعة في تكفيرهم لجمهير الصحابة الذين لم يوالوا عليّاً عليه السلام بزعمهم.

¹ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (7/ 442).

² يزيد بن هارون ابن زاذان السلمي الواسطي ثقة متقن عابد من التاسعة، قال ابن المديني: ما رأيت أحفظ منه وقال العجلي ثبت متعبد توفي سنة 206هـ، وقد قارب التسعين، وكان قد عمي في آخر حياته انظر: الذهبي: الكاشف، (2/ 391)، وابن حجر: تقريب التهذيب، (ص: 606).

³ الخطيب: تاريخ بغداد، (3/ 76).

⁴ الذهبي: سير أعلام النبلاء، (5/ 113)، وابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (4/ 164).

قال الامام الذهبي: "وكان الناس في الصدر الأول بعد وقعة صفين على أقسام: سنة: وهم أولو العلم، وهم محبوبون للصحابة، كافون عن الخوض فيما شجر بينهم، شيعة: يتوالون، وينالون ممن حاربوا علياً، ويقولون: إنهم مسلمون بغاة ظلمة، نواصب: وهم الذين حاربوا علياً يوم صفين، ويقرون بإسلام عليّ وسابقيه، ويقولون: خذل الخليفة عثمان.

فما علمت في ذلك الزمان شيعياً كفر معاوية وحزبه، ولا ناصبياً كفر علياً وحزبه، بل دخلوا في سب وبغض، ثم صار اليوم شيعة زماننا يكفرون الصحابة، ويبرؤون منهم جهلاً وعدواناً، ويتعدون إلى الصديق - قاتلهم الله -، وأما نواصب وقتنا فقليل، وما علمت فيهم من يكفر علياً ولا صحابياً¹.

المسألة الرابعة: نظرة النواصب للرواية الحديثية

لم يعرف للنواصب منهج مستقل في الحديث الشريف، بل كانوا تبعاً لعلماء الحديث فأخذوا الحديث وعلومه عنهم، وليس لهم كتب خاصة بهم تميزهم عن غيرهم، ولم تنتوع بدعتهم وتتعدد مثل الشيعة والخوارج، بل انحصرت بدعتهم في جانب الغلو في دولة بني أمية والانتقاص من آل البيت الأطهار، وكان بعدهم عن أهل السنة بمقدار الغلو في هذه البدعة التي لم يكتب لها البقاء طويلاً، ولعل ذلك عائد إلى سببين اثنين كما بين الدكتور بدر العواد²:

1- أن وجود النصب وبقائه مرتبط ارتباطاً وثيقاً ببني أمية، وقد زالت دولة بني أمية، ومن المعلوم أنه إذا زال سبب الشيء زال الشيء ذاته.

2- أن النواصب في مجملهم كانوا تحت لواء أهل السنة، ولأهل السنة جهود كبيرة في رد أباطيل النواصب وتفنيدهم مزاعمهم.

قال الإمام الذهبي: "كان النصب مذهباً لأهل دمشق في وقت، كما كان الرفض مذهباً لهم في وقت، وهو في دولة بني عبيد³ ثم عدم والله الحمد النصب، وبقي الرفض خفيفاً خاملاً⁴.

¹ الذهبي: سير أعلام النبلاء طبعة الرسالة، (5/ 374)، إذا لم أجد هذا النص في طبعة دار الحديث.

² العواد: النصب والنواصب دراسة تاريخية عقديّة، ص 651.

³ هي الدولة العبيدية أول ما أقيمت بالمغرب على يد المهدي أبو محمد عبيد الله 296 هـ، وحكم بعده أربعة عشر خليفة، انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، (7/ 158)، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ): تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1425، (ص: 367).

⁴ الذهبي: ميزان الاعتدال، (1/ 76).

الفصل الثالث

أسباب الوضع ومدى تأثير الهوى السياسي على الرواية الحديثية

المبحث الأول

أسباب وضع الفرق السياسية الأحاديث والمسالك، المتبعة لذلك

بدأ الوضع في الحديث بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وظهور الخلافات السياسية، وقد ازداد بعد ذلك على أثر الفتن السياسية التي وقعت بين المسلمين، كموقعة الجمل وصفين والنهروان، حيث كانت هذه الأحداث مبعث نشوء الأحزاب السياسية كالشيعة والخوارج والنواصب وغيرهم، ولما لم تسعف نصوص القرآن والسنة هذه الفرق للترويج لأفكارهم لجأ بعض منتحليها إلى الكذب، فلم يجدوا مجالاً للتلاعب بكتاب الله المحفوظ في الصدور والسطور، فلجأوا إلى الوضع في الحديث الذي تأخر جمعه عن القرآن¹.

قال ابن سيرين: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم، فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، ويُنظر إلى أهل البدع فلا يُؤخذ حديثهم"².

وقد اختلفت المسالك التي سار عليها الوضّاعون في وضعهم للحديث، وتتلخص مسالك الفرق السياسية في وضعهم للحديث في ثلاثة مسالك رئيسة:

1- فضائل الصحابة والأئمة

لم يقتنع المبتدعة بالآثار الصحيحة في فضل الصحابة رضوان الله عليهم، فدفعهم الغلو فيهم إلى اختلاق أحاديث في فضائلهم، ظناً منهم أنهم بذلك يزيدون من أتباعهم وينتصرون على خصومهم، وأكثر من بالغ في هذا الباب هم الشيعة، فالوضع منهجهم وسبيلهم، في الانتصار لآل البيت رضوان الله عليهم.

¹ العمري، أكرم بن ضياء: بحوث في تاريخ السنة المشرفة، (ص: 23)، بساط، بيروت، ط4.

² مسلم: صحيح مسلم، مقدمة الإمام مسلم، باب في أنّ الإسناد من الدين، (1/ 15).

قال أبو الفرج بن الجوزي "فضائله الصحيحة كثيرة غير أن الرافضة لم تقنع فوضعت له ما يضع ولا يرفع وحوشيت حاشيته من الاحتجاج إلى الباطل"¹.

وقال ابن القيم: "وأما ما وضعه الرافضة في فضائل عليّ فأكثر من أن يعد"².

والأحاديث الموضوعة في فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأحقيته بالخلافة أكثر من أن تحصى في كتب الشيعة، ذكر الحافظ أبو يعلى الخليلي أن مجموع ما وضعت الشيعة من فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته زاد على ثلاثمائة ألف حديث³.

وقد غالى الشيعة في أئمتهم حتى رفعوهم فوق الأنبياء والصحابة رضوان الله عليهم، أورد المجلسي "عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كنت أنا وعليّ عن يمين العرش، نسب الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما خلق آدم جعلنا في صلبه، ثم نقلنا من صلب إلى صلب في أصلاب الطاهرين، وأرحام المطهرات حتى انتهينا إلى صلب عبد المطلب، فقسمنا قسمين:

فجعل في عبد الله نصفاً، وفي أبي طالب نصفاً، وجعل النبوة والرسالة فيّ، وجعل الوصية، والقضية في عليّ، ثم اختار لنا اسمين اشتقهما من أسمائه: فالله المحمود وأنا محمد، والله العليّ وهذا عليّ، فأنا للنبوة والرسالة، وعليّ للوصية والقضية"⁴.

والأحاديث التي غالى فيها الشيعة في فضل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وآله كثيرة جداً، ويكفي المرء أن ينظر في أي من كتبهم الحديثية ليرى العجب العجائب.

وفي المقابل غالى بعض النواصب وبعض الجهلة ممن ينتسبون لأهل السنة، في معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما ودولة بني أمية، ووضعوا بعض الأحاديث انتصاراً لهم.

¹ ابن الجوزي: الموضوعات، (1/ 338).

² ابن القيم: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ص116.

³ انظر: أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (المتوفى: 446هـ): الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ، (1/ 420).

⁴ المجلسي: بحار الانوار، (15/ 12).

وقد أورد ابن الجوزي جملة من الأحاديث في كتابه الموضوعات في فضل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، منها:

- 1- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الأمناء عند الله ثلاثة: جبريل وأنا ومعاوية"¹.
 - 2- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: "أوحى الله عز وجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم: "استكتب معاوية فإنه أمين مأمون"².
 - 3- حديث أنس رضي الله عنه، إن الله استأمن على وحيه في السماء جبريل، وفي الأرض محمد صلى الله عليه وسلم ومعاوية بن أبي سفيان³.
- ومع ورود بعض الروايات المكذوبة في فضل معاوية بن أبي سفيان وبعض الصحابة رضوان الله عليهم من قبل بعض النواصب إلا أن الروايات التي وضعتها الشيعة في فضائل آل البيت أضعاف مضاعفة، ولا مقارنة بين ما وضعت الشيعة وما وضعت النواصب.
- قال الامام ابن تيمية: "والناس قد رووا أحاديث مكذوبة في فضل أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ومعاوية رضي الله عنهم وغيرهم، لكن المكذوب في فضل عليّ أكثر، لأن الشيعة أجراً على الكذب من النواصب"⁴.

2- ذم الخصوم

ومن الطرق التي سارت عليها الفرق السياسية في وضع الحديث، ذم الخصوم، ولما كان الحديث الشريف يمثل قدسية عند الناس، جعلوا هذا الذم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، افتراءً عليه وظلماً وتعدياً على خصم لا يستحق هذا الذم.

ولما كانت الشيعة أكثر الفرق السياسية وضعا للحديث، كانت أيضاً أكثر الفرق استخداماً لهذا المسلك في وضعها، لأنهم عادوا مجموع الصحابة رضوان الله عليهم، ولم يسلم منهم إلا اليسير.

¹ ابن الجوزي: الموضوعات، (2/ 17).

² المرجع السابق: (2/ 18).

³ المرجع السابق: (2/ 18).

⁴ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (7/ 442).

وقد صبوا حقدهم على خير الصحابة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وسموهم الطاغوتان، واللات والعزى، وفرعون وهامان، وغيرها من الأوصاف¹، رغم اسبقتهما في الإسلام وعلمهما وفضلهما فيه، وثبوت النصوص الصحيحة عن النبي ﷺ في فضلها.

وجعلوا سبَّ الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة ومعاوية بن أبي سفيان وأم المؤمنين عائشة من أوثق عرى الإيمان، وقد بَوَّبَ المجلسي في كتابه باب كفر الثلاثة²، وختم هذا الباب بقوله: "الأخبار الدالة على كفر أبي بكر وعمر وأضرابهما وثواب لعنهم والبراءة منهم، وما يتضمن بدعهم أكثر من أن يذكر في هذا المجلد أو في مجلدات شتى، وفيما أوردنا كفاية لمن أراد الله هدايته إلى الصراط المستقيم"³.

ويلغ بهم الكذب والبهتان أنهم كفَّروا كل من خالفهم وحكموا عليه أنه خالد مخلد في نار جهنم، قال المجلسي: "اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام وفضلَّ عليهم غيرهم يدل على أنهم كفار مخلدون"⁴.

3- تأصيل الأفكار

بعض أفكار الفرق السياسية، ليس لهم عليها مستند في كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ، ولا حتى قولاً لصحابي، رغم أهمية هذا المعتقد ومركزيته في منهجهم، فإما أن يسقط هذا المعتقد، أو يجلبوا له ما يؤيده ويسانده من أحاديث مختلقة على رسول الله ﷺ.

ومن أكثر القضايا التي وضعت فيها الشيعة الأحاديث: مسألة الولاية والوصاية، والولاية من أهم العقائد التي نادى بها الشيعة على مر الزمان، بل وجعلوها من أركان الإسلام الخمسة فقد أورد الكليني عن أبي جعفر قال: "بني الإسلام على خمس: الصلاة والزكاة، والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير"⁵.

¹ المجلسي: بحار الانوار: (587/27)، (284/52).

² أي الخلفاء الراشدين الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، انظر: المجلسي: بحار الانوار، (145/30).

³ المرجع السابق: (399/30).

⁴ المرجع السابق: (390/30).

⁵ الكليني، الكافي، (21/2).

وبذلك جعلوا الولاية أهم أركان الإسلام وجعلوها محل شهادة التوحيد في تحريف ظاهر للحديث الصحيح الذي يرويه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ"¹.

وجعلوا تمام الدين لا يكون إلا بالولاية، فقد نقل المجلسي عن الرضا قوله: "كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدونا"².

وقد ادعوا أن الوصاية بشر بها الأنبياء عليهم السلام مثل بشارتهم بنبوة محمد ﷺ، أورد الكليني، عن أبي الحسن قال: "ولاية عليّ عليه السلام مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ولن يبعث الله رسولا إلا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله ووصية عليّ عليه السلام"³.

ومن هوسهم في الوصاية أنهم جعلوا الأوصياء بعدد الأنبياء، وأفضلهم عليّ بن أبي طالب ﷺ، أورد المجلسي أن النبي ﷺ قال: "خلق الله عز وجل مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي أنا أكرمهم على الله ولا فخر، وخلق الله عز وجل مائة ألف وصي وأربعة وعشرين ألف وصي فعليّ أكرمهم على الله وأفضلهم"⁴.

وقد تفنن الشيعة بالوضع انتصاراً لمذهبهم الفاسد، ولم يتركوا باباً من أبواب العلم إلا ولهم فيه باع طويل في الوضع والكذب على رسول الله ﷺ وعلى آل بيته رضوان الله عليهم.

¹ البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: بني الإسلام على خمس، 8، (1/ 11)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس، 5، (1/ 45).

² المجلسي: بحار الأنوار، (58/27).

³ الكليني، الكافي، (1/ 437).

⁴ المجلسي: بحار الأنوار، (30/11).

المبحث الثاني

تأثير الهوى السياسي على الرواية الحديثية

علمنا من خلال الفصول السابقة أنّ الفرق السياسية حملت أفكاراً ومعتقدات فاسدة، ليس لهم عليها دليل أو برهان صحيح غير مؤول من كتاب الله ﷻ أو سنة نبيه محمد ﷺ، وكان لهذه الأفكار الدخيلة تأثير، وكان تأثير الهوى السياسي واضحاً في نظرتهم للسنة النبوية، ويظهر تأثير الهوى السياسي على الرواية الحديثية من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: تضعيف صحابي وإسقاط مروياته.

لا يخفى أهمية الموقف من الصحابة رضوان الله عليهم بالنسبة للرواية الحديثية، فهم الحلقة الأولى من حلقات الإسناد، وهم من سمع من النبي ﷺ مباشرة، وعاشوه ورأوا أفعاله، فهم من تحمّل سنة النبي ﷺ القولية والفعلية والتقريرية، ثم أدوا هذه السنة لمن بعدهم، لذا لا يمكن الفصل بين الموقف من الصحابة والسنة، وهما قضيتان متلازمتان فلا يمكن الادعاء بالأخذ بالسنة والطعن بالصحابة.

ومن تأثير الهوى السياسي عند الفرق السياسية، أنهم جعلوا بعض الصحابة، وأحياناً أكثرهم خصماً لهم، فكفروهم وسبوهم وطعنوا بعدالتهم، ومؤدى هذا أنهم ضعفوا كل رواية لهم.

ولمّا كان أبو هريرة ﷺ على رأس المكثرين من الصحابة رضوان الله عليهم، في رواية الحديث، توجهت سهام الباطل نحوه، فكذبوه وضعفوا حديثه، وألفوا الكتب فيه كذباً عليه واتهاماً له بالباطل¹.

¹ شرف الدين، عبد الحسين بن يوسف بن جواد بن إسماعيل (المتوفى: 1377هـ): أبو هريرة، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، ص8.

وقد زعم الشيعة¹ أن علياً عليه السلام قال: "أكذب الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله أبو هريرة الدوسي"².

وقال العاملي: "وأبو هريرة المشهور بالأكاذيب في الدين"³.

فالشيعنة لا يعتبرون من السنة إلا ما كان مروياً عن طريق أهل البيت، أما ما كان مروياً عن أبي هريرة وغيره من الصحابة، فليس له من الاعتبار عندهم مقدار بعوضة كما بين كتأ الشيعة⁴، بل وزعموا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:⁵ "شهد عليه بأنه عدو الله وعدو المسلمين، وحكم عليه بالخيانة"⁶.

كل ذلك لأن أبا هريرة رضي الله عنه أكثر من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد بلغت مجموع رواياته في كتب السنة، كما بين أهل الحديث (5374)⁷ حديثاً عن رسول الله، ولذلك استكثر عليه الناس هذا

¹ وكلام الشيعة في أبي هريرة والوقعة فيه مشتهر جداً في كتبهم الحديثية: القديمة والحديثة ولعل ذلك لسببين: أ- أن أبا هريرة لم يكن من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان هذا دافعاً لهم للقدح فيه والطنن في روايته. ب- لما كان أبو هريرة على رأس السبعة المكثرين، كان الطنن في مروياته طعنأ في المذهب السني وقدحاً فيه وهذا ما أرادته الشيعة.

² انظر: الطبري، محمد بن جرير بن رستم، الشيعي- وهو غير ابن جرير الطبري العالم المفسر- (المتوفي: القرن الرابع): المسترشد، تحقيق: الشيخ أحمد المحمودي، مؤسسة الثقافة الإسلامية، ط1، 1415هـ، ص170. والمجلسي: بحار الأنوار، (215/33).

³ العاملي، علي بن حسين بن علي بن محمد بن عبد العالي العاملي (المتوفي: 940): رسائل الكركي، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، مكتبة آية الله العظمى، ط1، 14109هـ، (230/2).

⁴ كاشف الغطاء، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (المتوفي: 1373هـ)، أصل الشيعة وأصولها، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة الإمام علي، ط1، 1415هـ، ص236.

⁵ قد تكلم بعض الصحابة رضوان الله عليهم في إكثار أبي هريرة من الرواية ومنهم عمر بن الخطاب، ومن ذلك ما أخرجه ابن عساکر من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لأبي هريرة لتترك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لأحقتك بأرض دوس، وقد فرح الشيعة وغيرهم ممن انتقد أبا هريرة بهذا الأثر ونظائره مما صح أو لم يصح، من غير تمييز أن عدم الإكثار من الرواية كان منهج الصحابة في خلافة أبي بكر وعمر بهدف التثبيت وصيانة حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بدليل أن هذا الزجر كان لأبي هريرة وغيره من المكثرين، ولكنهم قصره على أبي هريرة لحاجة في أنفسهم، انظر: ابن عساکر: تاريخ دمشق، (50 / 172)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، (2 / 601).

⁶ الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر (المتوفي: 726هـ): تذكرة الفقهاء، مؤسسة آل البيت، ط1، 1414هـ، (163/3).

⁷ انظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (المتوفي: 508هـ)، تلقيح فهم أهل الأثر، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1997م، ص263. وصفي الدين، أحمد بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العليم الخزرجي الأنصاري (المتوفى: بعد 923هـ): خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر، بيروت، ط5، 1416هـ، (ص: 462).

العدد من الروايات الكثيرة عن رسول الله ﷺ، رغم قصر صحبته حيث أسلم ﷺ، في السنة السابعة من الهجرة¹، أي أنه صحب النبي ﷺ نحو أربع سنوات.

وهذا الاستشكال لم يكن حديثاً، بل كان زمن أبي هريرة ﷺ، وقد وضّح بنفسه ﷺ سبب إكثاره من الرواية حيث قال: "يَقُولُونَ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ، وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ، وَيَقُولُونَ: مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ؟ وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْأَنْصَارِ كَانُوا يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ أَمْرًا مَسْكِينًا، أَلْزَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلءِ بَطْنِي، فَأَحْضُرُ حِينَ يَغِيبُونَ، وَأَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا: «لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعُهُ إِلَى صَدْرِهِ فَيَنْسَى مِنْ مَقَالَتِي شَيْئًا أَبَدًا» فَبَسَطْتُ نَمْرَةً لَيْسَ عَلَيَّ ثَوْبٌ غَيْرُهَا، حَتَّى قَضَى النَّبِيُّ ﷺ مَقَالَتَهُ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَوَالَّذِي بَعَنَّهُ بِالْحَقِّ، مَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَتِهِ تِلْكَ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَاللَّهِ لَوْلَا آيَاتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مَا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا أَبَدًا ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ {البقرة:159}، إلى قوله تعالى: [الرَّحِيمُ] {البقرة:160}."2.

ولكن اذا نظرنا في روايات أبي هريرة ﷺ، فهي كما نقل أهل الحديث 5374 روايةً، وقد تتبع الدكتور محمد الأعظمي³ هذه الروايات، وحذف منها المكرر من شواهد ومتابعات، والأحاديث التي يروي فيها أبو هريرة عن حياته وسيرته، فبقي منها 1336 حديثاً، فإذا قسمنا عدد هذه الأحاديث على الأيام التي لازم فيها أبو هريرة النبي ﷺ، نجد نسبة ما تلقاه أبو هريرة ﷺ في اليوم الواحد حديث ونصف⁴.

¹ انظر: القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (4/ 1771)، وابن عساكر: تاريخ دمشق، (16/ 229).

² البخاري: صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب ما جاء في الغرس، 2350، (3/ 109)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي هريرة الدؤبي رضي الله عنه، (4/ 1940).

³ انظر: الأعظمي، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، أبو هريرة في ضوء مروياته بشواهد وحال انفرادها، ص5-8، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، 1392هـ.

⁴ ذكر الأعظمي أن نسبة ما تحمله أبو هريرة حديث ونصف لكل يوم، والصحيح أقل من ذلك، لأن أبا هريرة أسلم في السنة السابعة في شهر محرم، وبذلك يكون عايش النبي ﷺ، أربع سنوات وشهرين تقريباً، ومجموع ذلك بالأيام تقريباً 1480 يوم.

ثم بين الدكتور الأعظمي أن هذا العدد من الأحاديث تابع فيه الصحابة رضي الله عنهم
أبا هريرة في أكثرها، فإذا نظرنا في الأحاديث الصحيحة التي تفرد فيها أبو هريرة رضي الله عنه نجدها لا
تتجاوز 220 حديثاً.

وقد تابع الأستاذ محمد المطيري¹، بحث الدكتور الأعظمي مستعيناً في بحثه بالموسوعات
الإلكترونية، فوجد أن الأحاديث التي تفرد بها أبو هريرة رضي الله عنه 110 أحاديث فقط، وليست 220
حديثاً.

ولو قارنا عدد هذه الأحاديث بعدد آيات القرآن الكريم، لعلمنا أن حفظ القرآن الكريم، أعسر
من حفظ هذا العدد من الأحاديث، وحفظه كتاب الله في الأقطار والأمصار والأزمنة منذ عهد
النبي صلى الله عليه وآله وإلى الآن أكثر من أن يعدهم عاداً أو يحصيهم باحث، ولم نجد من استكثر حفظ القرآن
حتى على الطفل ابن العاشرة، أفنستكثر حفظ الحديث على حافظة جمع الله له من الفطنة والذكاء
والحرص على العلم والتفرغ التام له، والتوفيق من الله عز وجل بدعاء النبي صلى الله عليه وآله له بالحفظ وعدم النسيان.

وعند تتبع هذه الروايات نجد أكثرها يندرج تحت أصول عامة، إذ لو كان في متن بعض
الروايات والتي ظاهرها الصحة غرابة، لكشف عنها أهل العلل، ولكنه الهوى الذي يحرك النفوس،
يفدعها إلى الكذب والتزوير والافتراء.

قال أبو بكر الصَّبْغِي²، منتصراً لأبي هريرة رضي الله عنه، مبيناً حال منتقديه وأن الذي يدفعهم للكلام
فيه الانتصار لأهوائهم الفاسدة: "وإنما يتكلم في أبي هريرة رضي الله عنه لدفع أخباره من قد أعمى الله
قلوبهم فلا يفهمون معاني الأخبار:

1- إما معطل جهمي يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم الذي هو كفر، فيشتمون أبا
هريرة رضي الله عنه، ويرمونهم بما الله تعالى قد نزهه عنه تمويهاً على الرعاء والسفل أن أخباره لا
تثبت بها الحجة.

¹ المطيري، محمد بن علي بن جميل: الأحاديث الصحيحة التي تفرد بروايتها أبو هريرة رضي الله عنه،
<http://www.alukah.net/sharia/0/73404/#ixzz502kcNojd>.

² هو أحمد بن إسحاق بن أيوب بن يزيد، أبو بكر النيسابوري الشافعي الفقيه المعروف بالصبغِي، شيخ الحاكم، المتوفى:
344هـ، انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، (7/ 776).

2- وإما خارجي يرى السيف على أمة محمد ﷺ، ولا يرى طاعة خليفة، ولا إمام إذا سمع أخبار أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ خلاف مذهبهم الذي هو ضلال، لم يجد حيلة في دفع أخباره بحجة وبرهان، كان مفزعه الواقعة في أبي هريرة ؓ.

3- أو قدرني اعتزل الإسلام وأهله، وكفر أهل الإسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية التي قدرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها، إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة ؓ، التي قد رواها عن النبي ﷺ، في إثبات القدر لم يجد بحجة يريد صحة مقالته التي هي كفر وشرك، كانت حجته عند نفسه أن أخبار أبي هريرة ؓ، لا يجوز الاحتجاج بها.

4- أو جاهل يتعاطى الفقه، ويطلبه من غير مظانه، إذا سمع أخبار أبي هريرة ؓ فيما يخالف مذهب من قد اجتبى مذهبه، وأخباره تقليدًا بلا حجة ولا برهان، كَلَّم في أبي هريرة ؓ، ودفع أخباره التي تخالف مذهبه ويحتج بأخباره على مخالفته إذا كانت أخباره موافقة لمذهبه"1.

وبذلك نعلم أن أبا هريرة ؓ، أكثر الصحابة روايةً عن رسول الله ﷺ²، وقد زادت أحاديثه عن ألف وثلاثمائة حديث لم ينفرد منها إلا بالقليل، وهو المشهود له بالحفظ والاتقان، والمؤيد بدعاء النبي ﷺ، والمرضي عنه من ربه جل في علاه، لدخوله في قول الله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾

¹ الحاكم: المستدرک علی الصحیحین، (3/ 586).

² هنالك أسباب كثيرة ذكرها العلماء في إكثار أبي هريرة من رواية الحديث منها:

- 1- دعاء النبي ﷺ له بالحفظ والاتقان.
- 2- كثرة اهتمامه بالعلم وحرصه عليه، حتى اعتكف على سماع الحديث من رسول الله ﷺ، على جوع بطنه.
- 3- مكوثه بعد النبي ﷺ طويلاً حيث توفي سنة 59هـ، وسمع منه خلق كثير، قال الإمام البخاري: "روى عن أبي هريرة نحو من ثمانمائة رجل من أهل العلم من الصحابة، والتابعين وغيرهم".
- 4- مكانة أبي هريرة في الإسلام جعلت الرواة يلتفتون حوله ويطلبون حديثه.
- 5- زهد أبي هريرة ؓ في الدنيا، قال أبو الزُّعَيْرَةَ كَاتِبُ مَرْوَانَ: بَعَثَ مَرْوَانُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ بَعَثَ إِلَيْهِ: إِنِّي غَلَطْتُ وَلَمْ أُرِدْكَ بِهَا، وَإِنِّي إِنَّمَا أَرَدْتُ غَيْرَكَ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «قَدْ أَخْرَجْتُهَا، فَإِذَا خَرَجَ عَطَائِي فَخُذْهَا مِنْهُ»، وَكَانَ قَدْ تَصَدَّقَ بِهَا، وَإِنَّمَا أَرَادَ مَرْوَانُ اخْتِبَارَهُ، انظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب ما جاء في الغرس، 2350، (3/ 109)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، 2493، (4/ 1940)، المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (377/ 34)، ابن كثير: البداية والنهاية، (11/ 388)، السباعي: السنة ومكانتها للسباعي، (1/ 356).

مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿التوبة: 100﴾.

المسألة الثانية: تضعيف راوٍ يدور عليه الإسناد واسقاط مروياته.

لم يكتف أهل الأهواء بنقد الصحابة رضوان الله عليهم، واتهامهم بالكذب والخيانة والتحيز، بل تعدى نقدهم للرواة من الأجيال التالية، وهذا يدلنا على أن الهوى هو الذي يحركهم في نقدهم، إذ لو كان النقد موضوعياً وعلمياً، فلا حاجة لنقد أحد بعد نقد الصحابة رضوان الله عليهم، إذ إن سقوط أول حلقة من حلقات السند، تعني سقوط السند وتضعيف الرواية ولا بد، وهذا من أبسط علوم الحديث عند أهل الاختصاص والمعرفة.

ولكن لما كان الهدف إسقاط السنة التي تخالف أهل الأهواء، لم يدعوا فرصة يظنون أنها تنال من السنة وتنتصر لمذهبهم إلا وسلكوها.

ولمّا كان ابن شهاب الزهري أحد أعلام المحدثين الذين يدور عليهم الإسناد، وهو أول من بدأ بتدوين الحديث بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، كان النقد له أكبر، والتشكيك في حديثه مطلب من أجل النيل من السنة¹.

ومن أهم الطعون التي وجهها أهل الأهواء لابن شهاب الزهري أنه أكره على كتابة الحديث تحت سطوة السلطان، فغيّر وبدل استجابة لضغوط بني أمية.

قال اليعقوبي: "ومنع عبد الملك أهل الشام من الحج، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم، إذا حجوا، بالبيعة، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة، فضج الناس، وقالوا: تمنعنا من حج بيت الله الحرام، وهو فرض من الله علينا!"

فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه

¹ انظر: صفحة 23 من هذا البحث.

الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها، لمّا صعد إلى السماء، تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى على الصخرة قبة¹.

وقال حسين غلامي: إنه نظر في السنن والصحاح بشكل عام، وفي أحاديث الزهري بشكل خاص، فوجدها ذات بلاء في تخريب السنن والآثار، لأنه بإقامته خمسة وأربعين عاماً، عند الخلفاء، انتصر بجهاده العلمي للأمويين، وقوى بذلك قواعد ملكهم، لأنه أول من دون العلم وأول من صنف الدفاتر بإشاراتهم².

وقال هاشم الحسيني عن الإمام الزهري: " وكانت صلته بقصور الأمويين من أوثق الصلات، وتولى لهم القضاء، فأفاضوا عليه من عطائهم وهباتهم، كما تؤكد ذلك المصادر التاريخية، ومن المعلوم أن الحكام وبخاصة الأمويين منهم كانوا أبعد عن الدين وأهله من غيرهم، ولم يقربوا من العلماء إلا من كان يؤيد تصرفاتهم، ويمنحهم صفات الخلفاء الشرعيين لرسول الله ﷺ³.

ولا يخفى بطلان هذا الكلام على كل دارس لسيرة العلامة الإمام ابن شهاب الزهري، وما تمتع به من قوه في الحفظ، وإتقان في الرواية، وأمانة في الدين، حتى أتى عليه جماهير النقاد.

قال الإمام أحمد: "الزهري أحسن الناس حديثاً، وأجود الناس إسناداً"⁴.

وعرفه ابن حبان في الثقات فقال: "كان من أحفظ أهل زمانه، وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار، وكان فقيهاً فاضلاً روى عنه الناس"⁵.

¹ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب (المتوفي: 284): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، لبنان، (261/2).

² غلامي، حسين غلامي: محو السنة أو تدوينها، ص5-6، مؤسسة الهادي، ط1، 1419هـ.

³ الحسني، هاشم معروف: دراسات في الحديث والمحدثين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط2، 1398هـ، ص176-177.

⁴ ابن عساكر: تاريخ دمشق، (338 / 55).

⁵ ابن حبان: الثقات، (349 / 5).

وقال عنه الذهبي في السير: "الإمام العلم، حافظ زمانه"¹، وقال في تذكرة الحفاظ:
"الزهري أعلم الحفاظ"².

ومع أنه خالط أمراء بني أمية إلا أنه كان وقافاً عند حدود الله، يجهر بالحق ولا يخاف في
الله لومة لائم، على عكس ما أتهمه خصومه.

دخل سليمان بن يسار³ على هشام بن عبد الملك، فقال: يا سليمان، من الذي تولى كبره
منهم؟ قال: عبد الله بن أبي ابن سلول، قال: كذبت، هو عليّ.

فدخل ابن شهاب، فسأله هشام، فقال: هو عبد الله بن أبيّ، قال: كذبت، هو عليّ، فقال:
أنا أكذب لا أبا لك! فوالله لو نادى مناد من السماء: إن الله أحل الكذب، ما كذبت، ثم ساق السند
إلى عائشة رضي الله عنها: أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبيّ.

قال: فلم يزل القوم يغرون به، فقال له هشام: ارحل، فوالله ما كان ينبغي لنا أن نحمل على
مثلك⁴.

وقد أورد ابن حجر في "الفتح" أن الإمام الزهري دخل على الوليد بن عبد الملك، فسأله
عن حديث: "إن الله إذا استرعى عبداً الخلافة كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات".

فقال له هذا كذب ثم تلا قول الله ﷻ: ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيْفَةً فِى الْاَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اِنَّ الَّذِيْنَ يَضِلُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌۢ يَمَّا نَسُوْا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ {ص:26}،
فقال الوليد: إن الناس ليغروننا عن ديننا⁵.

¹ الذهبي: سير أعلام النبلاء طبعة الرسالة، (5/326).

² الذهبي: تذكرة الحفاظ، (1/83).

³ هو سليمان بن يسار الهلالي المدني مولى ميمونة وقيل أم سلمة ثقة فاضل أحد الفقهاء السبعة من كبار الثالثة، روى عن
جابر بن عبد الله وحسان بن ثابت وغيرهم من الصحابة، قال الزُّهْرِيُّ: كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، مَاتَ بَعْدَ الْمِائَةِ وَقِيلَ قَبْلَهَا، انظر:
المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (12/100)، ابن حجر: تقريب التهذيب، ص255.

⁴ انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، (55/371)، والذهبي: سير أعلام النبلاء طبعة الرسالة، (5/339).

⁵ ابن حجر: فتح الباري، (13/113).

ومع أن كتّاب الشيعة شنعوا على الإمام الزهري وضعفوا حديثه واتهموه بالوضع، إلا أنهم احتجوا بأحاديثه وأخرجوا له في كتبهم المعتمدة¹، ووثقه بعض علماء الرجال عندهم.

قال الحلبي: "مسلم بن شهاب الزهري أحد أئمة الحديث، يكنى أبا بكر"².

واكتفى الطوسي بذكر اسمه في ترجمته وقوله عنه عدو، وأثبتته في تلاميذ علي بن الحسين³.

وبذلك نعلم أن الشيعة متناقضة في نظرتهم للإمام الزهري، والسبب في ذلك أنهم ينقمون عليه أنه صحب خلفاء بني أمية، ولا يملكون حذف اسمه من أسانيدهم لكثرة إسنادهم له، وهذا من تناقضات الشيعة الكثيرة، في نظرتهم للراوي والرواية.

المسألة الثالثة: اختيار مذهب معين وتضعيف كل حديث لا يتفق مع هذا المذهب

لقد اتخذ الشيعة من سب الصحابة ولعنهم مذهباً يتقربون به إلى الله ﷻ، لذلك عمدوا إلى كل روايةٍ صحيحةٍ تُثبت فضل الصحابة رضوان الله عليهم فضعفوها اعتباطاً وجهلاً، لنقمهم على الصحابة الأطهار رضوان الله عليهم، ولمّا كان الصحابة رضوان الله عليهم أهل ديانة وعدل وانصاف أتى بعضهم على أولي الفضل منهم، وكلهم ذو فضل، فوجد الشيعة أنفسهم أمام روايات عن عليّ بن أبي طالب ﷺ، في الثناء على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم، ومن هذه الروايات:

1. أخرج الإمام أحمد عن أبي جحيفة، أن علياً ﷺ، قال له، ألا أخبرك بأفضل هذه الأمة بعد نبيها؟ قال: قلت: بلى، قال: ولم أكن أرى أن أحداً أفضل منه، قال: "أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر، وبعدهما آخر ثالث ولم يسمه"⁴.

¹ فرواياته في كتب الشيعة كثيرة جداً، انظر على سبيل المثال: الكليني: الكافي، (26،34،35/1)، (130/2)، الطوسي: تهذيب الأحكام، (164/4)، الحر العاملي: وسائل الشيعة، (27/10)، الطبرسي: المستدرک، (182/18)، المجلسي: بحار الانوار، (104/19).

² الحلبي: رجال ابن داود، ص118.

³ الطوسي: رجال الطوسي، ص119.

⁴ أحمد: المسند، مسند الخلفاء الراشدين، مسند علي بن أبي طالب ﷺ، 835، (2/201)، وقد صححه الهيثمي وابن حجر والأرنؤوط، انظر: الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (58/9)، وابن حجر: التلخيص الحبير، (1/13).

أخرج ابن المعلم، عن حكم بن جبير¹ قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام: إن الشعبي² يروي عندنا بالكوفة أن علياً عليه السلام، قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، فقال: إن الرجل يفضل على نفسه من ليس هو مثله، حباً وتكرماً، ثم أتيت علي بن الحسين عليهما السلام فأخبرته ذلك، فضرب على فخذي وقال: هو أفضل منهما كما بين السماء والأرض³.

وصرح نقاد الشيعة بضعف الرواية⁴ وردّها لأن راوي الحديث هو الشعبي وهو ضعيف ومردود الرواية عند الشيعة، قال مصطفى التفريشي: عامر بن شرحبيل أبو عمرو، الفقيه، وهو المعروف بالشعبي عامي مذموم عندنا⁵.

وقال القمي: عامر بن شرحبيل، وهو الفقيه العامي، المعروف بالشعبي، خبيث فاجر كذاب، معلن بعدائه إلى أمير المؤمنين⁶.

قلت: إذا كان الهوى ميزان نقد الروايات، فأسهل ما يكون تضعيفها، فهذا الحديث ورد بمتون متقاربة وأسانيد مختلفة عن غير الشعبي عند أصحاب السنن⁷ وفي صحيح البخاري عن محمد ابن الحنفية، قال: قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين⁸.

¹ حكم بن جبير الأسدي أو التقفي مولا هم عن أبي جحيفة وأبي الطفيل وعنه السفينان وزائدة وشعبة وضعفه هو والنسائي وقال الدارقطني متروك، انظر: صفي الدين: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، ص90.

² هو عامر ابن شراحيل الشعبي بفتح المعجمة أبو عمرو ثقة مشهور فقيه فاضل من الثالثة قال مكحول ما رأيت أفقه منه مات بعد المائة وله نحو من ثمانين، انظر: ابن حجر: تقريب التهذيب، ص287.

³ انظر: المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان بن عبد السلام الحارثي (المتوفي: 413هـ): الاختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، ص128.

⁴ انظر: الجواهري، الشيخ حسن محمد عبد الرسول: بحوث في الفقه المعاصر، دار الذخائر، بيروت، لبنان، ط1، (24/1).

⁵ التفريشي، مصطفى بن الحسين الحسيني (المتوفي: ق11)، نقد الرجال، تحقيق: مؤسسة آل البيت، مؤسسة آل البيت، قم، ط1، 1418هـ، (10/3).

⁶ انظر: القمي، علي بن محمد الخزاز الرازي (المتوفي: 400هـ): كفاية الأثر، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، انتشارات بيدار، 1401هـ، ص312. والجواهري، محمد: المفيد من معجم رجال الحديث، مكتبة المحلاتي، قم، ايران، ط2، 1424هـ، ص296.

⁷ انظر: ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل عمر رضي الله عنه، 106، (39/1)، وأبو داود: سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في التفضيل، 4629، (206/4).

⁸ البخاري: صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، باب قول النبي صلى الله عليه وآله: لو كنت متخذاً خليلاً، 3671، (7/5).

وكان يكفي الناقد أن يخرج الحديث، وينظر في أسانيدِه قبل أن يحكم أن مدار الحديث على الشعبي ثم يحكم بضعفه.

2. أخرج البخاري "عن ابن أبي مليكة، أنه سمع ابن عباس، يقول: وَضَعَ عُمَرُ عَلَى سَرِيرِهِ فَتَكَفَّفَهُ النَّاسُ، يَدْعُونَ وَيُصَلُّونَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ وَأَنَا فِيهِمْ، فَلَمْ يَزْعِنِي إِلَّا رَجُلٌ أَخَذَ مِنْكِبِي، فَإِذَا عَلِيٌّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ فَتَرَحَّمَ عَلَيَّ عُمَرُ، وَقَالَ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنْ كُنْتُ لِأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَحَسِبْتُ إِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ"، وزاد مسلم: "فَإِنْ كُنْتُ لِأَرْجُو، أَوْ لِأَظُنُّ، أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا"¹.

أورد العاملي هذا الحديث بتمامه في كتاب الانتصار، ثم نقل عن مجموعة من نقاد الشيعة أن هذا الحديث موضوع ومفتري، ثم قال سبحانه الله أمير المؤمنين صاحب الفضائل والمناقب، يطلب من الله أن يكون له مثل عمل عمر؟! ما هي أعمال عمر: فراره في أحد وحنين! جهله بأبسط الأمور والمسائل الفقهية! تغيير سنة رسول الله ﷺ! إغصاب الزهراء وحرق دارها، وبعد كل هذا يأتي أمير المؤمنين، ويطلب من الله أن تكون أعماله كعمر حين يلقي الله!!².

وقال عليّ الميلاني: لكنّه حديث موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّ مداره على ابن أبي مليكة، هذا الرجل الذي يعدّ من كبار النواصب المبغضين له ولأهل البيت عليهم السلام، حتى كان قاضي عبد الله بن الزبير ومؤدّنه³.

¹ البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ﷺ، 3685، (11/5)، مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل عمر ﷺ، 2389، (4/1858).

² العاملي، الانتصار، (478/6-479)، دار السيرة، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ.

³ الميلاني، علي الحسيني الميلاني: الأحاديث الواردة في الخلفاء على ترتيب الخلافة، مركز الحقائق الإسلامية، ط4، 1430هـ، ص9.

وعند النظر في ترجمة عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، نجد أن ابن حبان وثقه في كتاب الثقات وذكر أنه رأى ثمانين من أصحاب النبي ﷺ، وقد وثقه ابن حجر في التهذيب ونقل عن ابن سعد أن ابن الزبير ولاه قضاء الطائف، وقال: وكان ثقة كثير الحديث¹.

وبذلك نعلم أن أهل الأهواء يختارون مذاهب وأصولاً معينة، ويضعفون كل ما خالف هذه الأصول من حديث رسول الله ﷺ، ويتمسكون بأقوال الرجال، والأحاديث الموضوعية، التي تخدم بدعتهم ثم يدعون النزاهة والموضوعية في الحكم.

ولم يقتصر هذا الانحراف على الشيعة، فعمد النواصب وبعض جهلة أهل السنة ممن تبنا مذهب سب علي بن أبي طالب ﷺ إلى طمس مناقبه، وقلبها على غيره، أو تأويلها وردّها، ظلماً وعدواناً وانحرافاً عنه، ومن ذلك:

3. ما أخرجه ابن الجوزي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: "أبو بكر وعمر مني بمنزلة هارون من موسى"².

وهذا حديث مكذوب³ والمتهم⁴ به قزعة بن سويد بن بن حجير، بصري ذكره ابن حبان في المجروحين وقال ليس بشيء⁵، وضعفه ابن عدي في الكامل⁶، وبين الدارقطني أنه يغلب على حديثه الوهم⁷.

¹ وقد وثقه العجلي أخرج له البخاري وغيرهم وروى له الجماعة، توفي سنة 117هـ، انظر، العجلي: الثقات، ص 268. وابن حبان: الثقات، (2/5). وابن حجر: تهذيب التهذيب، (5/307).

² انظر: ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال، (6/143). والبغدادي: تاريخ بغداد، (13/317). وابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ): العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق، إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، ط2، 1401هـ، (1/194).

³ انظر: ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال، (6/143). والبغدادي: تاريخ بغداد، (13/317). وابن الجوزي: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، (1/194).

⁴ وقد جعل ابن الجوزي المتهم به علي بن زكريا الشاعر، انظر: ابن الجوزي: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، (1/194)، ورجح الألباني أن المتهم به قزعة بن سويد وليس الشاعر حيث قال: ففيما ذكرنا ما يوضح أن أبا القاسم الشاعر بريء الذمة من هذا الحديث المكذوب، وأن التهمة منحصره في بشر بن دحية أوشيه قزعة، وكان يمكن تبرئة الأول منهما من عهده برواية المستملي إياه عن قزعة، انظر الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (4/220).

⁵ ابن حبان: المجروحين، (2/216).

⁶ ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال، (7/176).

⁷ الدارقطني: الضعفاء والمتركون، (3/128).

وأصل الحديث الصحيح ما أخرجه البخاري ومسلم قول النبي ﷺ، لعلي بن أبي طالب ؓ:
"أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى" ¹.

4. ومن ذلك ما أورده الخطيب البغدادي وغيره ² عن حريز بن عثمان قال: هذا الذي يرويه
الناس عن النبي ﷺ قال لعلي: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" ³ حق ولكن أخطأ
السامع، قلت: فما هو؟ قال: إنما هو أنت مني مكان قارون من موسى.

قال ابن حبان: حريز بن عثمان الرحبي من أهل حمص ولد سنة ثمانين ومات سنة ثلاث
وستين ومائة، وكان يلعب علياً بن أبي طالب رضوان الله عليه بالغداة سبعين مرة وبالعشي، وكان
داعية إلى مذهبه ⁴.

وكذلك في سننه عبد الوهاب بن الضحاك الحمصي العرضي، كذبه أبو حاتم، وقال
النسائي وغيره: متروك، وقال الدارقطني: منكر الحديث، وقال البخاري: عنده عجائب، وقال داود:
كان يضع الحديث، قد رأيت ⁵.

5. ما أخرجه ابن عساکر في قوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا
وَأَنْفُسَكُمْ﴾ {آل عمران: 61} "أنه جاء بأبي بكر وولده وبعمر وولده وبعثمان وولده وبعلي
وولده".

فهذا الحديث متروك، وفيه سعيد بن عنبسة الرازي وهو راوٍ كذاب كذبه ابن معين، وقال
أبو حاتم الرازي لا يصدق ⁶.

¹ البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن
ؓ، 3706، (5/ 19)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب ؓ، 2404، (4/ 1870).

² انظر: البغدادي: تاريخ بغداد، (8/ 262)، والمزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (577/ 5).

³ سبق تخريجه

⁴ ابن حبان: المجروحين، (1/ 268).

⁵ انظر: البخاري: التاريخ الكبير، (6/ 100)، وابن أبي حاتم: الجرح والعديل، (6/ 74). ابن عدي: الكامل في ضعفاء
الرجال، (6/ 514). المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (18/ 495). الذهبي: ميزان الاعتدال (2/ 679).

⁶ الذهبي: المغني في الضعفاء (1/ 264). وابن حجر: لسان الميزان، (3/ 39).

وأصل الحديث الصحيح هو ما أخرجه مسلم في صحيحه أنه "ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَآبَاءَ كُرْبُ﴾ {آل عمران:61}، دعا رسول الله ﷺ، علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي"¹.

ولمّا كان انحراف النواصب عن عليّ بن أبي طالب ﷺ، وأهل بيته أولوا وحرفوا كل نص يثبت فضلهم ومآثرهم، ومن فضل الله عز وجل أن قيض للسنة من ينفي عنها تحريف الغالين وتأويل المبطلين، ليثبتوا الحق، وينفوا الباطل عن سنة النبي محمد ﷺ.

المسألة الرابعة: صرف معنى الحديث الظاهر إلى معنى باطن من دون قرينة

ذهب أهل الأهواء إلى ردّ الرواية التي لا تخدم بدعتهم أو تحريفها، بما يخدم مذهبهم السياسي أو الفكري، فأنحسروا عن مجموع الأمة، واجتمعوا على أفكار ومذاهب انتحلوها، وزين لهم الشيطان شبهاً ظنوا أنها أدلة، وأعرضوا عن السنة التي لا تخدم أفكارهم وأهواءهم، فعمدوا إلى أدلة صحيحة، فأولوها على غير معناها، وصرفوها عن أصلها دون قرينة صارفة، وأكثر من وقع في هذا الأمر الشيعة في روايات كثيرة صحيحة وصریحة، ومن ذلك:

1. ما أخرج البخاري ومسلم "أن امرأة أتت النبي ﷺ، فكلّمته في شيء، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله، أرايت إن جننت ولم أجدك كأنها تريد الموت، قال: إن لم تجديني، فأتي أبا بكر"².

قال التستري: "لا نسلم صحة الحديث كسائر ما رووه في مدحه، ولو سلم جاز حمل الخليفة على المعنى اللغوي، كما مر إذ لم يتبين في الحديث أن أمر النبي ﷺ يرجع السائل إليه أولاً وإلى أبي بكر ثانياً، كان في أمر ديني يتعلق بالخليفة الشرعي، فجاز أن يكون في أمر دنيوي، لا اختصاص له بالخلفاء"³.

¹ مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، 2404، (4/ 1870). (4/ 1871).
² البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاحكام، باب الاستحلاف، 7220، (9/ 81)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، 2386، (4/ 1856).
³ التستري، الشهيد نور الله (المتوفى: 1019هـ): الصوارم المهركة في جواب الصواعق المحرقة، تحقيق: السيد جلال الدين المحدث، نهضت، 1367، ص92-93.

2. وأخرج مسلم عن عائشة، قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: "الدَّعِي لِي أَبَا بَكْرٍ، أَبَاكَ، وَأَخَاكَ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّيَ مُنَّمَنٌ وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ"¹.

قال التستري: "فيه بحث أما أولاً فلظهور تهمة عائشة في مثل هذه الرواية من حيث جرأها بذلك نفعاً وشرفاً لها ولأبيها، ومن حيث ظهور عداوتها لعليّ عليه السلام، كما يدل عليه تصفح أخبارهم وتتبع آثارهم"².

بل إنهم ضعفوا كل رواية فيها فضيلة لأبي بكر الصديق ﷺ، وجعلوا الثناء عليه علة مضعفة للحديث، واعتذروا للمرتدين الذين لم يعطوا الزكاة لأبي بكر الصديق ﷺ، وأنهم ما منعوا الزكاة عن كفر أو ردة، بل لاعتقادهم عدم استحقاقه للخلافة.³

المسألة الخامسة: التمسك برواية حديث دون جمع طرقه وحمله على معنى يخالف المعنى المقصود من جمع طرق الحديث

كانت نظرة الشيعة سلبية لجماهير الصحابة رضوان الله عليهم، واتهموهم بالكفر وبالردة بعد النبي ﷺ، ولم يجدوا ما يسعفهم في بهتانهم من روايات صحيحة مسندة، فعمدوا إلى تزوير الأفهام.

قال الموسوي: هناك جماعة ناقفوا في صحبة رسول الله ﷺ، وظهر نفاقهم بما أحدثوه بعده من الحوادث العظيمة، وبما نصبوه لعليّ ﷺ، ولسائر أهل البيت من العداوة والبغضاء، وقد تواترت الأخبار عن أئمتنا الأبرار بردتهم.

ثم استدل على قوله هذا بمجموعة من الأحاديث الصحيحة⁴:

¹ مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، 2387، (4/1857).

² التستري: الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة، ص105.

³ انظر: المرجع السابق: ص76، 92.

⁴ الموسوي: الفصول المهمة في تأليف الأمة، ص200-201.

هو إيمان الصحابة الأخيار رضي الله عنهم: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِءِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ {البقرة: 137}.

وفوق ذلك فقد بشر النبي ﷺ، كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وغيرهم¹ من الصحابة ممن زعم الشيعة ردتهم، بشارات خاصة أنهم من أصحاب الجنة.

وبهذه الأصول نفهم الأحاديث التي أوردها الموسوي، لا على مراده وهواه، قال القاضي عياض²: "هذا دليل لصحة تأويل من تأول أنهم أهل الردة، ولهذا قال فيهم سحقا سحقا ولا يقول ذلك في مذنب الأمة، بل يشفع لهم ويهتم لأمرهم، قال وقيل هؤلاء صنفان أحدهما عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الإسلام، وهؤلاء مبدلون للأعمال الصالحة بالسيئة، والثاني مرتدون إلى الكفر حقيقة ناكسون على أعقابهم"³.

ومن ذلك أيضاً **تمسك الخوارج** ببعض الروايات، والاستدلال بها على كفر مرتكب الكبيرة ومن تلك الروايات:

¹ وأحاديث بشارة النبي ﷺ للصحابة بالجنة كثيرة في كتب السنة، منها حديث العشرة المبشرون بالجنة الذي رواه الترمذي وغيره من حديث سعيد بن زيد، حدثه في نفر، أن رسول الله ﷺ قال: " عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان وعليّ والزيبر وطلحة وعبد الرحمن وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص " قال: فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر؟ قال: نشدتموني بالله، أبو الأعور في الجنة: " أبو الأعور هو: سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل وسمعت محمدا يقول: هو أصح من الحديث الأول، انظر: الترمذي: سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري رضي الله عنه، 3748، (5/ 648). وأبو داود: سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الخلفاء، 4650، (4/ 212). وابن ماجه: سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان فضائل الصحابة والعلم رضي الله عنهم، 133، (1/ 48)، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان والالباني، انظر: ابن حبان: الصحيح، (15/ 454). الحاكم: المستدرک على الصحيحين للحاكم، (3/ 498). والالباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (3/ 420).

² هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم وصنف التصانيف المفيدة منها "الإكمال في شرح كتاب مسلم" لذلك كان النووي كثيرا ما ينقل عنه في شرحه على مسلم ويقول قال القاضي، ولد سنة 476هـ، وتوفي سنة 544هـ. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، (3/ 483). والذهبي: سير أعلام النبلاء، (20/ 217).

³ النووي: شرح النووي على مسلم، (15/ 64).

1. قال رسول الله ﷺ: "لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ

وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا

أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ"¹.

2. قال رسول الله ﷺ: "لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ"².

فقد فهم الخوارج من هذه الأحاديث نفي الإيمان عن مرتكبي هذه المعاصي نفيًا تامًا، وإذا

نفي عنهم الإيمان، فإنهم يكونون من الكفار ذلك أن الكفر والإيمان نقيضان إذا انتقى أحدهما ثبت

الآخر³.

وكان يكتفيهم أن ينظروا في السنة النبوية، ويجمعوا الأحاديث الدالة على أن أصحاب

المعاصي ما دون الشرك بالله لا يحكم بكفرهم، ويبقوا في دائرة الإسلام، بل لم يلتفتوا إلى تنمة

الحديث عن أبي هريرة من طريق آخر، زاد فيها، "والتوبة معروضة بعد"⁴، والتوبة تكون من المسلم

الذي أسرف على نفسه بالمعاصي.

والله عز وجل في كتابه سمي المتقاتلين من المسلمين، مؤمنين، ولم ينفِ عنهم الإيمان

لمجرد القتال، قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ {الحجرات:9}.

وقد بين ذلك الإمام النووي بقوله: "فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل

هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله...

مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا

يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان، إن تابوا سقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مصرين على

الكبائر كانوا في المشيئة"⁵.

¹ البخاري: صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب النهي بغير إذن صاحبه، 2475، (3/136)، مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، 100، (1/76).

² البخاري: صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: {ومن أحيائها}، 6868، (9/3)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض، 118، (1/81).

³ ابن حجر: فتح الباري، (12/78).

⁴ البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب بإثم الزناة، 6810، (8/164)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، 104، (1/77).

⁵ النووي: شرح النووي على مسلم، (2/41).

الفصل الرابع

شبهات أهل الأهواء من الفرق السياسية حول الرواية الحديثية

بث أهل الزيف والضلال شبهات كثيرة حول الإسلام، وعمد المشككون إلى اتهام القرآن والسنة بتهم شتى، حتى يشككوا الناس في دينهم، قال الله تعالى: ﴿وَدَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسْبًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَا لَهُمُ الْحَقَّ﴾ {البقرة:109}.

ولمّا كان ثبوت القرآن وتواتره قطعياً، صعب عليهم الهجوم عليه والتشكيك به، فعمدوا إلى السنة النبوية، فلم يدخل يديهم السم في العسل الصافي ليكذبوا صفاء الإسلام وبهاءه في قلوب بعض الناس.

وأكثر هذه الشبهات تركزت على ما قبل التدوين الرسمي، الذي بدأ زمن عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى للهجرة، لأن كتب السنة بعد التدوين نُقلت إلينا بالتواتر، واستفاضت واشتهرت وعُرفت بين الناس لأصحابها بما لا يُنكره من له أدنى دراية بالعلم والتاريخ. وفي هذا المبحث سوف أعرض أهم هذه الشبهات موضحاً لها بإذن الله تعالى.

المبحث الأول

شبهة تأخر كتابة السنة لنهي النبي ﷺ، والخلفاء الراشدين عن ذلك، حتى ضاع الكثير من الروايات، وأدخل عليها روايات أخرى ليست منها

تعد هذه الشبهة من أكثر الشُّبُه رواجاً في كتب أهل الأهواء من الفرق السياسية، ومن غيرهم من أهل الزيغ والضلال، وخاصة الشيعة منهم، ولا بد من بيان مسألتين حتى يكون الكشف عن الشبهة واضحاً.

المسألة الأولى: هل أجاز النبي ﷺ، كتابة الحديث في عهده أم منع؟

المسألة الثانية: ما هو موقف الخلفاء الراشدين وبالأخص أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما من تدوين الحديث؟

ثبت عن النبي ﷺ بعض الروايات التي تدل على جواز كتابة الحديث، وورد كذلك عنه روايات أخرى تنهى عن كتابة السنة النبوية والاكتفاء بكتابة القرآن الكريم.

• الأدلة التي تضمنت النهي عن الكتابة:

1. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ، وَحَدِّثُوا عَنِّي، وَلَا حَرَجَ .."¹، وهذا الحديث أصح ما ورد عن رسول الله ﷺ، في هذا الباب.

2. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: "استأذنا النبي ﷺ في الكتابة فلم يأذن لنا"².

3. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "كُنَّا فُعُودًا نَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَحَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: "مَا هَذَا تَكْتُبُونَ؟" فَقُلْنَا: "مَا نَسْمَعُ مِنْكَ، فَقَالَ: "أَكِتَابُ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ؟" فَقُلْنَا: "مَا نَسْمَعُ، فَقَالَ:

¹ مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، 3004، (4/ 2298).
² الترمذي: سنن الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في كراهية كتابة العلم، 2665، (5/ 38)، وقد الدكتور حسين سليم أسد انظر: الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد (المتوفى: 255هـ): سنن الدارمي تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ، (1/ 413).

"أَكْتَابُ غَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ امْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَأَخْلِصُوهُ" قَالَ: فَجَمَعْنَا مَا كَتَبْنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ أَحْرَفْنَاهُ بِالنَّارِ، قُلْنَا: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْتَ حَدَّثْتَ عَنْكَ؟ قَالَ: "تَعَمْ تَحَدَّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ حَدَّثْتَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: "تَعَمْ، تَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، فَإِنَّكُمْ لَا تَحَدَّثُونَ عَنْهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ أَعْجَبَ مِنْهُ"¹.

• الأدلة التي تضمنت الإذن بالكتابة والأمر بها:

1. عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه كان يقول: "مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ"².
2. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اَكْتُبُوا لِأَبِي سَاهٍ"³، قِيلَ لِلأَوْزَاعِيِّ: مَا قَوْلُهُ اَكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هَذِهِ الْخُطْبَةُ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"⁴.
3. عن عبد الله بن عمرو، قال: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَهَنْتِي قَرِيشٌ وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ، بَشَرٌ يَنْكَلِمُ فِي الْغَضَبِ، وَالرِّضَا، فَأَمْسَكَتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَوْمَأَ بِأَصْبَعِهِ إِلَيَّ فِيهِ، فَقَالَ: "اَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ"⁵.

¹ أحمد: مسند أحمد، (157 / 17). وقد صححه والحاكم الذهبي الأرنؤوط، انظر: الحاكم: المستدرک علی الصحیحین للحاكم (54 / 3).

² سبق تخريجه ص18.

³ أبو شاه اليماني يقال: إنه كلبى، ويقال إنه فارسي من الأبناء الذين قدموا اليمن في نصره سيف بن ذي يزن، وهو بالفارسي معناه الملك، ومن ظن أنه باسم أحد الشياخ فقد وهم، وقد ثبت ذكره في الصحيحين، انظر: ابن حجر: الإصَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ، (171 / 7).

⁴ البخاري: صحيح البخاري، كتاب في اللقطة، باب كيف تعرف لقطة أهل مكة، 2434، (3 / 125)، مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدا وخلاها وشجرها ولقطةها، إلا لمنشد على الدوام، 1355، (2 / 988).

⁵ سبق تخريجه ص18.

وغيرها من الأدلة الكثير على جواز كتابة الحديث¹.

وقد سلك العلماء في الإجابة على أحاديث النهي عن الكتابة مسلكين:

المسلك الأول: النسخ²، حيث رأى أصحاب هذا المسلك أن أحاديث الإباحة ناسخة لأحاديث النهي، قال ابن قتيبة في التوفيق بين هذه الأحاديث: "أن يكون من منسوخ السنة بالسنة، كأنه نهى في أول الأمر عن أن يكتب قوله، ثم رأى بعد -لما علم أن السنن تكثر ونفوت الحفظ- أن تكتب وتقيد"³.

المسلك الثاني: التوفيق بين الأدلة المتعارضة بأقوال عدة وهي⁴:

1. أن النهي في حق من وثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة، والإذن في حق من لا يوثق بحفظه كأبي شاه.

2. أن يكون النهي عاماً وخص بالسماح له من كان قارئاً كاتباً مجيداً لا يخطئ في كتابته.

3. أن يكون النهي عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة، خشية التباسه بالقرآن.

¹ وقد جمع الخطيب البغدادي هذه الأدلة المتعارضة في كتابه تقييد العلم، حيث قسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول ذكر فيه الروايات في كراهة كتابة الحديث المرفوعة للنبي ﷺ، ثم للصحابة، ثم عن التابعين. أما القسم الثاني: فذكر فيه روايات في كراهة كتابة العلم، مع ذكر السبب.

والقسم الثالث: جمع فيه روايات كثيرة في إباحة كتابة الحديث، وكل الذين ورد عنهم المنع أو الكراهة، ورد عنهم الإذن بالكتابة أو ورد أنهم كتبوا الحديث، انظر: الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ): **تقييد العلم**، إحياء السنة النبوية، بيروت، والأعظمي: **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه**، ص75-76.

² رأى جمع من العلماء النسخ لأحاديث النهي منهم ابن قتيبة والقرطبي وغيرهم، انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ): **تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، (11/207). والعمري، أكرم بن ضياء: **بحوث في تاريخ السنة المشرفة**، ط4، بساط، بيروت، (ص: 225).

³ ابن قتيبة: **تأويل مختلف الحديث**، (ص: 412).

⁴ الرامهرمزي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خالد الفارسي (المتوفى: 360هـ): **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ط3، 1404هـ، (ص: 386). والسخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (المتوفى: 902هـ): **فتح المغيب بشرح ألفية الحديث**، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، ط1، 1424هـ، (31/3). الخطيب: **السنة قبل التدوين**، (1/307).

4. أن يكون النهي مخصوصاً بالتدوين الرسمي مثل القرآن، والإذن بالكتابة الفردية، والصحف الخاصة.

قال الدكتور السباعي: "وأعتقد أنه ليس هنالك تعارض حقيقي بين أحاديث النهي وأحاديث الإذن، إذا فهمنا النهي على أنه نهي عن التدوين الرسمي كما كان يدون القرآن، وأما الإذن فهو سماح بتدوين نصوص من السنّة لظروف وملابسات خاصة أو سماح لبعض الصحابة الذين كانوا يكتبون السنّة لأنفسهم، والتأمل في نص حديث النهي قد يؤيد هذا الفهم"¹.

أما مسلك القائلين بالنسخ فهو مسلك بعيد، وذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم نقل عنهم كراهتهم تدوين الحديث، ولو كانت أحاديث النهي منسوخة لما كرهوا كتابة الحديث، ولكن لما بقيت علة النهي موجودة وهي الحفاظ على القرآن الكريم أن يلتبس به شيء من السنة، فبقيت كراهة كتابة الحديث عند الصحابة، ونُقلت عنهم أقوال في النهي عن كتابة الحديث.

حتى عمد بعض أهل الأهواء باتهام الصحابة ببغض حديث النبي ﷺ وتحريف الدين.

قال مرتضى العسكري: "منعت مدرسة الخلفاء من تدوين حديث الرسول إلى رأس المائة من هجرة الرسول، وليتهم اكتفوا بذلك، بل منعوا من رواية حديث الرسول كذلك"².

وقصدوا بذلك:

• رواية عائشة رضي الله عنها قالت: "جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ فكانت خمسمائة حديث، فبات ليلة يتقلب كثيراً، قالت: فغممني فقلت تتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها فدعا بنار فأحرقها، وقال: خشيت أن أموت وهي عندك، فيكون فيها أحاديث عن رجل أئتمنه ووثقت به، ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك"³.

¹ السباعي: السنة ومكانتها للسباعي، (1/ 61)

² العسكري: معالم المدرستين، (3/ 44).

³ الذهبي: تذكرة الحفاظ، (1/ 10).

قال التستري معلقاً على هذه الرواية: "إن أبا بكر أحرق مدونته، ذات الخمسمائة حديث، معللاً بأنه غير متيقن من تلك النقول، وهذه العلة جارية في جميع مدونات الصحابة، فيكون أبو بكر ناهياً قطعاً عن التدوين إضافة إلى نهيه عن التحديث"¹.

- همَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بكتابة الحديث ثم تراجع عن ذلك².
- وغيرها من الروايات³، التي نقلها أهل العلم تبين كراهة جمع من الصحابة والتابعين تدوين الحديث.

ليخلصوا إلى نتيجة، أن أبا بكر وعمر، كانت عندهم عداوة للسنة، وأنهم عمدوا إلى منع الكتابة وتدوين السنة، وأحرقوا الصحف الحديثية، حتى يتسنى لهم تحريف الدين، وإخفاء حق علي بن أبي طالب وآل بيته في الخلافة⁴.

قال مرتضى العسكري: "ومن هنا نعرف سبب منعهم كتابة وصية الرسول في آخر ساعات حياته، ولماذا أحدثوا اللغظ والضوضاء حتى توفي دون أن يكتب وصيته، وسبب منعهم من كتابة حديث الرسول عندما ولوا الحكم ولم يبق مانع من ذلك"⁵.

والجواب على ذلك:

- أن رواية عائشة رضي الله عنها، لم تصح، وحكم بضعفها الإمام الذهبي⁶ وابن كثير⁷، وغيرهما من أهل العلم.

¹ الشهرستاني، علي: تاريخ تدوين الحديث، ص129، دار الغدير، قم.

² يأتي لاحقاً ص136 من هذا البحث.

³ انظر: ابن أبي شيبه: المصنف، (316-314/5)، الخطيب: تقييد العلم،

⁴ انظر: الشهرستاني، تاريخ تدوين الحديث، ص138-140.

⁵ العسكري: معالم المدرستين، (42/2).

⁶ قال الذهبي تعليقا على الحديث، فهذا لا يصح والله أعلم، انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، (11 / 1).

⁷ قال ابن كثير: هذا غريب من هذا الوجه جدا وعلي بن صالح لا يعرف، انظر: المتقي، علاء الدين علي بن حسام الدين المدني فالمني الشهير (المتوفى: 975هـ): كنز العمال، تحقيق: بكري جباري، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط5، 1401هـ، (286 / 10).

• الروايات عن الصحابة وبعض التابعين في كراهة تدوين العلم، تُفهم بنفس مفهوم نهى النبي ﷺ، عن كتابة الحديث، كما في حديث أبي سعيد وغيره، وللعلة نفسها.

• ولذلك وجدنا أن جل الصحابة، ممن ورد عنهم المنع ورد عنهم الإباحة أو ورد عنهم كتابة الحديث فيما بعد.

وبذلك نعلم أن الأمر استقر على إباحة كتابة الحديث، وذلك للأدلة الصحيحة الصريحة التي تقدم ذكرها وغيرها من الأدلة، ولوجود الصحف الحديثية الخاصة بالصحابة رضوان الله عليهم، مثل الصحيفة الصادقة، وصحيفة علي بن أبي طالب، وسعد بن عباد، وجابر بن عبد الله، وغيرها، أضف إلى ذلك الكتب التي كتبها النبي ﷺ، في عهده للأمراء الملوك، أو تلك العقود والوثائق التي كتبها مع أعدائه، مثل: صلح الحديبية وغيره¹.

قال القاضي عياض: "كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير، في كتابة العلم فكرها كثير من منهم وأجازها أكثرهم، ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال ذلك الخلاف"².

وبذلك نعلم أن الخلاف زال لما انتفت علتة، وأصبحت الكتابة محمودة بالإجماع، قال العراقي في ألفيته³:

واختلف الصحاب والأتباع ... في كتبة الحديث، والإجماع

على الجواز بعدهم بالجزم ... لقوله: اكتبوا، وكتب السهمي⁴

¹ انظر الصفحات 17-22 من هذا البحث.

² النووي: شرح النووي على مسلم (129/18-130).

³ العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم (المتوفى: 806هـ): ألفية العراقي، تحقيق: العربي الدائر الفرياطي، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1428هـ، ص141.

⁴ قصد بالسهمي عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم السهمي، انظر: ابن حجر: تقريب التهذيب، ص315.

وقال الحافظ ابن حجر: " والإجماع انعقد على جواز كتابة العلم، بل على استحبابه، بل لا يبعد وجوبه على من خشي النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم"¹.

وأثنى بعد ذلك على الكتابة كبار أهل العلم من أصحاب الحديث، والمذاهب الفقهية المتبعة، وأصبحت الكتابة سبيل كل طالب علم.

قال الإمام الشافعي: "اعلموا رحمكم الله أن هذا العلم يندُّ كما تندُّ الإبل، فاجعلوا الكتب له حمة، والأقلام عليه رعاة"².

وقال أحمد وإسحاق: "لولا الكتابة أي شيء كنا؟ بل قال أحمد وابن معين: كل من لا يكتب لا يؤمن عليه الغلط"³.

وقال ابن المبارك: "لولا الكتاب ما حفظنا"⁴.

وقد كتب الخطيب البغدادي كتاباً من أجمع الكتب وأقدمها في المسألة وهو كتاب "تقييد العلم"، قال فيه رحمه الله: "فقد ثبت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول، إنما هي لئلا يضاهاى بكتاب الله تعالى غيره، أو يشتغل عن القرآن بسواه ونهي عن الكتب القديمة أن تتخذ لأنه لا يُعرف حقها من باطلها وصحيحها من فاسدها، مع أن القرآن كفى منها وصار مهيمناً عليها، ونهي عن كتب العلم في صدر الإسلام وجدته لقلة الفقهاء في ذلك الوقت، والمميزين بين الوحي وغيره، لأن أكثر الأعراب لم يكونوا فقهوا في الدين ولا جالسوا العلماء العارفين".

وقال بعد رواية كتابة الصحابة التشهد: "وفي ذلك دليل أن النهي عن كتب ما سوى القرآن، إنما كان على الوجه الذي بيناه من أن يضاهاى بكتاب الله تعالى غيره، وأن يشتغل عن القرآن بسواه، فلما أمن ذلك ودعت الحاجة إلى كتب العلم لم يكره كتبه، كما لم تكره الصحابة كتب التشهد، ولا فرق بين التشهد وبين غيره من العلوم في أن الجميع ليس بقرآن"⁵.

¹ ابن حجر: فتح الباري، (1/ 204).

² الخطيب: تقييد العلم، ص 114.

³ السخاوي: فتح المغيب بشرح ألفية الحديث، (3/ 39).

⁴ الرامهرمزي: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ص 377.

⁵ الخطيب: تقييد العلم، ص 93.

وكل التوفيقات التي قال بها العلماء توفيقاً بين الأدلة التي ظاهرها التعارض حول كتابة الحديث، كانت خوفاً من التباس القرآن بالسنة وأن يشتغل الناس بالأحاديث ويتركوا القرآن الكريم، فالقصد إذاً تعظيم القرآن في القلوب، وأن يقبل الناس عليه أولاً، وألا ينشغلوا عنه بشيء مما سواه، لكيلا يختلط على البعض شيء من الأحاديث بالقرآن.

ولئن قال قائل كيف يُخاف على الصحابة عدم تمييز القرآن من السنة، وهم أهل الفصاحة والبيان، وأهل التقى والقرآن؟

أقول إن الخوف ليس على الصحابة رضوان الله عليهم، وإنما على الأمم الداخلة في الإسلام، فليس كل أهل ذلك الجيل على درجة واحدة من الفطنة والفصاحة والذكاء والفهم، وكذلك الخوف على الأجيال القادمة بعد الصحابة رضوان الله عليهم من أهل الملل والنحل الأخرى فخشي عليهم جميعاً أن يختلط القرآن بالسنة.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أليس كتاب الله بشيء أبداً"¹.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "أعزم على من كان عنده كتاب إلا رجع فمحاها، فإنما هكذا الناس، حيث يتبعون أحاديث علمائهم، وتركوا كتاب ربهم"².

فتحريف أهل الكتاب لكلام ربهم، وخلطه بأقوال علمائهم مثال قائم في أذهان الصحابة رضوان الله عليهم، بعد أن خلطت الأجيال اللاحقة كلام الأخبار بكلام الله، ثم ادعت أنه من عند الله، قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ {البقرة: 79}.

¹ ابن راشد، معمر بن أبي عمرو الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: 153هـ): جامع معمر بن راشد، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1403هـ، (11/257).

² ابن أبي شيبة، أبو بكر، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ): مصنف ابن أبي شيبة، 26439، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ، (5/314).

وكل خطوة قام بها الصحابة رضوان الله عليهم في تنزيه كتاب الله تعالى، خطوة مباركة، نرى فيها معية الله ﷻ، فالله تكفل بحفظ كتابه، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ {الحجر:9}، وأشرف الناس لهذه المهمة العظيمة، كانوا صحابة رسول الله ﷺ، ثم الموفقين من بعدهم من الأجيال الخالفة لهم بإحسان.

المبحث الثاني

شبهة التأثر بالموروث الجاهلي في نقل الأحاديث وروايتها وكتابتها، لترسيخ مبادئ وأفكار جاهلية في الدولة الإسلامية

يرى كثير من كتاب الشيعة أن الخلفاء وخاصة أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، كان يحكمهم معيار غير القرآن والسنة، وهو التأثر بالموروث الجاهلي، الذي أظهره بعد موت النبي ﷺ، وقد كتب الكاتب الشيعي علي الشهرستاني كتاباً سمّاه (تاريخ تدوين الحديث ومؤثرات الهوى والموروث الجاهلي عليه، المؤثرات في عهد أبي بكر).

قال في مقدمته بعد أن قسم الصحابة إلى قسمين: أحدهما يتخذ المواقف من خلال الأصول الإسلامية الثابتة، والآخر يتخذها من خلال المواقف المتغيرة: "وكان هناك في مقابل النهج الأول من يرسم الأصول من خلال مواقف الأشخاص والظروف المستجدة عندهم، مضيفين إلى كتاب الله العزيز وسيرة النبي ﷺ سيرة الشيخين والصحابة عامة، واتخاذها أصلاً ثابتاً يُحتذى به إلى جانب الكتاب والسنة، مع أن بعض مواقف أولئك كانت متأثرة فكرياً وعملياً بالموروث والموقف المرتجل، وكنا قد سمينا في كتابنا الأول¹ منهما بالمتعبدين، والثاني بالمجتهدين.

والهدف من هذه البحوث هو التركيز على مؤثرات العصور السابقة، وما أسس فيها من مبان وأصول فكرية، انعكست على الحديث النبوي والتاريخ الإسلامي، ومن ثم ظهرت كنصوص حديثية وأصول فقهية وعقائد إسلامية بامتداد الزمان، انجرت من العصر الجاهلي إلى ما بعده، ممتزجة مع الحالة الإسلامية الجديدة، التي خلفها الرسول ﷺ، حتى أصبحت شريحة من المجتمع تعيش حالة ارتباك وتأرجح بين الموروث الجاهلي، والجديد الإسلامي المحمدي².

اعتبر الكاتب تمسك أهل السنة بسيرة الصحابة رضوان الله عليهم انحرافاً عن سنة رسول الله ﷺ، ورجوعاً إلى العادات الجاهلية، التي تربي عليها الصحابة قبل الإسلام، ولم يستطيعوا إظهارها في زمن النبي ﷺ، لذلك أظهروها بعد موت النبي ﷺ، وتوليمهم للحكم من بعده.

¹ هو كتاب منع تدوين الحديث، انظر: الشهرستاني، علي: منع تدوين الحديث، مؤسسة الرافد، قم، ط4، 1430هـ.

² انظر: الشهرستاني: تاريخ تدوين الحديث، ص6.

وما تمسك أهل السنة بسيرة الصحابة والخلفاء الراشدين إلا دين، أمر به ربنا في كتابه ونبينا محمد ﷺ في سنته: قال الله تعالى مبيناً أن إيمانهم رضي الله عنهم هو المعيار والميزان: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ نَوَلُوا فَمَا لَهُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ {البقرة: 137}.

فإيمان الصحابة رضوان الله عليهم، هو الميزان والمقياس لإيمان من يأتي بعدهم، وما كان الله ليجعل أهل الاقتداء المحمودين والمترضى عنهم، في كتابه، منحرفين ومحرّفين لدينه وسنة نبيه ﷺ، كيف ذلك وقد أوصى النبي ﷺ، بهم وبهديهم إذ قال: .. "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحَدَّثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"¹.

ولم يكتفِ هذا الكاتب بهذا الادعاء، بل حاول أن يقدم لهذه النظرية التي بنى عليها كتابه، بأمثلة عديدة يحاول أن يربط فيها بين موقف الصحابة رضوان الله عليهم، وبعض العادات في الجاهلية نذكر منها بعض الأمثلة²:

• كتابة الحديث

اعتبر الكاتب كراهة الصحابة رضوان الله عليهم لكتابة الحديث تأثراً بالجاهلية حيث ساق مجموعة من النقول عن الصحابة في كراهة التدوين ثم قال: "أتوا بها كي يدلّوا على نهي رسول الله ﷺ عن تدوين حديثه، بل سماحه بالتحديث فقط، وقد يمكن ارجاع هذا إلى موروث جاهلي، لأن العرب كانت تحبذ الحفظ دون الكتابة، وقد عُير الإمام الصادق من قبل البعض بأنه صحفي فقال: نعم أنا صحفي أنقل عن صحف آبائي إبراهيم وموسى"³.

¹ ابن ماجه: سنن ابن ماجه، الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، 42، (1/ 15)، والترمذي: سنن الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتتاب البدع، 2676، (5/ 45)، وقال: حسن صحيح، وصححه الحاكم والذهبي والألباني والأرنؤوط، انظر: الحاكم: المستدرک علی الصحیحین، (1/ 174)، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، (1/ 28)، الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (2/ 610).

² اكتفت ببعض الأمثلة التي ساقها الكاتب مستدلاً بها على تأثير الجاهلية في نفوس الصحابة رضوان الله عليه، ولم أذكرها كلها خشية الإطالة.

³ الشهرستاني: تاريخ تدوين الحديث، ص56.

وقال في موضع آخر من كتابه: " لكن الظروف دعت الخلفاء بعد الرسول، أصحاب الرأي أن يمنعوا الصحابة من تناقل أحاديث رسول الله لأمر رأوها! فكان مما لا محيص عنه هو نسبة النهي إلى رسول الله، كي يعذروا الشيخين ومن يسير على نهجهم، وأن يعطوا لفعلهم الشرعية!"¹.

ومرجع هذا الكلام سوء الظن بالصحابة رضوان الله عنهم، الذين أثنى الله عليهم ورضي عنهم في كتابه، وقد تحول سوء ظنهم إلى عقيدة نشأ منها تكفير الصحابة ولعنهم، وجعلوا ذلك من صلب دينهم، إذ إنَّ النهي عن الكتابة كان لعدة معينة، ولما انتفت العلة، أصبحت الكتابة من أهم ركائز حفظ السنة النبوية وأصبحت مطلباً حرص عليه جماهير المحدثين.

• تولى الخلافة

جعل الكاتب اختيار الخليفة عائداً إلى موروث جاهلي، وهو اعتماد أسن القوم، بدل اختيار الأصلح والأنسب للمسلمين، قال: إن العرب قد اعتادوا إعطاء الإمارة والزعامة لمن هو أسن القوم، ومن له المكانة والمنعة في القبيلة، لكونه أحكك القوم والمجرب فيهم، وعلى ضوء هذه النظرية تعاملوا مع مسألة الخلافة بعد الرسول تعامل سلطة وحكم، وظلَّت مخلفات هذا المفهوم حتى جاء عن أبي بكر قوله يوم السقيفة: نحن الأمراء وأنتم الوزراء.

وبذلك حرم أبو بكر عليّ بن أبي طالب الخلافة، لأنه صغير في السن، وقد اتبع أبو بكر والصحابة بذلك ثقافة الجاهلية، إذ إنَّ أساس التفاضل التقوى والديانة وليس العمر، ثم ساق الكاتب قصة الصحابي أسامة بن زيد وتوليه الخلافة، رغم حداثة سنه، وأمثلة أخرى².

وقد غاب عن ذهن الكاتب، أو تعمد أن يغيب عن ذهنه، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه هو أول من أسلم من الرجال، وهو ناصر النبي صلى الله عليه وسلم، بالنفس والمال، وهو صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، في الهجرة، وهو من زوج ابنته البكر للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد أحبها أكثر من باقي نسائه، وهو الذي ثبتَّ الله به الصحابة رضوان الله عليهم، عند موت النبي صلى الله عليه وسلم، ثم حفظ الله به الدين بثباته في وجه المرتدين، وهو الذي صاحبَ النبي صلى الله عليه وسلم وجاوره حياً وميتاً، ولا يخفى على أي باحث منصف، الروايات الكثيرة

¹ الشهرستاني: تاريخ تدوين الحديث، ص85.

² انظر: المرجع السابق: ص189-198.

التي تدل على أفضلية أبي بكر الصديق، ولذا رشحه الصحابة بالإجماع لخلافة النبي ﷺ، وحسبنا أن النبي ﷺ، عهد له إمامة المسلمين في مرضه، دون غيره¹.

• الإيمان بالغيب

أسس الكاتب أن قريشاً في الجاهلية كانوا لا يؤمنون بالغيب ولا يؤمنون إلا بالمحسوسات والمشاهدات، لذلك كذبوا النبي ﷺ، حينما أرسله الله ﷻ، وكذبوا نزول الوحي عليه، وما خصه الله به من معجزات.

ثم ادعى الكاتب أن الصحابة تأثروا بذلك الموروث الجاهلي، ولم يؤمنوا بكرامات آل البيت وما خصهم الله به من مزايا، بل خالفوهم وحرموهم حقوقهم².

وقد امتدح الله إيمان الصحابة وأثنى عليه، وجعله المعيار للأمة حتى يقيسوا إيمانهم به، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِءَ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ {البقرة: 137} ومن أصدق من الله حديثاً، أيسار إلى قول بعد قول الله عز وجل؟ وما سُمي أبو بكر الصديق، بهذا الاسم إلا لشدة إيمانه بالنبي ﷺ، وتصديقه بكل ما أخبر به، أفصدق النبي ﷺ في حياته ويكذبه بعد موته؟ أم ينصر النبي ﷺ بالنفس والمال ثم يؤذي آل بيته بعد موته؟ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ {الحج: 46}.

¹ انظر: البخاري: صحيح البخاري، (5/4-5)، ومسلم: صحيح مسلم، (4/1854-1858)، القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (4/1614)، والنووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676هـ): تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (2/181).

² انظر: الشهرستاني: تاريخ تدوين الحديث، ص190.

المبحث الثالث

شبهة تأثير الدولة على تدوين الحديث

يدعي كتاب الشيعة وبعض أهل الأهواء أن السنة النبوية دُونت بما تراه الدولة، مثبتين من الروايات ما وافق أهواءهم، ومُسقطين ما خالفها، فما تأثير الدولة على الروايات الحديثية؟

الجواب على ذلك من خلال المسائل الآتية:

المسألة الأولى: متى بدأ التدوين الرسمي للحديث

بدأ التدوين الرسمي للحديث في عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز على رأس المائة من هجرة الحبيب محمد ﷺ، وقد مات أكثر الصحابة رضوان الله عليهم، فخشي رضي الله عنه أن تضيع السنة، فأمر بتدوينها، وكان التدوين في خلافة عمر بن عبد العزيز أدعى للثقة فيه أكثر من أيّ فترةٍ سواها، لأن عمر بن عبد العزيز أنصف مخالفه، وهجر بدعة سب علي بن أبي طالب ﷺ على المنابر، وعهد في طلبه لكبار المحدثين، ممن جمع الله لهم الحفظ والعلم مع الثقة والزهد والديانة¹.

المسألة الثانية: علاقة الدولة بآل بيت رسول الله ﷺ.

لم تكن هنالك مشكلة في علاقة عليّ ﷺ أو أي من أبنائه مع الخليفة في العهد الأول من الخلافة الراشدة، لأن الخليفة هو العالم والمحدث والقائد، فأهل السنة كانوا يعظمون الخلفاء الراشدين تعظيماً كبيراً، ولم تكن هنالك أي فتنة، ولكن الحال تغير في العهد الثاني في خلافة بني أمية، وبدأ التغير جلياً واضحاً، بعد موت الخليفة الأول معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وتولي ابنه يزيد الخلافة، هو الذي قُتل الحسن بن عليّ ﷺ في عهده².

ومع أن يزيد لم يأمر بقتل الحسين ﷺ، ولم يرضَ به بعد قتله، إلا أنه لم يُقم حدَّ الله على

¹ انظر: ص24.

² انظر: ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (4/ 130).

من قتل الحسين ﷺ، ولا انتصر له، بل قتل أعوانه لإقامة ملكه، فتأزمت علاقة الدولة الأموية مع العلويين، وأنصارهم، حتى ضيق عليهم، وسب عليّ ﷺ على المنابر¹.

قال ابن عبد البر: "كان بنو أمية ينالون منه، ويُنقصونه، فما زاده الله بذلك إلا سمواً وعلواً ومحبةً عند العلماء"².

وقد كان انحراف الأمويين عن العلويين، أمراً سياسياً لا عقدياً، وذلك محبةً للملك وحرصاً عليه وخشية فواته، وقد بين ابن تيمية: أن أكثر الذين قتلوا الحسين ﷺ كانوا يكرهون قتله، ويرونه ذنباً عظيماً، لكن قتلوه لغرضهم، كما يقتل الناس بعضهم بعضاً على الملك والرياسة³.

ولئن ظهر النصب في الدولة الأموية إلا أنها كانت في مجملها دولة إسلامية حافظة للإسلام وأهله، وقد انتشر الإسلام في الدولة الأموية انتشاراً واسعاً، فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية، قد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها، وقد أذلوا الكفر وأهله، وامتألت قلوب المشركين من المسلمين رعباً، لا يتوجه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه، وكان في عساكرهم وجيوشهم الصالحون والأولياء والعلماء من الصحابة وكبار التابعين⁴.

ويكفي الدولة الأموية شرفاً، أن مؤسسها الأول الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان ﷺ الفقيه العالم العابد، كاتب الوحي، فعن ابن عباس ﷺ، أن أبا سفيان سأل النبي ﷺ، ثلاثاً قال: عندي أحسن العرب وأجمله، أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها، أزوجكها، قال: نعم، قال: ومعاوية، تجعله كاتباً بين يديك، قال: نعم، قال: وتؤمرني حتى أقاتل الكفار، كما كنت أقاتل

¹ انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (4/ 506).

² ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (3/ 1118).

³ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (4/ 560).

⁴ انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، (9/ 104)، بتصرف.

المسلمين، قال: نعم"، وقد دعا له النبي ﷺ، بقوله: "اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به"¹،².

وقد استقرت الخلافة في عهده بعد تنازل الحسن ﷺ له، وخمدت الفتنة، وانتهى القتال وانتشر العدل، وعم الخير، وكانت علاقته مع الحسن والحسين علاقة حب وإكرام.

قال ابن كثير: "فلما استقرت الخلافة لمعاوية، كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فيكرمهما معاوية إكراماً زائداً، ويقول لهما: مرحباً وأهلاً، ويعطيتهما عطاءً جزيلاً، وقد أطلق لهما في يوم واحد مائتي ألف، وقال: خذاها وأنا ابن هند، والله لا يعطيكماها أحد قبلي ولا بعدي، فقال الحسين: والله لن تعطي أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلين أفضل منا، ولمّا توفي الحسن كان الحسين يفتد إلى معاوية في كل عام فيعطيه ويكرمه، وقد كان في الجيش الذين غزوا القسطنطينية مع ابن معاوية يزيد، في سنة إحدى وخمسين"³.

ومن مناقب هذه الدولة العظيمة أن عمر بن عبد العزيز، كان أحد خلفائها، الذي تولى الخلافة بعد وفاة سليمان بن عبد الملك سنة 99هـ، الذي أوصى بالخلافة له، فحكم المسلمين سنتين ونصف أقام فيها العدل ورد المظالم إلى أهلها، وأعاد أموال أمراء بني أمية إلى بيت مال المسمين، بدأ بنفسه، وحلي أهل بيته، وعزل القضاة والأمراء الظلمة⁴.

¹ مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل أبو سفيان بن حرب ﷺ، 2501، (4/1945)، والترمذي: سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب معاوية بن أبي سفيان ﷺ، 3842، (5/687)، وقال الترمذي حسن غريب، كما صححه ابن حبان والألباني والأرناؤوط، انظر: ابن حبان: صحيح ابن حبان، (16/176)، والألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (4/615)، والأرناؤوط في تحقيقه لمسنده أحمد، (29/426).

² وقد أفاض الآجري في كتابه الشريعة بذكر مناقب معاوية بن أبي سفيان، وذكر شرف مصاهرة النبي ﷺ له بزواجه من أخته، فهو خال المؤمنين، ثم عقد عشرة أبواب في فضله وبيان مناقبه، علماً أن الآجري أيضاً أفاض في ذكر مناقب آل البيت رضي الله عنهم وعقد فصولاً طويلة في فضائل علي ﷺ في نفس الكتاب، انظر: الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي (المتوفى: 360هـ): الشريعة للآجري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط2، 1420هـ-1999م، (5/2431-2479).

³ ابن كثير: البداية والنهاية، (11/477).

⁴ انظر: المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (21/442). وابن حجر: تقريب التهذيب، ص415. الزركلي، الأعلام للزركلي، (5/50).

ولم تكن عنده من الرغبة في الدنيا، ما يرتكب هذا الأمر العظيم لأجلها، من سب عليّ ﷺ وآله، كما كان الحال عند خلفاء بني أمية ممن سبقوه، فترك ذلك، وكتب بتركه، وسن سنة حسنة أن ينثى في آخر خطبة الجمعة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ {النحل:90}، فحلَّ هذا الفعل عند الناس محلاً عظيماً، وأكثروا مدحه لأجله¹.

ولا يزال الخطباء يختمون خطبهم بهذه الآية والثناء على الخلفاء الراشدين الأربعة إلى الآن.

وكان عمر بن عبد العزيز يجهر بالثناء على عليّ ﷺ، ذاكراً فضائله ولما سئل عنه قال: "أزهد الناس في الدنيا عليّ بن أبي طالب"².

حتى شهد له العلويون أنفسهم بذلك، قال محمد بن عليّ بن الحسين³: "أما علمت أن لكل قوم نجبية، وأن نجيب بني أمية عمر بن عبد العزيز، وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده"⁴.

وكانت فاطمة بنت الحسين بن عليّ⁵ تشني عليه وتقول: "لو كان بقي لنا عمر بن عبد العزيز، ما احتجنا بعهدده إلى أحد"⁶.

¹ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (المتوفى: 630هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ، (99/4). والطبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (المتوفى: 743 هـ): فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، حاشية الطبي على الكشاف، تحقيق: إياد محمد الغوج، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1434هـ، (9/184).

² ابن عساکر: تاريخ دمشق، (489/42). وابن الأثير: الكامل في التاريخ، (750/2). وابن كثير: البداية والنهاية، (6/8).

³ أبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين الإمام الثابت الهاشمي العلوي المدني أحد الأعلام، ثقة فاضل، ولد سنة 56هـ، وتوفي سنة 114هـ، وقيل سنة 117هـ، انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، (93/1). وابن حجر: تقريب التهذيب، ص497.

⁴ الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (5/254). وابن عساکر: تاريخ دمشق، (45/147).

⁵ فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب القرشية الهاشمية المدنية، أخت علي بن الحسين زين العابدين، روى لها أصحاب السنن، وهي ثقة من الرابعة توفيت بعد المئة، انظر: المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (35/254). وابن حجر: تقريب التهذيب، ص751.

⁶ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (4/119).

ورغم إقرار الكتّاب والمحققين من أهل السنة بوجود النصب في دولة بني أمية ووقوعهم في الظلم، إلا أنهم يثنون على هذه الدولة التي عمّ فضلها مشارق الأرض ومغاربها.

قال ابن تيمية: "إن خلفاء بني أمية وبني العباس مسلمون ظاهراً وباطناً، وذنوبهم من جنس ذنوب المسلمين"¹.

أما دولة بني العباس، فقد جاءت تحت شعار الانتصار لآل البيت عموماً وللعوليين منهم خصوصاً، ممن اضطهدتهم دولة بني أمية وضيقت عليهم، فتحالفا مع الشيعة الكيسانية²، بشكل خاص ومع عموم العلويين، وكان أبو مسلم الخراساني³ أحد الشيعة الكيسانية ممن لهم دور كبير في هزيمة الأمويين والانتصار للعباسيين، حتى لُقّب بصاحب الدعوة العباسية، قال عنه الذهبي في السير: "صاحب الدعوة، وهازم جيوش الدولة الأموية، والقائم بإنشاء الدولة العباسية"⁴.

ولما تولى الخلافة أبو العباس السفاح سنة 132هـ، خطب في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقدم بمقدمة يسيرة، تالياً قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ {الأحزاب:33}، ثم قال: يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا، وأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا، وقد زدتم في أعطياتكم مائة درهم، فاستعدوا.

وأثنى على أهل البيت وذم خلافة بني أمية بقوله: وإنما أخرجتنا الأنفة من انتزاع حقنا والغضب لبني عمناء، ولسوء سيرة بني أمية فيكم، واستذلالهم لكم، واستنثارهم بفيئكم وصدقاتكم، فلكم علينا ذمة الله وذمة رسوله وذمة العباس، أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل بكتاب الله⁵.

¹ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (4/ 519).

² الكيسانية وهم شيعة مُحَمَّد بن الْحَنَفِيَّة الَّذِينَ صَارُوا شِيعَةَ لِبْنِي الْعَبَّاسِ، وَكَانَ أَكْثَرُ الْكَيْسَانِيَّةِ بِالْعِرَاقِ وَخِرَاسَانَ بَيْنَ الشَّيْعَةِ وَافْتَرَقَ أَهْلُ كُلِّ مَذْهَبٍ مِنْهَا إِلَى طَرَائِقَ بِحَسَبِ اخْتِلَافِهِمْ، انظر: العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (المتوفى: 1111هـ): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ، (4/ 158).

³ هو عبد الرحمن بن عثمان بن يسار الخراساني، ولد سنة 100هـ، كان قوياً هادئاً لم يعهد عنه انه ضحك، انتصر للدولة العباسية، وكان أحد أهم أسباب نجاح ثورتهم على بني أمية، قُتِلَ ببغداد سنة 137هـ، انظر: الخطيب: تاريخ بغداد (11/ 465). والذهبي: سير أعلام النبلاء، (6/ 219).

⁴ المرجع السابق، (6/ 219).

⁵ ابن كثير: البداية والنهاية، (13/ 251).

وقد آمن العلويون من التصديق عليهم بشكل عام في بداية الخلافة العباسية، وُكِّل
بالتأثيرين منهم بعد ذلك، وبلغ الأذى ذروته زمن المتوكل حيث ضيق عليهم، فمنعهم من ركوب
الخيول واقتناء العبيد¹.

قال ابن الأثير: "كان المتوكل شديد البغض لعلّي بن أبي طالب، عليه السلام، ولأهل بيته،
وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم"².

ومع أن الدولة العباسية حرصت على معاملة أهل البيت بالحسنى وإكرامهم، إلا أنهم
تعاملوا بقسوة مع الثورات العلوية التي خرجت عليهم، حتى قال ابن خلدون: "وطلت دماء أهل
البيت في كل ناحية"³، لكثرة الثورات التي خرجت على الدولة العباسية، وتم اسكاتها بالقتل والتنكيل
والصلب.

وقد رسم أبو جعفر المنصور سياسة الدولة الأموية في التعامل مع الثائرين من العلويين أو
من غيرهم في خطبته إذ قال: "أيها الناس، لا تنفروا أطيار النعم بترك الشكر، فتحل بكم النقم، ولا
تُسِرُّوا غِشَّ الأئمة، فإنَّ أحدًا لا يُسرُّ منكم شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه، وصفحات وجهه،
وطوالع نظره، وإنا لن نجعل حقوقكم ما عرفتم حقنا، ولا ننسى الإحسان إليكم ما ذكرتم فضلنا، ومن
نازعنا هذا القميص أوطأنا أم رأسه، حتى يستقيم رجالكم، وترتدع عمالكم"⁴.

فالسياسة اذن لا تختلف كثيراً عن سياسة الأموية في تثبيت الحكم والرياسة، ولكن الموقف
انحصر في عدا من خرج عليهم من العلويين ومن غيرهم، مع حفاظهم على حق أمير المؤمنين
عليّ ﷺ وآل بيته، وإقرارهم بخلافته، حتى قال الشاعر:

تَاللَّهِ مَا فَعَلْتَ عُلُوجُ أُمِيَّةٍ ... مِعْشَارَ مَا فَعَلْتَ بُنُو الْعَبَّاسِ⁵

¹ الذهبي: تاريخ الإسلام، (4/ 1059). وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، (4/ 385). والزركلي: الأعلام، (8/ 184).

² ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (6/ 130).

³ ابن خلدون: التاريخ، (4/ 6).

⁴ ابن كثير: البداية والنهاية، (13/ 323).

⁵ العصامي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، (3/ 362).

المسألة الثالثة: علاقة العلماء بالدولة

يظهر لنا من سير العلماء المحدثين، أن كثيراً منهم سُجن عند السلطان ونكّل به، لأن العالم الرباني لا يوافق السلطان في هواه، والسلطان لا يعجبه ثبات العالم، فأئمة المذاهب الأربعة لاقى كل واحد منهم التعذيب والتنكيل على أيدي أصحاب السلطان، فقد سُجن أبو حنيفة لرفضه تولي القضاء أيام بني العباس، وجُلد الإمام مالك، وامتنح الإمام أحمد بن حنبل في قضية القول بخلق القرآن، وتعرض الإمام الشافعي لغضب أهل السلطة بدعوى حُبه لأهل البيت¹.

ولاقى الإمام النسائي حتفه شهيداً في الشام لوضعه كتاباً، جمع فيه الأحاديث النبوية في مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام².

فلم تكن علاقة العلماء من الفقهاء والمحدثين بالسلطان جيدة، بل على العكس من ذلك كانوا يحذرون أشد التحذير من الدخول على السلاطين خوف الاقتتان بهم³.

قال الفضيل: "أمرنا أن لا ندخل عليهم، فإن دخلنا نقول الحق"⁴.

وقال أيضاً: "كم من عالم يدخل على الملك ومعه دينه، ويخرج وليس معه منه شيء، فلا جعل الله مصيبتنا في ديننا"⁵.

وقال ميمون بن مهران: ثلاثة لا تبلون نفسك بهن، ذكر أولها، لا تدخلن على سلطان، وإن قلت أمره بطاعة الله⁶.

¹ انظر: الخطيب: تاريخ بغداد، (15/ 530)، والسلماني، أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن محمد أبي بكر بن أبي طاهر الأزدي (المتوفى: 550هـ): منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، تحقيق: محمود ابن عبد الرحمن قدح، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1422هـ، (ص: 242). والذهبي: سير أعلام النبلاء، (7/ 169). والبنعلي، أحمد ابن حجر بن محمد بن حجر بن أحمد بن حجر (المتوفى: 1423هـ): محمد بن عبد الوهاب المجدد المفترى عليه، دار الفتح الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1415هـ، ص141.

² الذهبي: سير أعلام النبلاء، (11/ 82).

³ ومن أجمع الكتب وأقدمها التي توضح موقف السلف من السلطان والدخول عليه، كتاب أخبار الشيوخ وأخلاقهم، للمروزي، أحمد بن محمد بن الحجاج، وهو أحد تلاميذ الإمام أحمد، انظر: المروزي، أحمد بن محمد بن الحجاج، أبو بكر (المتوفى: 275هـ): أخبار الشيوخ وأخلاقهم، تحقيق: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1426هـ.

⁴ المروزي: أخبار الشيوخ وأخلاقهم، ص42.

⁵ المرجع السابق: ص43.

⁶ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ): ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ص148.

وقال ابن تيمية: "من المعلوم أن علماء السنة كمالك وأحمد وغيرهما، من أبعد الناس عن مدهانة الملوك أو مقاربتهم"¹.

"وكان الإمام أحمد لا يأتي الخلفاء والولاة والأمراء، ويمتنع من الكتابة إليهم، وبينه أصحابه عن ذلك مطلقاً، نقله عنه جماعة، وكلامه فيهم مشهور، قال مهنا الشامي²: سألت أحمد عن إبراهيم بن الهروي³ فقال: رجل وسخ، فقلت ما قولك إنه وسخ قال: من يتبع الولاة والقضاة فهو وسخ، وكان هذا رأي جماعة من السلف"⁴.

وكان الإمام أحمد يقول في المعتصم قولاً شديداً: "وأي بلاء كان أكبر من الذي كان أحدث عدو الله وعدو الإسلام: من إماتة السنة؟"⁵

بل جعل مجرد الدنو منهم فتنة، والجلوس معهم فتنة، وقال: نحن متباعدون منهم ما أرانا نسلم، فكيف لو قربنا منهم⁶.

فكان توجه علماء السلف منع الدخول على السلطان⁷ من أصله، قال محمد بن سيرين "إن دعاك الأمير أن تقرأ عليه القرآن فلا تأته"⁸.

¹ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (4/ 130).

² هو أبو عبد الله مهنا بن يحيى الشامي السلمي، من كبار أصحاب الإمام أحمد، لزمه 43 سنة، وكان الإمام أحمد يكرمه، ويعرف له حق الصحبة، قال مهنا: صحبت أبا عبد الله فتعلمت منه العلم والأدب واكتسبت به مالا، لم تُعرف سنة وفاته، انظر: الفراء الحنبلي، أبو الحسين، محمد بن محمد بن أبي يعلى (المتوفى: 526هـ): طبقات الحنابلة، (1/ 345). محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، والذهبي: ميزان الاعتدال، (4/ 197).

³ إبراهيم بن عبد الله بن حاتم الهروي أبو إسحاق سكن بغداد يروي عن ابن عيينة، كان من أصحاب الحديث وتردد النقاد فيه بين التوثيق والتضعيف، توفي سنة 244هـ، عن بضع وتسعين سنة، انظر: ابن حبان: الثقات، (8/ 78)، الذهبي: تاريخ الإسلام، (5/ 1080).

⁴ منهم سويد بن غفلة وطاوس والنخعي وأبو حازم الأعرج والثوري والفضيل بن عياض وابن المبارك وداود الطائي وعبد الله بن إدريس وبشر بن الحارث الحافي وغيرهم، انظر: ابن مفلح، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: 763هـ): الآداب الشرعية والمنح المرعية، (3/ 476)، عالم الكتب.

⁵ ابن الفراء، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (المتوفى: 458هـ): الأحكام السلطانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1421هـ، ص20.

⁶ انظر: المروزي: أخبار الشيوخ وأخلاقهم، ص43.

⁷ وكان هنالك اتجاه آخر، أجاز الدخول على السلطان بشرط النصيحة، وقد فصل الكاتب عمرو بيسيوني هذين الاتجاهين في سلسلة مقالات منشورة أسماها العالم والسلطان، أما الدخول على السلطان الظالم ومدحه في غير ظلمة والسكوت عن الظلم وعدم بيانه للناس، فهذا من بدع هذا العصر، ولم يقل به أحد من السلف: انظر: بيسيوني، عمرو على محمد: العالم

والسلطان. <https://goo.gl/6SK25w>

⁸ المروزي: أخبار الشيوخ وأخلاقهم، ص66.

وقد دخل سفيان الثوري على أبي جعفر المنصور، وقال السلام عليكم، فتبسم، وقال: ارفع حاجتك؟ قال: ملأت الأرض ظلماً وجوراً، فأتق الله، وليكن منك في ذلك عبر، قال: كيف أصنع؟ قال سفيان: تقعد في بيتك وتوليها غيرك¹.

وكان سفيان الثوري يقول: "ما أخاف من إهانتهم لي، إنما أخاف من إكرامهم فيميل قلبي إليهم"²، وقال أيضاً: "نحن اليوم على الطريق، فإذا رأيتمونا قد أخذنا يميناً وشمالاً فلا تقتدوا بنا". وإنما أراد بذلك الدخول على السلطان، والاشتغال بأمره.

ولعل موقف سفيان الثوري من السلطان جعله مقدماً عند الإمام أحمد أكثر من غيره، فقد ذكر عند الإمام أحمد فقال: ما يتقدمه أحد في قلبي³.

والنصوص في ذلك كثيرة جداً، فعلماء السلف كرهوا الدخول على السلطان ومخالطته، ومنهم من دخل، وقال كلمة الحق في وجهه، فلم يكتم علماً يعرفه، ولم يجحد حقاً لذي فضل، ولم يمدح سلطاناً بما ليس فيه، وقد حاولت بنو أمية طمس وستر فضائل عليّ ﷺ وآل بيته، فعجز عن ذلك الخلفاء والأمراء، ونجح أهل العلم من المحدثين بحفظ وتدوين فضائلهم، رغم كل المحاولات في طيها وإخفائها بسبب الخلافات السياسية⁴.

ورأي السلف منسجم تماماً مع حديث رسول الله ﷺ، وتحذيره من فتنة السلطان في أحاديث تدل على الانحراف الذي حصل عند ملوك بني أمية وبني العباس ومن بعدهم، قبل وقوع هذه الفتن بزمان، وهذا من إعجاز السنة النبوية في إخبارها عن أحداث قبل وقوعها.

قال رسول الله ﷺ: "مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ افْتُنَّ"⁵.

¹ المروزي: أخبار الشيوخ وأخلاقهم، ص81، والذهبي: سير أعلام النبلاء، (6/ 643).

² ابن الجوزي: تلبس إبليس، ص109.

³ المروزي: أخبار الشيوخ وأخلاقهم، ص157.

⁴ انظر: ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (1/ 66).

⁵ أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الصيد، باب في اتباع الصيد، 2859، (3/ 111)، والترمذي: سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب، 2256، (4/ 523)، والنسائي: سنن النسائي، كتاب الصيد والذبائح، اتباع الصيد، 4309، (7/ 195)، وقال الترمذي: حسن غريب، وصححه الألباني، وأحمد شاكر، انظر: حنبل: مسند أحمد تحقيق أحمد شاكر، (3/ 422)، الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته، (2/ 1079)، المكتب الإسلامي، بيروت.

وقال رسول الله ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَأَبْوَابِ السُّلْطَانِ"¹.

المسألة الرابعة: مواقف تدل على ثبات المحدثين على السنة الصحيحة في وجه السلطان.

كان موقف السلف عدم الرغبة في الدخول على السلاطين والملوك ومخالطتهم، وإذا قدّر لهم اجتماع نصحو في الله، ولم يخف كثير منهم سطوة السلطان، ولم يداهنوه في تحريف حديث، أو تأويل نص لا يحتمل، وأثبتوا رواياتٍ عديدة، وسطروا أبواباً في كتبهم من حديث رسول الله ﷺ، وآراء للتابعين، على غير رغبة السلطان، وامتحنوا في ذلك محناً عظيمة، وقد ألف أبو عرب الإفريقي كتاباً سماه "المحنة"² جمع فيه المحن التي تعرّض لها الرواة والمحدثون لثباتهم على مواقفهم.

وربما خاف بعض السلف من بطش السلطان فلم يجهر بالحق، لكن خوفهم لم يجعلهم يداهنون في تحريف الروايات أو وضع الأحاديث ليرضوا بها السلطان، ولم يداهنوا الحكام والسلاطين أو يدافعوا عن ظلمهم كما فعل بعض الجهلة وأهل الأهواء، في القديم والحديث. وقصص محن المحدثين مع السلطان كثيرة جداً، نذكر منها:

- محنة الإمام أحمد

كان القول في خلق القرآن جُرمًا رائجاً عند أهل البدع، ويُعاقب عليه السلطان، فقد ورد عن هارون الرشيد أنه كان يقول: "بلغني أن بشراً المريسي³ يزعم أن القرآن مخلوق، لله عليّ إن أظفري به لأقتلنه قتلة ما قتلتها أحداً قط"⁴.

¹ الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (المتوفى: 430هـ): معرفة الصحابة، (4/2019)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1419هـ، ابن عساكر: تاريخ دمشق، (46/51)، وقد صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير والسلسلة الصحيحة، انظر: الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (3/252).

² أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي (المتوفى: 333هـ): المحنة، د عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، السعودية، ط1، 1404هـ.

³ بشر بن غياث بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن المريسي، وهو من أصحاب الرأي، إلا أنه اشتغل بالكلام، وجرّد القول بخلق القرآن، وحكى عنه أقوال شنيعة ومذاهب مستكثرة، أساء أهل العلم قولهم فيه بسببها، وكفره أكثرهم لأجلها، توفي سنة 218هـ وقيل 219هـ ببغداد، انظر: الخطيب: تاريخ بغداد، (7/531)، ابن خلكان: وفيات الأعيان، (1/278).

⁴ الخطيب: تاريخ بغداد، (7/531)، وأبو الحسين: طبقات الحنابلة، (1/21)، والذهبي: تاريخ الإسلام، (5/1036)، والصفدي: الوافي بالوفيات، (6/226).

وبقي الحال كذلك، إلى أن جاء المأمون وكان ذكياً متكلماً، له نظر في المعقول والمنطق، فقرب منه رؤوس المعتزلة، وما زالوا يزيّنون له القول بخلق القرآن، حتى أظهر القول به سنة 212هـ، بل وامتنح الناس في ذلك، وكان المأمون معتقداً ذلك قبل هذا التاريخ، ولكنه خشي من إظهاره خوفاً من الفتنة، أورد الخطيب في تاريخه أن المأمون قال: لولا مكان يزيد بن هارون¹، لأظهرت أن القرآن مخلوق².

وأشهر من تولى المسألة في عهد المأمون، وانتصر لها، وجعل كل من لم يُجب خصماً له وللسلطان، أحمد بن أبي دؤاد³ رئيس قضاة المأمون، وامتنح العلماء بها فمن أجاب أطلق سراحه، ومن امتنع عن الإجابة سُجن وتُكَلَّ به وضرب بالسوط، وعُزل من منصبه إن كان مُستعملاً في الدولة، وقد انقسم العلماء إلى قسمين، منهم من أجاب تقيّة، وهم الأكثر⁴، والقسم الثاني صمدوا في وجه السلطان، وهم أربعة: أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح⁵، وعبيد الله بن عمر القواريري⁶،

¹ هو يزيد بن هارون بن زاذان الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو خالد السلمي مولاهم الواسطي الحافظ، مولده في سنة ثمان عشرة ومائة، وكان رأساً في العلم والعمل ثقة حجة كبير الشأن، وقد أثنى عليه العلماء والنقاد ثناءً عظيماً، توفي سنة 206هـ، وقد قارب التسعين، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، (8/ 97-106)، ابن حجر: تقريب التهذيب، ص606.

² الخطيب: تاريخ بغداد، (16/ 493)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، (11/ 237).

³ هو أحمد بن أبي دؤاد القاضي، جهمي بغيض، من رؤوس المعتزلة، وقد امتحن العلماء والمحدثين بمسألة خلق القرآن، هلك سنة أربعين ومائتين إثر فالج أصابه، انظر: الذهبي: ميزان الاعتدال، (1/ 97)، ابن حجر: لسان الميزان، (1/ 458).

⁴ منهم: محمد بن سعد كاتب الواقدي، وأبو مسلم مستملي يزيد بن هارون، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وإسماعيل بن داود، (إسماعيل) بن أبي مسعود، وأحمد بن الدورقي، وغيرهم، انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (5/ 572).

⁵ محمد بن نوح بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال العجلي المعروف والده بالمضروب كان أحد المشهورين بالسنة، وحدث شيئاً يسيراً، وثبت في محنة القرآن مع الإمام أحمد رغم حداثة سنه، ثبت الإمام أحمد وقوى من عزمه، توفي وهو في طريقه للمأمون سجينا، شهيدا بإذن الله سنة 2018هـ، فدفنه الإمام أحمد وترحم وأثنى عليه خيراً، انظر: الخطيب: تاريخ بغداد، (4/ 517)، والصفدي: الوافي بالوفيات، (5/ 91).

⁶ عبيد الله بن عمر بن ميسرة القواريري كنيته أبو سعيد من أهل البصرة، الإمام، الحافظ، محدث الإسلام، سكن بغداد بروي عن حماد بن زيد والبصريين وغيرهم، ولد سنة 182هـ، وتوفي سنة 233هـ، انظر: ابن حبان: الثقات، (8/ 405)، والذهبي: سير أعلام النبلاء، (11/ 442).

والحسن بن حمّاد المشهور بلقب: "سجّادة"¹، وقد أجاب الأخيران بعدُ تقيّة، وأصرَّ الإمام أحمد ومحمد بن نوح على الحق: "القرآن كلام الله غير مخلوق"².

وقد بدأت المحنة في عهد المأمون سنة 212هـ، وتبدل على امتحان الإمام أحمد ثلاثة من الخلفاء، وهم المأمون والمعتصم والواثق، ولم تنته المحنة بشكل كامل إلا في عهد المتوكل، الذي رفع الله به المحنة، وأظهر السنة، وأفلَّ نجم التجهم والاعتزال، وكتب بذلك إلى الأفاق سنة 234هـ، ووضعت الحرب أوزارها، وفرح بذلك المسلمون، وخاب الفاتنون³.

وبذلك استحق الإمام أحمد لقب إمام أهل السنة والجماعة من دون منازع، قال عليّ ابن المدني: "أعز الله الدين بالصديق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة"⁴.

وقال يحيى بن معين: "أراد الناس منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل، لا والله ما نقوى على ما يقوى عليه أحمد بن حنبل، ولا على طريقة أحمد"⁵.

فالإمام أحمد، ثبت في محنة القرآن الكريم قريباً من عشرين سنة، ولم يُجب السلطان رغم كل الأذى الذي لاقاه، فهل من المعقول أن يحابي أحد في روايته للحديث أو في تدوينه لكتابه المسند أو يحزّف بعض الروايات أو يخفيها؟!!

¹ هو الحسن بن حماد الضبي الكوفي أبو علي الذي يقال له سجّادة، الإمام، القدوة، المحدث، الأثري، توفي سنة 241هـ، انظر: ابن حبان: الثقات لابن حبان، (8 / 175)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، (11 / 392).

² انظر: الطبري: تاريخ الطبري، (8 / 644)، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (5 / 576)، ابن كثير: البداية والنهاية، (13 / 384)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، (11 / 238).

³ انظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ): مناقب الإمام أحمد، (ص: 483)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط2، 1409هـ، والذهبي: سير أعلام النبلاء، (11 / 265)، وابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين (المتوفى: 840هـ): العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، (4 / 325)، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1415هـ.

⁴ الذهبي: سير أعلام النبلاء، (11 / 196).

⁵ الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (9 / 168).

- طاووس بن كيسان¹

أخباره مع السلطان كثيره، أظهر فيها استعلاءً واستغناءً عن السلطان والحاجة إليه ومن ذلك، ما أورد ابن كثير في "البداية النهاية"²، أن سليمان بن عبد الملك رأى رجلاً يطوف بالبيت، له جمال وكمال، فقال: من هذا يا زهري؟ فقلت: هذا طاووس، وقد أدرك عدة من الصحابة، فأرسل إليه سليمان فاتاه فقال: لو ما حدثتنا؟ فقال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَهْوَنَ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَلَمْ يَعْدِلْ فِيهِمْ"³.

فتغير وجه سليمان فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه فقال: لو ما حدثتنا؟ فقال: حدثني رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ ابن شهاب: ظننت أنه أراد علياً - قَالَ: دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى طَعَامٍ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قُرَيْشٍ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ لَكُمْ عَلَى قُرَيْشٍ حَقًّا، وَلَهُمْ عَلَى النَّاسِ حَقٌّ مَا اسْتُرِحِمُوا فَرَحِمُوا، وَاسْتَحْكَمُوا فَعَدَلُوا، وَأَثْمُنُوا فَأَدَّوْا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا"⁴.

قال: فتغير وجه سليمان وأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه وقال: لو ما حدثتنا؟ فقال: حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ {البقرة: 281}.

وذات مرة، قال عمر بن عبد العزيز لطاووس: ارفع حاجتك إلى أمير المؤمنين يعني سليمان فقال طاووس مالي إليه من حاجة، فكأنه عجب من ذلك، قال سفيان ابن عيينة، وحلف لنا إبراهيم⁵ وهو مستقبل الكعبة: ورب هذا البيت ما رأيت أحداً، الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة إلا طاووس.

¹ طاووس بن كيسان اليماني الهمداني كنيته أبو عبد الرحمن من عباد أهل اليمن ومن فقهاءهم ومن سادات، فقيه ثقة فاضل، مات سنة ست ومائة، انظر: ابن حبان: الثقات، (4/ 391)، وابن حجر: تقريب التهذيب، ص 281.

² ابن كثير: البداية والنهاية طبعة إحياء التراث، (9/ 265).

³ الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (4/ 15)

⁴ المرجع السابق: (4/ 15).

⁵ هو إبراهيم بن ميسرة الطائفي يروي عن أنس بن مالك روى عنه بن جريج وأيوب والثوري توفي قريباً من سنة 232هـ، قال ابن حجر: ثبت حافظ من الخامسة، انظر: ابن حبان: الثقات، (4/ 14)، وابن حجر: تقريب التهذيب، ص 94.

قال: وجاء ابن لسليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاووس فلم يلتفت إليه، فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه؟ قال: أردت أن يعلم هو وأبوه أن الله عبداً يزهدون فيما في يده¹.

- الإمام البخاري

صان أهل الحديث العلم وحفظوا له هيبته، فالعلم يُؤتى ولا يأتي، لذلك امتنع الإمام البخاري عن إجابة الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى²، لما بعث إليه، أن احمل إليّ كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما لأسمع منك.

فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أُذِلُّ العلم ولا أحمله إلى أبواب النَّاس، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فاحضرنى في مسجدي أو في داري، وإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعي من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة؛ لأنني لا أكتُم العلم، لقول النبي ﷺ: "من سئل عن علم فكتمه أجم بلجام من نار"^{3،4}.

- الأعمش⁵

لم يكتفِ أهل الحديث بعدم إجابة السلطان في اختلاق الروايات التي تدم علي ﷺ، وإنما تعاملوا مع ذلك بسخرية وتحدي، كتب إليه هشام بن عبد الملك، أن اكتب لي فضائل عثمان،

¹ الأصفهاني: حلية الأولياء، (16/4). بتصرف

² هو خالد بن أحمد بن خالد السدوسي الذهلي، أبو الهيثم: أحد الأمراء في العهد العباسي. ولي إمارة خراسان، ثم بخارى وسكنها، وكان عالماً بالحديث، فاستقدم إليها بعض كبار الحفاظ، وطلب من الإمام محمد بن إسماعيل البخاري أن يوافيه، فامتنع، توفي سنة 270هـ، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، (13/137)، والزركلي: الأعلام، (2/294).

³ انظر: ابن ماجه: سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من سئل علماً فكتمه، 266، (98/1)، وأبو داود: سنن أبي داود، كتاب العلم، باب كراهة منع العلم، 3658 (3/321)، والترمذي: سنن الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في كتم العلم، 2649، (5/30)، وقال الترمذي: حديث حسن وصححه ابن حبان الحاكم والذهبي والهيثمي الألباني، انظر: ابن حبان: صحيح ابن حبان، (1/297)، الحاكم: المستدرک علی الصحیحین، (1/181)، والهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (1/163)، الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته، (2/1077).

⁴ الخطيب: تاريخ بغداد، (2/355)، ابن عساكر: تاريخ دمشق، (52/96).

⁵ سليمان بن مهران الأعمش كنيته أبو محمد، أحد الأئمة الأعلام، وقد رأى أنس بن مالك وقد قيل إنه ولد قبل مقتل حسين بسنتين وكان فيه دعابة مات سنة ثمان وأربعين ومائة وقد قالوا سنة سبع وأربعين، ابن حبان: الثقات، (4/302)، الذهبي: تاريخ الإسلام، (3/883).

ومساوئ عليّ، فأخذ كتابه ولقّمه شاة عنده، وقال لرسوله: هذا جوابك، فألحّ عليه الرسول في جواب، وتحملّ عليه بإخوانه، وقال: إن لم آت بالجواب قتلني.

فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فلو كان لعثمان مناقب أهل الأرض ما نفعناك، ولو كانت لعليّ مساوئ أهل الأرض ما ضرّتك، فعليّك بخويصة نفسك، والسلام¹.

- طلحة بن مصرف²

وقف أهل الحديث مثل الصخرة الشامخة التي تحطمت عليها كل المحاولات من السلاطين الذين يرغبون في انتقاص آل البيت وتحريف فضائلهم، حتى لو وصل الحال إلى التهديد بالقتل، لنعلم أن المسألة كانت محسومة عند كبار المحدثين، ومن ذلك ما أورده الأصفهاني وابن خلكان عن العلاء بن كرز³ أنه بينما سليمان بن عبد الملك جالس، إذ مر به رجل عليه ثياب يخيل في مشيته أمام سليمان بن عبد الملك، فقيل: ما ينبغي أن يكون إلا كوفياً، فدعاه الخليفة وقال له: ما تقول في أبي بكر، قال: ما أدركت دهره ولا أدركه دهري، ولقد قال الناس فيه وأحسنوا وهو إن شاء الله كذلك.

قال: فما تقول في عمر فقال مثل ذلك، فقال: ما تقول في عثمان قال: ما أدركت دهره ولا أدركه دهري، ولقد قال فيه ناس فأحسنوا وقال فيه ناس فأساءوا وعند الله علمه.

قال: فما تقول في عليّ فقال مثل ذلك، قال: سُبَّ عليّاً، قال: لا أسبه، قال: والله لتسبّه أو لأضرب عنقك، فقال: والله لا أسبه، فأمر بضرب عنقه، فقام رجل بيده سيف فهزه حتى أضاء في يده كأنه خوصة وقال: لتسبّه أو لأضرب عنقك، قال: والله لا أسبه.

¹ ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (2/ 218).

² طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب بن جحذب بن معاوية بن سعد بن الحارث بن زهل بن همدان الكوفي كنيته أبو محمد، كان أحد العلماء الثقات، ويسمى سيد القراء، كان عثمانية ويحب علي بن أبي طالب عليه السلام، وهاتان خصلتان عزيزتان في الرجل الكوفي، انظر: ابن منجويّه، أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر (المتوفى: 428هـ): رجال صحيح مسلم، (1/ 328)، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1407هـ، الذهبي: سير أعلام النبلاء، (5/ 191).

³ هو العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب البصري، أحد الأعلام، يروي عن أنس بن مالك وعبد الله بن عمرو، روى عنه مالك وشعبه والثوري، توفي سنة 132هـ، انظر ابن حبان: الثقات، (5/ 247)، ابن حجر: لسان الميزان، (7/ 309).

ثم نادى: ويلك يا سليمان أدنني منك، فدعا به فقال: يا سليمان أما ترضى مني بما رضى به من هو خير منك ممن هو خير مني، قال: وما ذلك؟ قال: الله تعالى رضى من عيسى -وهو خير مني- إذ قال في بني إسرائيل -وهم شر من علي-: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ {المائدة: 118}.

قال فنظرت إلى الغضب يتحدر من وجهه حتى صار في طرف أرنبته ثم قال: خل سبيله، فعاد إلى مشيته فما رأيت رجلاً قط خيراً من ألف رجل غيره¹.

والقصص في ذلك كثيرة وقد ذكرت في مبحث سابق ثبات الإمام الزهري وتمسكه بالسنة الصحيحة في وجه الخليفة، أعلى سلطة في الدولة الإسلامية في ذلك الوقت، وجوابه الشديد حينما اتهمه بالكذب، فردّ عليه بقوله: أنا أكذب لا أبا لك! فوالله لو نادى مناد من السماء: إن الله أحل الكذب، ما كذبت.

لم يعترض على الخليفة وبيّن الحق فحسب، وإنما دعا على الخليفة لأنه اتهمه بالكذب، فتراجع الخليفة أمام ثباته، وقال: والله ما كان ينبغي لنا أن نحمل على مثلك².

فهذا هو حال العلماء من الفقهاء والمحدثين، أظهروا السنة وحاربوا البدعة، ولم يداهنا السلطان، ولم يجيبوه في غير طاعة، فحفظ الله بهم الدين، وأظهر شعائره وسننه، وسطروا حديث رسول الله في كتب جليّة القدر عظيمة الشأن، وصلت إلينا بالتواتر، فيها من الدرر والكنوز الزواجر، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

المسألة الخامسة: الرواة الذين تأثروا بالسلطان وموقف العلماء منهم

مع أن كبار المحدثين ممن دار عليهم الإسناد ومن جمعوا السنة في الكتب والمسانيد كانوا أهل عدل وثقة وإنصاف، فلا تُنكر وجود بعض الرواة ممن تأثروا بالنصب فبالغوا في العداة لعلّي

¹ الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (5/ 16)، وابن خلكان: وفيات الأعيان، (2/ 426).

² انظر: الصفحة 115 من هذه الدراسة.

ابن أبي طالب ﷺ وآل بيته، واستجابوا للسلطان في ذم علي بن أبي طالب وقتال الثائرين من آل البيت¹.

ولكن أهل السنة ممن اشتغلوا بالرواية، وقفوا لهم بالمرصاد، ولم يقبلوا رواية من بالغ في عدا آل البيت، ومن هؤلاء الرواة الذين أعرض أهل السنة عن التحديث عنهم:

• ربيعة بن يزيد السلمي، ذكره بعضهم في الصحابة ونفاه أكثرهم، وكان من النواصب يشتم علياً، قال أبو حاتم الرازي: لا يُروى عنه ولا كرامة ولا يُذكر بخير².

• يزيد بن معاوية، روى عن أبيه، مقدوح في عدالته، قال الذهبي وابن حجر: ليس بأهل أن يُروى عنه، وقال أحمد بن حنبل: لا ينبغي أن يروى عنه، وقد سئل الإمام أحمد: أيرى عن يزيد الحديث؟ فقال: لا، ولا كرامة، وعقب ابن الجوزي على قول أحمد: فلذلك امتنعنا أن نُسند عنه³.

• عمر بن سعد⁴، سئل يحيى بن معين عن عمر بن سعد أئمة هو؟ فقال: كيف يكون من قتل الحسين ثقة؟ وقد روى يحيى بن سعيد القطان رواية عن عمر بن سعد، فقام رجل وقال: أما تخاف الله تروي عن عمر بن سعد، فبكى، وقال: لا أعود أُحدِّث عنه أبداً، لكن الذهبي وثقه، وقال ابن حجر عنه: صدوق، ثم بيّن أن الناس مقتوه وانصرفوا عنه لكونه أميراً على الجيش الذين قتلوا الحسين بن عليّ ﷺ.

¹ انظر: ص 94-95 من هذه الدراسة.

² القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (2/495)، وابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، (2/397).

³ هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، ولي الخلافة سنة 60هـ، وتوفي سنة 64هـ، ولم يكمل الأربعين سنة، انظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (5/322)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ، والذهبي: ميزان الاعتدال، (4/440)، وابن حجر: تقريب التهذيب، ص605.

⁴ هو عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني نزيل الكوفة، كان في الجيش الذي قتل الحسين، قُتل سنة 65هـ، انظر: الذهبي: لسان الميزان، (7/318).

وغيرهم كثير¹، من الرواة الذين ضعفهم العلماء لنصبهم وتحاملهم على عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وآل بيته، وفي ذلك دلالة واضحة على أن النقاد لم يُغفلوا العامل السياسي، في حكمهم على الرواة، ولم يحملهم موقف بعض السلاطين المتحاملين على آل البيت، على أن يقولوا في الرواة ما ليس فيهم، أو يخفوا قدحاً في رواية آخرين محاباةً للسلطان، وهذه كتب الرجال شاهدة على مر التاريخ على ذلك.

¹ انظر: العواد: النصب والنواصب دراسة تاريخية عقديّة، ص213.

المبحث الرابع

شبهة ضياع أكثر السنة، لأن أصحاب الكتب انتخبوا كتبهم من مئات آلاف الأحاديث ولم يثبتوا منها إلا بضعة آلاف

عرض الشيعة وغيرهم من أهل الأهواء أقوال أصحاب الكتب الحديثية من الأئمة الستة وغيرهم، أنهم جمعوا كتبهم من مئات آلاف الأحاديث، ليستدلوا على كثرة الوضع عند أهل السنة وضياع أكثر الروايات.

قال الأميني¹: ويعرب عن كثرة الموضوعات اختيار أئمة الحديث أخبار تأليفهم الصحاح والمسانيد من أحاديث كثيرة هائلة والصفح عن ذلك الهوش الهائش²، قد أتى أبو داود في سننه بأربعة آلاف وثمانمائة حديث وقال: انتخبته من خمسمائة ألف حديث، ويحتوي صحيح البخاري من الخالص بلا تكرار ألفي حديث وسبعمائة وواحد وستين حديثاً، اختاره من زهاء ستمائة ألف حديث، وفي صحيح مسلم أربعة آلاف حديث أصول دون المكررات صنفه من ثلاثمائة ألف، وذكر أحمد بن حنبل في مسنده ثلاثين ألف حديث، وقد انتخبه من أكثر من سبعمائة وخمسين ألف حديث، وكان يحفظ ألف ألف.

ثم علل ذلك بكثرة الموضوعات التي أعرض عنها أهل الحديث، وقد اثبتوا جزءاً قليلاً مما صح عندهم من الحديث في كتبهم التي جمعوها.

ومنهم من جعل أقوال الأئمة على سبيل المبالغة في الحفظ والتي لا أساس لها على أرض الواقع، قال البابلي: "يظهر من نفاتح كلامهم أنّ البخاري ممّن يطلق عليه الحجّة أيضاً لكونه محيطاً بثلاثمائة ألف حديث إحاطة على نمط الحفظ والضبط بالمعنى الأخصّ كما نقل هذا، وأنت خبير بأنّ كلّ ذلك من الأمور الصادرة على نمط الإغراق والمبالغة"³.

¹ الأميني، عبد المحسن بن أحمد (المتوفى: 1392): الغدير، (292/5-293)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1387هـ.

² دلالة على الكثرة المختلطة، انظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص610.

³ البابلي: رسائل في دراية الحديث، (135/2-136).

وقد بين الشهرستاني الفرق الكبير بين عدد مرويات أبي هريرة رضي الله عنه، التي ذكرها المحدثون وهي 5374 حديثاً، والروايات التي جمعها تلميذه وهب بن منبه في صحيفته، والبالغ عددها 138 حديثاً، معروضاً بذلك أن أغلب حديث أبي هريرة ضاع وتفرق¹.

والجواب على ذلك لا يخفى على كل مشتغل بالحديث، وذلك أن الأسانيد كلما تقدم الزمن، وبعد عن زمن النبوة طالت وتشعبت وكثرت الطرق للمتن الواحد، وقد اعتاد المحدثون أن يسموا كل طريق من هذه الطرق حديثاً، لكي يسهل عليهم تمييز الرواة والحكم عليهم، فكان للمتن الواحد أسانيد كثيرة، لكثرة الرواة الذين حرصوا على طلب العلم وتحمل الحديث.

فمثلاً حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»²، حديث غريب³، لم يروه عن عمر إلا علقمة بن وقاص الليثي⁴، وانفرد محمد بن إبراهيم التيمي⁵

¹ الشهرستاني: تاريخ تدوين الحديث، ص 81

² البخاري: صحيح البخاري، بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، 1، (6/1)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، 1707، (3/1515)، بلفظ قريب.

³ الحديث الغريب: هو الذي يتفرد به بعض الرواة عن إمام من أئمة روايته، لا يشاركه فيه أحد عنه، وكذلك الحديث يتفرد به بعضهم لا يذكره فيه غيره، إما في منته، أو في إسناده، أو فيهما، انظر: الحموي، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الشافعي، بدر الدين (المتوفى: 733هـ): المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، (ص: 55)، تحقيق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر، دمشق، ط2، 1406، والقزويني، عمر بن علي بن عمر، أبو حفص، سراج الدين (المتوفى: 750هـ): مشيخة القزويني، (ص: 105)، تحقيق: الدكتور عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ط1، 1426هـ.

⁴ هو: علقمة بن وقاص بن محصن بن كلدة الليثي من أهل المدينة يروي عن عمر وعائشة روى عنه الزهري وابناه عمرو وعبد الله، وهو ثقة ثبت من الثانية، وقد أخطأ من ظن أن له صحبة، مات في ولاية عبد الملك بن مروان بالمدينة، انظر: ابن حبان: الثقات، (5/209)، وابن حجر، تقريب التهذيب، ص397.

⁵ هو: محمد بن إبراهيم بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي من أهل المدينة سمع بن عمر ورأى أنساً، روى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري ومحمد بن إسحاق، وهو ثقة له أفراد، من الرابعة، مات سنة 121هـ، انظر: ابن حبان: الثقات، (5/381)، وابن حجر: تقريب التهذيب، ص465.

عنه، كما انفرد يحيى بن سعيد الأنصاري¹، عن محمد بن إبراهيم، ثم اشتهر عن يحيى بن سعيد، اشتهاراً عظيماً، حتى قيل إنه رواه عنه أكثر من سبعمائة رجل².

قال الحافظ على بن المديني: "وزعم بعض المتأخرين أن هذا الحديث بلغ مبلغ التواتر وليس كذلك، فإنه انفرد به يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم التيمي، ثم رواه عن الأنصاري خلق كثير نحو مائتي راوٍ، وقيل سبعمائة راوٍ، وقيل أكثر من ذلك، وقد روي من طرق كثيرة غير طريق الأنصاري، ولا يصح منها شيء"³.

وبذلك يكون لهذا الحديث الغريب أكثر من سبعمائة طريق، ويسمى المحدثون هذه الطرق أحاديث، فتكون سبعمائة حديثاً، وهي في الأصل لمتن واحد.

وهذا يوضح قول العلماء الذي استشكله الأميني، أنهم قصدوا بالروايات بجموع أسانيدها، فلما أرادوا تدوين الكتب أثبتوا أجود الأسانيد، وأصح ما ورد في الأبواب، وأعرضوا عن الأسانيد الضعيفة والواهية.

ومما يدلنا على هذا المعنى الأخبار الكثيرة عن المحدثين في تذاكرهم للروايات الحديثية على الأبواب الفقهية، أو على الشيوخ والمسانيد والبلدان، قال أبو زرعة الرازي: "كان أحمد بن حنبل، يحفظ ألف ألف حديث"، فقيل له: وما يدريك؟ قال: "ذاكرته، فأخذتُ عليه الأبواب"⁴.

وقال إسحاق بن راهويه: "كنت أجالس بالعراق، أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأصحابنا، فكنا نتذاكر الحديث من طريقٍ وطريقين وثلاثة"⁵.

¹ هو: يحيى بن سعيد بن قيس بن فهد الأنصاري مدني، تابعي، ثقة وكان له فقه ولي القضاء وكان رجلاً صالحاً، وجدته قيس بن فهد من أصحاب النبي ﷺ وسمع يحيى من أنس بن مالك مات سنة 144هـ، انظر: العجلي: الثقات، ص472، وابن حجر: تقريب التهذيب، ص591.

² انظر: العراقي: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، (2/ 926).

³ انظر: الخطيب: تاريخ بغداد، (6/ 90)، والمنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين (المتوفى: 656هـ): الترغيب والترهيب للمنذري، (1/ 25)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ.

⁴ ابن رجب: شرح علل الترمذي، (1/ 479).

⁵ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، (1/ 293)، والخطيب: تاريخ بغداد، (6/ 90).

فالمذاكرة تكون للمتن الواحد بأسانيد كثيرة كما تبين من الآثار المنقولة، وقد اعتنى علماء الحديث بالأسانيد كلها في حال المذاكرة، وذلك للمقارنة بين الرواة ومعرفة أحوال ضبطهم وحفظهم للروايات، قال سفيان الثوري: "إذا جاءت المذاكرة؛ جننا بكل، وإذا جاء التحصيل، جننا بمنصور بن المعتمر"¹.

وقال عبد الله بن أحمد: وسمعت أبي وذكر حديثاً عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول²، في المذاكرة على غير وجه الحديث، فكتبه عنه، وكان سيء الرأي فيه جداً³.

وهذا الامر لا يخفى على الشيعة، وهو موجود عندهم، فقد ذكر مؤلفو كتب الرجال أن أبا العباس أحمد بن محمد الهمداني الكوفي⁴، قال: أحفظ مئة وعشرين ألف حديث بأسانيدها! وأذكر بثلاثمائة ألف حديث⁵.

فكيف يجيزون لراوٍ عندهم أن يحفظ هذا الكم الكبير من الأحاديث، ويذاكر بها، ثم يستتكرون ذلك عن جهابذة الحفاظ: الذين قصروا حياتهم خدمة لحديث رسول الله ﷺ، حتى جمعوه من الأقطار والأمصار ومكثوا في ذلك سنين كثيرة؟

¹ هو: منصور بن المعتمر السلمي يكنى أبا عتاب كوفي ثقة ثبت في الحديث كان أثبت أهل الكوفة وكان حديثه القدر لا يختلف فيه أحد متعبد رجل صالح أكره على قضاء، وهو من طبقة الأعمش توفي سنة 132هـ، وقد أورد اسمه الثوري في قوله ضاربا به المثل بقوة حفظه وضبطه، أنظر: العجلي: الثقات، (2/ 299)، المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (28/ 553)، وابن حجر: تقريب التهذيب، 547.

² عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه والأعمش قال أحمد والدارقطني متروك وقال أبو داود كذاب وقال مرة يضع الحديث، انظر: الذهبي: المغني في الضعفاء، (2/ 385)، ابن حجر: لسان الميزان، (3/ 427).

³ حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): العلل ومعرفة الرجال لأحمد رواية ابنه عبد الله، (3/ 454)، وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني، الرياض، ط2، 1422هـ، والعقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي (المتوفى: 322هـ): الضعفاء الكبير، (2/ 345)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعي، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ.

⁴ هو: أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن أبو العباس الكوفي، المعروف بابن عقدة وهو لقب لأبيه، كان حافظا كبيرا جمع الأبواب والتراجم، وضعفه الدارقطني، وقد ترك الأئمة حديثه لتشيعة، إذ كان يملئ مثالب الصحابة، والشيخين، توفي سنة 332هـ، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، (11/ 528)، والصفدي: الوافي بالوفيات، (7/ 258).

⁵ القمي: كفاية الأثر، ص319، والعاملي: وسائل الشيعة، (30/ 311).

الفصل الخامس

منهج أهل السنة في رواية الحديث

توسط أهل السنة والجماعة بين طرفي نقيضين بعد الفتنة التي حدثت بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وأمسكوا ألسنتهم عن مدحهم الله ﷺ، ووثقهم من فوق سبع سماوات واعتذروا لهم، ولم يمنع ذلك من محاولة معرفة المخطئ من المصيب، خلافاً للشيعنة الذين غالوا في آل البيت ورفعوهم فوق الأنبياء والمرسلين، وكفروا الصحابة رضوان الله عليهم، وشنعوا عليهم في السب واللعن والطعن في الدين، وخلافاً أيضاً للنواصب، الذين انتقصوا من آل البيت وسبوهم وانتصروا لبقية الصحابة رضوان الله عليهم ولدولة بني أمية¹.

فقيض الله لهذا الدين حماة حفظه بأيديهم، وشرفهم بحمل كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ، وتبليغه في الأقطار والأمصار، جيلاً بعد جيل، لم ينحرفوا ولم يغالوا أو يفرطوا، بل كانوا على الجادة، والطريق الصواب، إلا ما يعترى البشر من أمور يسيرة لضعف الانسان، وخير شاهد لهم على ذلك، العلم المبتكر، علم نقد الروايات الذي خلفوه وراءهم بأصوله وقواعده التي تبلورت بما اقتضته الحاجة، وتطلبه المواقف، من أجل الحفاظ على سنة رسول الله ﷺ، فلولا أهل الحديث بعد توفيق الله وارادته لضاع الدين، وحُرّف كما حُرِّفت كتب وآثار الأمم السابقة.

قال أبو داوود: "لولا هذه العصاة لاندرَس الإسلام، يعني أصحاب الحديث الذين يكتبون

الآثار"².

ورحم الله من قال³:

قَنَادِيلُ دِينِ اللَّهِ يَسْعَى بِحَمَلِهَا ... رَجَالٌ بِهِمْ يَحْيَا حَدِيثُ مُحَمَّدٍ

¹ انظر: العاملي: وسائل الشيعة، ص108.

² الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي (المتوفى: 463هـ): شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص: 52)، تحقيق: محمد سعيد خطي اوغلي، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة.

³ انظر: المرجع السابق: ص53.

هُم حَمَلُوا الْآثَارَ عَنْ كُلِّ عَالِمٍ ... تَقِيٌّ، صَدُوقٌ، فَاضِلٌ مُتَعَبِّدٌ

مَحَابِرُهُمْ زَهْرٌ تُضِيءُ كَأَنَّهَا ... فَتَادِيْلُ حَبْرِ نَاسِكٍ وَسَطٌ مَسْجِدِ

تُسَاقُ إِلَى مَنْ كَانَ فِي الْفِقْهِ عَالِمًا ... وَمَنْ صَنَّفَ الْأَحْكَامَ مِنْ كُلِّ مُسْنَدِ

وفي هذا الفصل سوف أعرض أهم معالم منهج أهل السنة في رواية الحديث النبوي،

والانتصار له، من خلال مبحثين:

المبحث الأول

الوسائل والطرق التي اتبعتها أهل السنة في الحفاظ على الرواية الحديثية

اتبع أهل السنة وسائل وطرقاً شتى من أجل تحصين سنة رسول الله ﷺ، في وجه أهل الأهواء من الفرق السياسية، وأهل الزندقة الذين كان هدفهم تخريب الدين بتحريفه وإدخال فيه ما ليس منه، أو إخراج منه ما هو منه، وفي هذا المبحث سوف أعرض أهم هذه الوسائل والطرق بإذن الله تعالى:

المطلب الأول: الحرص على تلقي الحديث

تتبع الصحابة رضوان الله عليهم، على أهمية حديث رسول الله ﷺ، من بداية الدعوة فتلقوا الحديث من رسول الله ﷺ، باهتمام شديد وحرص أكيد، دفعهم إلى حفظه في الصدور وتدوينه في السطور في الصحف، وقد عُرف عنهم بعض تلك الصحف ورُوي منها أحاديث¹.

وكان لحفظهم للحديث دوافع ومعينات سهّلت عليهم جمع الأحاديث، على ما عندهم من الحرص والاهتمام تُلخّصت في عوامل عدة أهمها²:

1. البيئة التي عاش فيها الصحابة رضي الله عنهم، -كانت أقرب إلى البداوة بل إن كثيراً منهم كان يعيش في البوادي-، جعلتهم يتمتعون بصفاء أذهانهم، وقوة قرائحهم على الحفظ وتثبيت الأقوال من مجرد السماع، فقد كان العرب في الجاهلية لهم عناية بالشعر وحفظه، وكانوا يحفظون المطولات من الشعر من أجل التفاخر والتحدي، ويحفظون الأنساب الطويلة، فكيف بالصحابة رضوان الله عليهم، لا يحفظون الحديث، ولهم أهداف أسمى وأعلى من ذلك!؟

¹ انظر: الصفحة 17-22 من هذه الدراسة.

² انظر: عتر: الدكتور نور الدين: منهج النقد في علوم الحديث، ص37، دار الفكر، دمشق، سورية، ط3، 1401هـ، الخطيب: السنة قبل التدوين، (1/ 67)، والكيلاني، مناظر أحسن: تدوين الحديث، ص47-60، تحقيق، الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط3، 2004م.

2. قوة الدافع الديني، إذ أيقنوا أن لا سعادة ولا عز لهم إلا باتباع النبي ﷺ، وقد تأصل هذا الدافع في نفوسهم بتوجيه الله عز وجل بكلامه المنزل على عبده ﷺ، الذي دلَّ على أهمية السنة، واتباع أمر رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ {آل عمران: 31}، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ {الحشر: 7}، وغيرها من الآيات المرغبة باتباع أوامره واجتناب نواهيه، فلزم الصحابة أمره في حياته، وأهتموا بسنته بعد وفاته، وخافوا من عصيان أمره ﷺ.

3. توجيه النبي ﷺ، للصحابة إلى الاهتمام بحديثه من خلال أقواله من جهة، ومن خلال اعادته للحديث أكثر من مره حتى يُحفظ عنه من جهة أخرى:

• قال رسول الله ﷺ: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَفْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"¹.

• وقال رسول الله ﷺ: "نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِئْهٍ غَيْرِ فِقْهِيهِ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ"².

• وقد كَانَ رسول الله ﷺ: "يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لِأَحْصَاة"³.

4. مركزية شخصية النبي ﷺ، فلم ينشغل الصحابة عنه برجل قد يوازيه أو يقاربه في العلم أو الوحي، لأنه النبي المرسل والناطق الملهم، والمحبب للقلوب بالفطرة والدين، فالأنظار كلها نحوه متطلعة، والقلوب به متعلقة، فيسمع الصحابة رضوان الله عليهم منه بقلوبهم قبل آذانهم، خلافاً لسيرة أيِّ عالم أو مُصلِحٍ أو مُخترِعٍ، الذي قد يُشاركه في تميزه غيره، فيتوزع الاهتمام ويتشتت الحرص على أكثر من واحد.

¹ سبق تخريجه: ص 15.

² انظر: ابن ماجه: سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من بلَّغ علماً، 230، (1/ 84)، وأبو داود: سنن أبي داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، 3660، (3/ 322)، والترمذي: سنن الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، 2656، (4/ 330)، وقال حسن صحيح، وصححه الحاكم الذهبي والألباني انظر: الحاكم: المستدرک على الصحيحين، (1/ 162)، والألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (4/ 299).

³ سبق تخريجه ص: 15.

5. تفرغ بعض الصحابة الجزئي أو الكامل لسماع أقوال النبي ﷺ، وحفظها عنه، ثم تبليغها للناس¹.

6. كتابة بعض الصحابة للسنة النبوية في صحف في حياة النبي ﷺ، أو بعده، فقد ترجح لي من خلال الفصول السابقة أن الكتابة وإن صدر المنع عنها لظروف وأحوال معينة، إلا أن الواقع يثبت أن الكتابة لم تنقطع بل بدأت في حياة النبي ﷺ واستمرت كجهد شخصي للراوي لكي يستعين على الحفظ بها ولا ينسى، دون انقطاع أو توقف، إلى أن صدر الأمر الرسمي بتدوين السنة في خلافة عمر بن عبدالعزيز².

كان لهذه العوامل دور في نقل السنة الصحيحة من الصحابة إلى تابعيهم بحرص وعناية كبيرة، حتى برع من التابعين في الحديث علماء أفاض²، وكان حرص التابعين على حديث رسول الله ﷺ كثيراً، فهم ضمن القرون التي شهد لها النبي ﷺ بالخيرية³.

وقد روى جمع من الصحابة عن التابعين بعض الأخبار، وجمع الحافظ ابن حجر، رواية الصحابة عن التابعين في كتاب سماه "نزهة السامعين في رواية الصحابة عن التابعين"⁴.

وكان اهتمام الصحابة وكبار التابعين منصباً على متن الحديث، فهو الغاية والمقصد، وبه العمل، فهو تركة النبي ﷺ الثمينة، وورثته الغالية، قال رسول الله ﷺ: "تركتم فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض"⁵.

¹ تفرغ جزئي مثل عمر بن الخطاب وصاحبه الأنصاري، والتفرغ الكامل مثل أبي هريرة رضي الله عنه، انظر: السفة 16 من هذه الدراسة.

² مثل نافع مولى ابن عمر، والزهري، ويحي بن سعيد الأنصاري، وقتادة، وطاووس، ومكحول، وغيرهم خلق كثير.

³ قال رسول الله ﷺ: "خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةَ أَحَدِهِمْ يَمِينُهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ"، انظر، البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، 2652، (3/171).

⁴ انظر: ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (المتوفى: 852هـ): نزهة السامعين في رواية الصحابة عن التابعين، (ص: 81)، طارق محمد العمودي، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1415هـ.

⁵ الحاكم: المستدرک علی الصحیحین، (1/172)، وصححه الألباني، انظر: الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته، (1/566)، وقد جاء عند الترمذي وغيره "يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي"، وقال: حديث حسن غريب، انظر: الترمذي: سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ، 3786، (6/131).

فكان لحديث رسول الله ﷺ سلطان كبير في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم، حرصاً منهم على الاتباع لأفعاله والامتثال لأقواله ﷺ، ومن ذلك:

• عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: "كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قول رسول الله ﷺ: لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ"¹.

• قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَنْزِعُوا أَعْيُنَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدَعَتْ"².

فكانوا يسلمون لحديث رسول الله ﷺ حتى لو كان خلافاً لأهوائهم، ولا يجالسون من لا يقبل سنة رسول الله حكماً ودليلاً:

• وعن عبد الله بن مغفل³: "أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَخْذِفُ⁴، فَقَالَ لَهُ: لَا تَخْذِفْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْخَذْفِ، أَوْ كَانَ يَكْرَهُ الْخَذْفَ وَقَالَ: "إِنَّهُ لَا يُصَادُ بِهِ صَيْدٌ وَلَا يُنْكَى بِهِ عَدُوٌّ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفْقَأُ الْعَيْنَ" ثُمَّ رَأَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: أَحَدْتُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْخَذْفِ أَوْ كَرِهَ الْخَذْفَ، وَأَنْتَ تَخْذِفُ لَا أَكَلْمَكَ كَذَا وَكَذَا"⁵.

• وكان الصحابة يقولون قولاً شديداً لمن لا يسلم للحديث النبوي، فقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمْ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنْتُمْ إِلَيْهَا، قَالَ: فَقَالَ بِلَالُ بْنُ عَبْدِ

¹ البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم؟، 900، (6 / 2).

² مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، 1066، (2 / 746).

³ عبد الله بن مغفل المزني له صحبة نزل البصرة وهو المغفل بن عبد نهم بن عفيف كنيته أبو زياد، بايع تحت الشجرة بالحديبية، مات سنة تسع وخمسين، وقيل سنة 60هـ، انظر: ابن حبان: الثقات، (3 / 236)، والأصبهاني: معرفة الصحابة، (4 / 1780).

⁴ الخذف: الرمي عن جانب والضرب عن جانب، وقد يكون بالعصا ويكون بالحجر، انظر: الفراهيدي: العين، (3 / 202)، الزبيدي: تاج العروس، (23 / 121).

⁵ البخاري: صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب الخذف والبنذقة، 5479، (7 / 86)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو، وكرهة الخذف، 1954، (3 / 1548).

الله¹: والله لمنعهن، قال: فأقبل عليه عبد الله: فسبه سباً سيئاً ما سمعته سبه مثله قط وقال: "أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لمنعهن"².

• وحدث ابن سيرين، رجلاً بحديث عن النبي ﷺ، فقال رجل: قال فلان: كذا وكذا، فقال ابن سيرين: "أحدتكَ عن النبي ﷺ وتقول: قال فلان وفلان: كذا وكذا، لا أكلمك أبدا"³.

وأختم هذه المسألة بنقل عن ابن القيم، يوضح فيه مدى تأثير سلطان الرواية الحديثية في نفوس الصحابة رضوان الله عليه، بقوله: "هل كان في الصحابة من إذا سمع نص رسول الله ﷺ عارضه بقياسه، أو ذوقه، أو وجدّه، أو عقله، أو سياسته؟ وهل كان قط أحد منهم يقدم على نص رسول الله ﷺ عقلاً أو قياساً، أو ذوقاً أو سياسة، أو تقليد مقلد؟ فلقد أكرم الله أعينهم وصانها أن تنظر إلى وجه من هذا حاله، أو يكون في زمانهم.

فياالله! كيف لو رأى ما رأينا، وشاهد ما بلينا به من تقديم رأي كل فلان وفلان على قول المعصوم ﷺ، ومعاداة من اطّرح آراءهم، وقدّم عليها قول المعصوم⁴؟ فالله المستعان، وهو الموعد، وإليه المرجع"⁵.

المطلب الثاني: ظهور علم الإسناد ونقد الرجال

لما طالت الأسانيد وتشعبت بتقدم الزمن وكثرة الرواة، تنبه علماء الحديث لذلك، إذا لا يمكن للناقد أن يعرف كل الرجال من الأجيال السابقة، أو حتى ممن عاصروهم، لاتساع الدولة

¹ هو بلال بن عبد الله بن عمر بن الخطاب. روى عن أبيه حديثاً واحداً، قال أبو زرعة: مدني ثقة، وعده يحيى القطنان في فقهاء أهل المدينة وذكره ابن حبان في الثقات، انظر: ابن حبان: الثقات، (4/ 65)، وابن حجر: تهذيب التهذيب، (1/ 504)

² مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة، وأنها لا تخرج مطيبة، 442، (1/ 327).

³ الدرامي: سنن الدرامي، (1/ 407).

⁴ سبحان الله قد استغرب ابن القيم من زمانه، وكان فيه العلم والعلماء فهو تلميذ ابن تيمية وأقرانه من طلاب ابن تيمية، الذهبي وابن رجب وابن مفلح والمزي وابن عبد الهادي وابن كثير، وغيرهم من الجهادية، فما نقول عن زماننا نحن الذي تطاول فيه من لا حظ له من العلم على الجهادية الكبار أمثال البخاري ومسلم وغيرهم!!

⁵ ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزية (المتوفى: 751هـ): مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (1/ 334)، تحقيق: محمد المعتمد بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1416هـ.

الإسلامية، وكثرة المشتغلين بالرواية، ولأجل ذلك ظهرت العناية بدراسة الأسانيد ومعرفة حال الرواة جرحاً وتعديلاً.

قال سفيان الثوري: "الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل"¹.

وقال عبد الله بن المبارك: "الإسناد عندي من الدين، لولا الإسناد: لقال من شاء ما شاء"².

وقد نُقل عن جمع من المحدثين³ أن الإسناد مثل الدرج أو السلم للسطح وهل يرقى الرجل إلى السطح من دون درج، قال ابن المبارك: "مثل الذي يطلب دينه بلا إسناده كمثل الذي يرتقي السطح بلا سلم"⁴.

فاعتنى علماء الحديث بعلم الإسناد عنايةً كبيرة، ورحلوا رحلات كثيرة في طلب حديث معيّن والتثبت منه سواء كان الشك في الإسناد أو المتن.

وجلُّ علماء الحديث سافروا في طلبه، ورحلات العلماء في طلب الحديث كثيرة جداً، وقد ألف الخطيب البغدادي كتاباً في ذلك سماه: "الرحلة في طلب الحديث"⁵، جمع فيه أخباراً كثيرة عن رحلات العلماء، وقد ابتدأ برحلات الصحابة رضوان الله عليهم.

ذكر عبد الله بن محمد بن أبي طالب¹، أن جابر بن عبد الله حدثه قال: بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم أسمعته منه قال: فابتعت بعيراً فشددت

¹ الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ): المدخل إلى كتاب الإكليل، ص29، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية، والخطيب: شرف أصحاب الحديث، ص42.

² الترمذي: سنن الترمذي، (6/235)، والخطيب: شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي، ص41.

³ نقل ذلك عن الزهري، وابن عيينة، وابن المبارك، وابن المديني: انظر: ابن رجب: شرح علل الترمذي، (1/361).

⁴ ابن رجب: شرح علل الترمذي، (1/361).

⁵ انظر: الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، (المتوفى: 463هـ): الرحلة في طلب الحديث، نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1395هـ.

¹ هو الإمام المحدث أبو محمد، عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي أمه زينب الصغرى بنت علي بن أبي طالب، وهو صدوق في حديثه لين توفي سنة 140هـ، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، (6/205)، وابن حجر: تقريب التهذيب، ص321.

عليه رحلي فسرت إليه شهراً حتى أتيت الشام، فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصاري¹، قال: فأرسلت إليه أن جابراً على الباب، قال: فرجع إليّ الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟، فقلت: نعم، قال: فرجع الرسول إليه، فخرج إليّ، فاعتقني واعتقته، قال: قلت: حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمع، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمع².

وخرج أبو أيوب الأنصاري³، إلى عقبة بن عامر⁴، وهو بمصر يسأله عن حديث، سمعه من رسول الله ﷺ، فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري⁵، وهو أمير مصر فأخبر به فعجل، فخرج إليه فعانقه، وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه غيري وغير عقبة، فابعث من يدلني على منزله، قال: فبعث معه من يدلّه على منزل عقبة، فأخبر عقبة به فعجل، فخرج إليه فعانقه، وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فأخبره⁶.

وأخبار رحلات التابعين في طلب الحديث كثيرة جداً:

قال سعيد بن المسيب: إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد¹.

¹ هو عبد الله بن أنيس الجهني الأسلمي الأنصاري أبو يحيى له صحبة روى عنه بسر بن سعيد وضمرة بن عبد الله بن أنيس، شهد العقبة وأحد ولم يشهد بدر، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ، انظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، (1/5)، وابن حبان: الثقات، (9/7)، وابن منجويه: رجال صحيح مسلم، (1/343).

² الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: 360هـ): المعجم الكبير، (13/133)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، 1426هـ، والخطيب: نكر الرحلة في طلب الحديث، ص110.

³ هو خالد بن زيد بن كليب، أبو أيوب الأنصاري. معروف باسمه وكنيته. صحابي جليل، وهو بدري مدني، توفي في غزاة القسطنطينية سنة اثنتين وخمسين، وقيل قبلها، انظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، (3/331)، وابن مندة، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن العبدى (المتوفى: 395هـ): معرفة الصحابة، ص435، تحقيق: عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1426هـ.

⁴ هو عقبة بن عامر بن عيس أبو أسد الجهني، له صحبة، وكان والياً بمصر وكان من الرماة وقد قيل كنيته أبو عامر مات عقبة بن عامر سنة 58هـ، في ولاية معاوية، انظر: البخاري: التاريخ الكبير، (6/430)، وابن حبان: الثقات، (3/280).

⁵ هو مسلمة بن مخلد بن الصامت بن دينار الزرقى الأنصاري ولد في السنة الأولى من الهجرة، وهو من صغار الصحابة، مات بمصر في ذي الحجة سنة اثنتين وستين، انظر: ابن حبان: الثقات، (3/391)، وابو نعيم: معرفة الصحابة (5/249)، ابن حجر: تقريب التهذيب، ص532.

⁶ الخطيب: الرحلة في طلب الحديث للخطيب، ص118.

¹ المرجع السابق: ص127.

وقال بسر بن عبيد الله الحضرمي¹، قال: إن كنت لأركب إلى مصر من الأمصار في

الحديث الواحد لأسمعه².

ومنهم من كان يسافر حتى يحظى بإسناد عالٍ، إلى النبي ﷺ، فينال بذلك شرفاً عظيماً يفخر به أمام المحدثين، فهذا هو الشرف الذي لا ينتهي والنسب الذي لا ينقطع، وقد ألف الخطيب كتاباً سماه: "شرف أصحاب الحديث"، ذكر فيه مآثر أهل الحديث، وفضلهم على الأمة الإسلامية، فهم ورثة الأنبياء حملوا الحديث عن سلفهم، وبلغوه لخلفهم، وصبروا على ذلك زمناً بعيداً، وبذلوا في تحمله وأدائه جهداً كبيراً، فجزاهم الله عنا، وعن الأمة المحمدية خير الجزاء.

وقد بين محمد المظفر³ أهمية هذا العلم العظيم، وأسبغية الأمة المحمدية له، وما يتميز به عن الأمم الأخرى، بقوله: "إن الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها، قديمهم وحديثهم، إسناد، وإنما هي صحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل مما جاءهم به أنبيأؤهم، وتمييز بين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوا عن غير الثقات.

وهذه الأمة إنما تنص الحديث من الثقة المعروف في زمانه، المشهور بالصدق والأمانة عن مثله حتى تنتهي أخبارهم، ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط، فالأضبط، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة، ثم يكتبون الحديث من عشرين وجهاً وأكثر، حتى يهدبوه من الغلط والزلل، ويضبطوا حروفه ويعدوه عدأً، فهذا من أعظم نعم الله تعالى على هذه الأمة... فليس أحد من أهل الحديث يحابي في الحديث أباه، ولا أخاه، ولا ولده، وهذا علي بن عبد الله المدني، وهو إمام الحديث في عصره، لا يروى عنه حرف في تقوية أبيه، بل يروى عنه ضد ذلك، فالحمد لله على ما وفقنا¹.

¹ هو بسر بن عبيد الله الحضرمي الشامي، ثقة من الرابعة، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وكان أحفظ أصحاب أبي إدريس، انظر: ابن حبان: الثقات، (6/109)، وابن حجر: تقريب التهذيب، ص 122.

² الخطيب: الرحلة في طلب الحديث، ص 147.

³ هو محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى الحافظ الإمام الثقة أبو الحسين البغدادي محدث العراق: ولد سنة ست وثمانين ومائتين وأول ما سمع في سنة ثلاثمائة، وتوفي سنة 379هـ، انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، (3/125)، وابن حجر: لسان الميزان، (5/383).

¹ الخطيب: شرف أصحاب الحديث، ص 41.

وعلم الحديث شارك فيه خلق كثير في أول حلقاته، مشاركة فعلية، روى عن النبي ﷺ ما شاهده بأعينهم وسمعته أذانهم وحفظته صدورهم من دون واسطة، قال إمام فن الرجال أبو زرعة موضحاً عدد الرواة الذين روى عن النبي ﷺ مباشرة: "توفي النبي ﷺ ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة، وكلُّ قد روى عنه سماعاً أو رواية"¹

واشترك في رواية الحديث الرجال والنساء حتى تُعلم أخبار النبي ﷺ الخاصة والعامة، فلو روى عن النبي ﷺ الرجال فقط، لبقيت بعض حلقات حياة النبي ﷺ في خفاء، ومن السبعة المكثرين الذين أكثروا من الرواية عن النبي ﷺ، عائشة رضي الله عنها، روت كثيراً من الأحاديث الخاصة في أحوال النبي في دخوله وخروجه من البيت، وحال النبي في نومه وأكله وشربه، واغتساله²، وقد أفرد علماء الرجال أبواباً خاصة في كتبهم في أسماء النساء الراويات، كما في كتاب الكمال لعبد الغني المقدسي وسار على نهجه كل من اشتغل على هذا الكتاب، وغيرها من الكتب التي عنيت بذكر أخبار النساء الراويات.

وبذلك نعلم أنه قد اشترك في كتابة السنة النبوية، آلاف من الرواة دون انقطاع في أي زمن، وكتب الرجال شاهدة على أعداد المحدثين الذين اشتركوا في رواية الحديث، موضحة أخبارهم ودرجتهم العلمية والاعتقادية، وكثيراً من سيرهم، وكثير ممن ينتقد المسلمين ويشكك في مصادرهم، لا يُعلم له تاريخ إلا من كتاب كتبه مؤرخ أو اثنين أو ثلاثة وفي أحسن الأحوال نفر يسير من المؤرخين، ثم لا يتفقون في كتبهم وفي تأريخهم، ومع ذلك يكون تاريخ معتمد ويدرس في المدارس والجامعات، ويتعاملون معه وكأنه مُسلم به، دون أن يتعرفوا على حال هذا المؤرخ وظروف كتابته، بل ربما يعتمدون أخبار المجاهيل وبعض الكتب التراثية التي يقعون عليها، وتكون أقدميتها أكبر دليل عندهم على صدقها¹.

¹ الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي (المتوفى: 794هـ): النكت على مقدمة ابن الصلاح، (1/ 185)، تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1419هـ.

² ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين (المتوفى: 643هـ): معرفة أنواع علوم الحديث، ص296، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1406هـ.

¹ الكيلاني: تدوين الحديث، ص48

والله عز وجل منّ علينا بأصول مكتوبة ومخطوطة ومعلوم كاتبوها ومروية بالأسانيد جيلاً بعد جيل، دون تعارض حقيقي، أو نقص أو زيادة أو انقطاع، فأنتى لأحد في الدنيا بمثل علم الإسناد الذي ابتكره علماء هذا الفن.

قال ابن تيمية: "وعلم الإسناد والرواية مما خص الله به أمة محمد ﷺ وجعله سلماً إلى الدراية، فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأترون به المنقولات، وهكذا المبتدعون من هذه الأمة أهل الضلالات، وإنما الإسناد لمن أعظم الله عليه المنة، أهل الإسلام والسنة، يفرقون به بين الصحيح والسقيم والمعوج والقيم، وغيرهم من أهل البدع والكفار، إنما عندهم منقولات يأتونها بغير إسناد، وعليها من دينهم الاعتماد، وهم لا يعرفون فيها الحق من الباطل"¹.

المطلب الثالث: علم العلل

لمّا كان أهل الحديث يعيشون مع الرواية الحديثية، ويعالجون ما يكتنفها من عوارض، لم يكتفوا بالاهتمام بالمتن والسند من دون فحصٍ وتفقدٍ وعناية، إذ يمكن أن تُركّب الأسانيد السليمة على متون ضعيفة من أجل تصحيحها، أو تُركّب المتون الصحيحة على أسانيد سقيمة من أجل تضعيفها، عن طريق الخطأ والخلل والنسيان الذي يعتري البشر، أو عن طريق العمد والقصد من أهل الزندقة وأهل الأهواء بهدف تخريب الدين.

قال الأوزاعي: "إنا كنا لنسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا، كما يعرض الدرهم الزائف على الصيارفة، فما عرفوا أخذنا، وما أنكروا تركنا"².

وهذا النظر الدقيق في الروايات بتفقدتها وتفحصها ومقارنتها بالروايات الأخرى أدى إلى ظهور علم دقيق اصطلح عليه أهل الحديث بعلم العلل¹، وكان نشوء هذا العلم في وقت مبكر قبل تدوين الكتب الحديثية.

¹ ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (9 / 1).

² أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (المتوفى: 430هـ): المسند المستخرج على صحيح مسلم، (51 / 1)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ، وابن الجوزي: الموضوعات، (103 / 1).

¹ عرف العلماء علم العلل بتعريفات كثيرة وكان من أجمع التعريفات تعريف الإمام العراقي الذي اختاره أورده السخاوي وقد اختاره الدكتور همام سعيد في مقدمته على شرح علل الترمذي بأن الخير المعل: خبر ظاهره السلامة أُطلع فيه بعد التفتيش على قاده، انظر: السخاوي: فتح المغيب بشرح ألفية الحديث، (276 / 1)، وابن رجب: شرح علل الترمذي، (22 / 1).

وكان من أول رواده الإمام شعبة بن الحجاج الذي توفي سنة 160هـ، قال ابن رجب: "وهو أول من وسع الكلام في الجرح والتعديل واتصال الأسانيد وانقطاعها، ونقّب عن دقائق علم العلل، وأئمة هذا الشأن بعده تبع له في هذا العلم"¹.

فهو أول من فتنش عن أمر المحدثين وتتبع الرجال، وتتبع عيوب الأحاديث الخفية التي لا ينتبه لها إلا من كان خبيراً بالأسانيد والمتون معاً، وإذا نظرنا في كتب العلل نجد اسم شعبة يتردد في أغلب الصفحات، فهو الأساس في هذا العلم، وتبعه علماء جهابذة كشفوا علل الحديث الخفية وتنبهوا لها².

وقد بين الإمام مسلم في كتابه "التمييز"³ أن الرواة منهم "الأحافظ المتقن المتوقفي لما يلزم توقيه فيه، ومَنُهُم المتساهل المشيب حفظه بتوهم يتوهمه أو تلقين يلقنه من غيره فيخلطه بحفظه ثم لا يميزه عن أدائه إلى غيره، ومَنُهُم من همّه حفظ متون الأحاديث دون أسانيدها، فيتهاون بحفظ الأثر فيحيلها بالتوهم على قوم غير الذين أدّى إليه عنهم، وكل هذا في رُواة الحديث ونقّال الأخبار مَوْجُود مستفيض"⁴.

ثم بين أن الخطأ والنسيان واقع في أحاديث الثقات، حتى لو كانوا من أحفظ الناس وأشدّهم توقياً لما يحفظون، وذلك لما يعترى الإنسان من الضعف والغفلة والنسيان، فلا ينتبه الناقد لغلط هؤلاء الأعلام، فكان لا بد من علم يكشف عن هذه العيوب الخفية التي لا تبدو لأي أحد.

¹ ابن رجب: شرح علل الترمذي، (30 / 1).

² ومن علماء هذا الفن يحيى بن سعيد القطان، ويحيى بن معين، وعلي بن المدني، والإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وغيرهم، انظر: ابن رجب: شرح علل الترمذي، (30-35).

³ كتاب التمييز للإمام مسلم بن الحجاج من كتب العلل المهمة، قدم له بمقدمة عن علم العلل وميدانه، ثم عرض لأهم أبواب العلل التي تعترى الروايات وقدم لها أمثله، مثل الخطأ الذي أصله التصحيف أو قلب الأسانيد، وبعد الأخبار غير المحفوظة عند أهل الحديث وظاهرها الصحة، وغيرهما من أبواب العلل، انظر: مسلم: ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): التمييز، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، مكتبة الكوثر، المربع، السعودية، ط3، 1410هـ.

⁴ مسلم: التمييز لمسلم، ص170.

وبذلك نعلم أن ميدان علم العلل بالدرجة الأولى هو **أحاديث الثقات**، ولذلك وجدنا كتباً كثيرة بحثت في أحاديث الأعلام من المحدثين، وتتبع توهّمهم وخطأهم في بعض الروايات¹، وهذا يدلنا على تنبه المحدثين وفطنتهم، إذا الأصل أن يُعرضوا عن أحاديث الثقات، ويشغلوا بأحاديث الضعفاء والمجروحين، وأصحاب الأهواء وأهل الغفلة.

قال الحاكم: "وإنما يُعلل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها مدخل، فإنّ حديث المجروح ساقط واه، وعلّة الحديث، **يكثُر في أحاديث الثقات** أن يحدثوا بحديث له علة، فيخفى عليهم علمه، فيصير الحديث معلولاً، والحجة فيه عندنا الحفظ، والفهم، والمعرفة لا غير"².

وكان علم علل الحديث محبباً لنفوس الأئمة، قال عبد الرحمن بن مهدي " لأن أعرف علة الحديث هو عندي أحبّ إلي من أن أكتب عشرين حديثاً ليست عندي"³.

ومن كثرة اشتغالهم به أصبح الكشف عندهم عن العلة من مجرد السماع قبل البحث والمقارنة، حتى قيل عنه إنه علم أشبه ما يكون بالكهانة أو الإلهام، قال عبد الرحمن بن مهدي: " **معرفة الحديث إلهام**⁴، فلو قلت للعالم يعلل الحديث: من أين قلت هذا، لم يكن له حجة"⁵.

وجاء رجل إلى أبي زرعة فقال: ما الحجة في تعليلكم الحديث؟ فقال: الحجة في ذلك أن تسألني عن حديث له علة فأذكر علته، ثم تقصد محمد بن مسلم بن وارة⁶ فتسأله عنه فيعلله، ثم

¹ مثل كتاب، علل المسند ثلاثون جزءاً، كتاب العلل لإسماعيل القاضي أربعة عشر جزءاً، علل حديث ابن عيينة ثلاثة وعشرون، وعلل الزهري في عشرين جزءاً، كلها لعلي بن المديني، وقد أعل النقاد أحاديث لكبار المحدثين مثل الزهري وسفيان ابن عيينة وأحاديث شعبة ولغيرهم من الرواة الذين عدّلوا بأعلى أوصاف التعديل، انظر: الخطيب: **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، (2/ 302)، وابن رجب: **شرح علل الترمذي**، (1/ 27-39)، الجديع، عبد الله بن يوسف الجديع: **تحرير علوم الحديث**، (2/ 647)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ.

² الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري (المتوفى: 405هـ): **معرفة علوم الحديث**، (ص: 112)، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1397هـ.

³ الخطيب: **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، (2/ 295)، وابن مفلح: **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، (2/ 127).

⁴ والقصد من ذلك أن الناقد الخبير من مجرد السماع يخطر في باله أن هذه الرواية فيها علة، وذلك لعلمه بالأسانيد وخبرته بالشيوخ والتلاميذ، أما الكشف عن العلة والتعليل الحقيقي فله وسائله التي تُبنى عليها نتائج واضحة ومحددة، كما سيتقدم.

⁵ الحاكم: **معرفة علوم الحديث**، ص112.

⁶ هو محمد بن مسلم بن عثمان بن عبد الله الرازي الحافظ، الإمام، الموجود، أبو عبد الله بن وارة الرازي، أحد الأعلام، ارتحل إلى الآفاق، ولد سنة 190هـ، وتوفي سنة 265هـ، وقيل 270هـ، انظر: **الذهبي: سير أعلام النبلاء**، (13/ 28)، وابن حجر: **تهذيب التهذيب**، (9/ 451).

تقصد أبا حاتم الرازي فيعلله، ثم تتظر فإن وجدت بيننا اختلافاً في علته فاعلم أن كلا منا تكلم على مراده، وإن وجدت الكلمة متفقة فاعلم حقيقة هذا العلم، ففعل الرجل فاتفتت كلمتهم، فقال: أشهد أن هذا العلم إلهام¹.

ومن أكثر الطرق التي سار عليها العلماء في الكشف عن العلة وبيانها، جمع الروايات ثم سبرها وتفتيحها، فبجمع الروايات يظهر الخلل ويكتشف الخطأ، إن كان من زيادة أو نقص أو قلب للإسناد أو المتن أو توهم، وغير ذلك.

قال أحمد بن حنبل: "الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه والحديث يفسر بعضه بعضاً"². وقال الخطيب: "والسبيل إلى معرفة علة الحديث أن يُجمع بين طرقه، وينظر في اختلاف رواته ويعتبر بمكانهم من الحفظ ومنزلتهم في الإتقان والضبط"³.

وبذلك أصبح هذا العلم علماً متكاملًا كما بيّن الحاكم في كتابه "معرفة علوم الحديث"⁴، ليشكل هذا العلم أعلى درجات الحرص والعناية، بتفحص أحاديث الثقات، ومقارنة حديث الثقة بمن هو أوثق، أو من هو أكثر ملازمة، وتمحيص المتن الغريبة ودراستها بحرص وعناية، ليكتشفوا أخطاء الثقات، وأوهامهم، ويتصدوا لأهل الزندقة وأهل الأهواء.

وقد وثق الخلفاء والأمراء بأهل الحديث واطمأنوا لعلمهم، ذكر ابن عساکر في تاريخه أن هارون الرشيد أخذ زنديقا، فأمر بضرب عنقه، فقال له الزنديق: لم تضرب عنقي يا أمير المؤمنين؟ قال: أريح العباد منك، قال فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله ﷺ، كلها ما فيها حرف نطق به رسول الله ﷺ، قال فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري⁵ وعبد الله ابن المبارك، ينخلانها فيخرجانها حرفا حرفاً⁶.

¹ انظر: الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (2/ 256).

² المرجع السابق: (2/ 212).

³ المرجع السابق: (2/ 295).

⁴ النوع السابع والعشرين من علوم الحديث هذا النوع منه معرفة علل الحديث، وهو علم برأسه غير الصحيح، والسقيم، والجرح والتعديل، انظر: الحاكم: معرفة علوم الحديث، (ص: 112).

⁵ هو إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة الفزاري أبو إسحاق وابتدأ في كتابة الحديث وهو بن ثمان وعشرين سنة وكان من الفقهاء، ثقة حافظ، له تصانيف من الثامنة، توفي سنة 85هـ، انظر: ابن حبان: الثقات، (6/ 23)، وابن حجر: تقريب التهذيب، ص92.

⁶ ابن عساکر: تاريخ دمشق، (7/ 127).

المطلب الرابع: تطور علم الحديث

كان لأهل السنة سبق اختراع علم متكامل ومنتشعب حتى سموه "علوم الحديث"، وقد تطور هذا العلم حسب الحاجة وما يقتضيه الموقف من أجل الحفاظ على الرواية الحديثية، فكان لهذه الأمة شرف اختراع هذا العلم، حتى رُويت الأقوال من جيل إلى جيل، ومن قطر إلى قطر حاملة أسماء قائلها مثبتة أسماء ناقلي هذه الأقوال، حتى يُعرف الصادق فيؤخذ حديثه، ويعرف الكاذب فيطرح ولا يلقى له بالاً.

وإنَّ من خصائص العلم أن يتشعب ويكثر بطريقة هرمية معكوسة، إذ يبدأ العلم أصولاً وأقوالاً ثم شروحاً، وتتنوع هذه الشروح وتتشعب منها القواعد والأحكام، وهكذا كان علم الحديث بدأ بقول رسول الله ﷺ، ثم ضمَّ معه قول الصحابة والتابعين في بيان معاني الأقوال وتفسير الأحكام، ودخل في صلب هذا العلم أحوال ناقلي هذه الأخبار من حيث الحفظ والديانة.

فما كان من أهل هذا الشأن لَمَّا كَثُرَ العلم وتشعبت فروعه، إلا أن وضعوا له قواعد وأحكاماً وهو ما يُعرف بعلوم الآلة، حتى يسهلوا الأمر على الدارسين، ويختصروا الطريق على الباحثين، وعُرفت هذه الكتابات باسم علوم الحديث.

وعلوم الحديث علوم كثيرة أُلِّفَ فيها العديد من الكتب، وأول من كتب في علوم الحديث الإمام الشافعي في كتابه الرسالة، حيث كتب في مواضيع مختلفة من علوم الحديث منها: شروط الحديث الصحيح، وشروط حفظ الراوي، ومبحث في الرواية بالمعنى، وشروط الاحتجاج بالحديث المرسل، وثبت دعائم الاحتجاج بخبر الواحد، بالأدلة الشرعية والعقلية، ولكن كتاب الرسالة ليس متخصصاً في علوم الحديث، بل هو في أصول العلم، وتعرض لعلوم الحديث من خلاله¹.

¹ بحث الشافعي مباحث في علوم الحديث في الجزء الأخير من كتابه تحت مبحث حجية خبر الواحد، انظر: الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ): الرسالة، (1/ 400-470)، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط1، 1358هـ.

وتبع الإمام الشافعي العديد من الأئمة بإيرادهم قواعد هامة في علوم الحديث في مقدمات وثنايا كتبهم مثل الإمام البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم¹، وأول من ألف كتاباً مستقلاً في علوم الحديث أبو محمد الرامهرمزي، في كتابه "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي"²، وتبعه الحاكم في كتابه "معرفة علوم الحديث"³.

قال ابن حجر: "فمن أول من صنف في ذلك القاضي أبو محمد الرامهرمزي في كتابه "المحدث الفاصل"، لكنه لم يستوعب، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري، لكنه لم يُهذب ولم يُرتب"⁴.

وتوالى الكتب في هذا الفن لتعالج مباحث علوم الحديث كل كتاب يعالج مجموعة من الأبواب والعلوم دون استيعاب أو إمام⁵، إلى أن كتب ابن الصلاح كتابه "معرفة أنواع علوم الحديث"⁶، الذي جمع المتفرق وضم المتناثر، فكان أكثر تخصصاً واستيعاباً، حتى غدا مرجعاً أساسياً لكل من كتب في علوم الحديث من بعده.

قال ابن حجر مثبياً على كتاب ابن الصلاح: " كتابه المشهور، فهذب فنونه، وأمله شيئاً بعد شيء، فلهذا لم يحصل ترتيبه على الوضع المناسب، واعتنى بتصانيف الخطيب المتفرقة، فجمع شتات مقاصدها، وضم إليها من غيرها نخب فوائدها، فاجتمع في كتابه ما تفرق في غيره،

¹ مثل كتاب التاريخ الكبير للبخاري، والعلل الكبير والصغير للترمذي، والتميز لمسلم، وغيرها.

² ذكر فيه جملة من علوم الحديث، العالي والنازل، والرواية بالمعنى والمذاكرة والمعارضة وغيرها من الأبواب: انظر: الرامهرمزي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خالد الفارسي (المتوفى: 360هـ): المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ط2، 1414هـ.

³ وقد ذكر فيه الحاكم أغلب أبواب علوم الحديث وأنواعه ومثل عليها بأمثلة: انظر: الحاكم: معرفة علوم الحديث.

⁴ ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (المتوفى: 852هـ): نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ص38، تحقيق: نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ط3، 1421هـ.

⁵ مثل كتاب المستخرج لأبي نعيم الأصفهاني، والإلزامات والتبعية للدارقطني، وكتب الخطيب، والكفاية في علوم الرواية، والجامع لأخلاق الراوي، وتقيد العلم، وغيرها الكثير.

⁶ الذي عُرف بمقدمة ابن الصلاح، سبق ذكره.

فهذا عكف الناس عليه وساروا بسيره، فلا يُحصى كم ناظم له ومُختصر¹، ومُستدرك عليه ومُقتصر، ومُعارض له ومُنْتَصِر!².

ثم تنوعت الكتابات في علوم الحديث وتشعبت، وبرع في ذلك علماء، قعدوا هذا العلم وجعلوا له أصولاً، وفرعوا عن هذه الأصول فروعاً، فقسموا الحديث إلى أقسام كثيرة، من حيث الصحة³، والاتصال وصفة السند⁴، ودرجة الثبوت⁵، وجعلوا للرواية بالمعنى شروطاً لا بد لكل من أراد أن يغير في متن الحديث أن يلتزم بها⁶.

واهتم علماء هذا الفن بعلم الرجال اهتماماً كبيراً، وأوردوا فيه مؤلفات خاصة في الثقات والضعفاء، وبحثوا في تاريخ الرواة الذين اختلطوا لكبرهم أو احتراق كتبهم، أو لفقد بصرهم، واهتموا بمباحث قد يحسبها الجاهل بها مباحث شكلية من أجل الترف العلمي، وهي مفيدة جداً وتعين الناقد في الكشف عن العلل، وتكون دليلاً له عند التعارض، مثل جمع شيوخ راوٍ معين أو تلاميذه، ورواية الأكابر عن الأصاغر، ورواية النساء والموالي، ومعرفة المؤتلف والمختلف، والمتفق والمفترق،

¹ من الاختصارات المهمة اختصار "التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير" في أصول الحديث للنووي، ونخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر، الذي طُبِعَ ملحقاً بكتاب سبل السلام، انظر: النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ): **التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث**، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ، وابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (المتوفى: 852هـ): **نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، تحقيق: عصام الصبابطي، عماد السيد، دار الحديث، القاهرة، ط5، 1418هـ.

² انظر: ابن حجر: **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر**، ص40.

³ إلى صحيح وحسن وضعيف وموضوع، انظر: ابن الصلاح: **مقدمة ابن الصلاح**، ص11، والقزويني: **مشيخة القزويني**، ص92-99.

⁴ إلى مرفوع وموقوف ومقطوع ومرسل ومسنند ومعنع ومدلس ومسلسل ومعلق ومدبج وعالي ونازل ومقلوب ومضطرب، وقد عرفت هذه الأنواع في كتب علوم الحديث موضحاً معناها، انظر: ابن الصلاح: **مقدمة ابن الصلاح**، ص51-101، والحموي: **المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي**، ص42-57، والقزويني: **مشيخة القزويني**، ص99-113.

⁵ إلى متواتر وأحاد، والآحاد يقسم إلى مشهور وعزيز وغريب، ابن الصلاح: **مقدمة ابن الصلاح**، ص265.

⁶ وهذه الشروط هي:

أن يكون عالماً باللغة فلا يحيل المعاني عن وجهها.

أن لا يكون الحديث من الأحاديث التي يتعبد بلفظها، كأحاديث الأذكار.

أن يكون هنالك حاجة إلى الرواية بالمعنى كمن نسي شيئاً من متن الحديث، أو من أجل الاختصار... انظر: ابن دقيق: **تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري**، (المتوفى: 702هـ)، **الاقتراح في بيان الاصطلاح**، (ص: 28)،

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، وعتر: **منهج النقد في علوم الحديث**، ص230.

ومعرفة أوطان الرواة ورحلاتهم، والمبهمات من الأسماء وغيرها من الأبواب التي ضُم بعضها إلى بعض لتشكل علم "علوم الحديث"¹.

وبذلك كان لهذا العلم دور مهم في حفظ الرواية الحديثية، لأن القواعد التي ذكرها النقاد ضيقت الخناق على أصحاب الأهواء من الفرق المنحرفة وجهلة أهل السنة، وكشفت زيغ حديثهم، فحفظ الله على الأمة سنة نبيه، وظلت خالدة فيهم إلى أن يشاء الله.

المطلب الخامس: حفظ السنة بالاتباع وحسن التطبيق²

أنزل الله عز وجل كتابه على نبيه محمد ﷺ ليكون منهاج حياة لهم ولمن بعدهم إلى قيام الساعة، فالأمة الإسلامية آخر الأمم وشريعته آخر الشرائع، وآتى الله ﷻ نبيه القرآن ومثله معه³ وحيّاً من عند الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ {النجم: 3-4}.

ومن فضل الله على الأمة المحمدية أن تكفل الله بحفظ كتابه وسنة نبيه ﷺ، وقبض لذلك أسباباً، وكان من أهم الأسباب التي حُفظت السنة من خلالها تمثل الأوامر بالتطبيق والنواهي والزواجر بالابتعاد.

أمر الله بني إسرائيل أمراً ﴿حُدُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا﴾ {البقرة: 93} فقالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ {البقرة: 93}، فشدد الله عليهم، وجعلهم يتيهون في الأرض لما تقاعسوا عن دخول الأرض المقدسة، وجعل توبتهم بقتل المرء أخيه لَمَّا عبدوا العجل، أمّا صحابة رسول الله فقد جاءهم الأمر فقالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ {البقرة: 285}، فخفف الله عليهم، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ

¹ ابن الصلاح: ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح، ص 307-378.

² في هذا المبحث أهدت إفادة كبيرة من كتاب "تدوين الحديث"، للعالم الهندي مناظر أحسن، وهو كتاب نافع جداً، وفيه فوائد ولطائف قل أن توجد في غيره ممن كتب في تدوين الحديث، وقد توسع في هذا الباب، وفصل فيه كثيراً.

³ قال رسول الله ﷺ: "ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه"، انظر: أبو داود: سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم الجماعة، 4604، (4/ 200)، وقد صححه الألباني والأرنؤوط، انظر: أبو داود: سنن أبي داود تحقيق الأرنؤوط، (7/ 13)، الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته، (2/ 1182).

تَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴿البقرة:286﴾، فحفظ الله عز وجل السنة بحسن اتباع الصحابة رضوان الله عليهم ومن جاء بعدهم.

فُرضت الصلاة بنص القرآن، ولكن هيئات الصلاة جاءت بها السنة، والكثير من تلك الهيئات والأذكار رُويت بأخبار آحاد، صلى النبي ﷺ وقال: "صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي" ¹، وصلى الصحابة رضوان الله عليهم معه ومن خلفه، وحج النبي ﷺ وقال: "لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكُكُمْ، فَإِنِّي لَا أُدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ" ²، وحج الصحابة معه ومن خلفه، وهكذا في سائر الأعمال من فروض وواجبات ومستحبات، ومباحات.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم نسخاً عملية تترجم أقوال النبي ﷺ وأفعاله، بأفعالهم وأخلاقهم وتعاملهم، لذلك أوصى النبي ﷺ، بسنة الخلفاء الراشدين، "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ" ³، ولو تخيلنا كم من الصحابة صلى الصلاة المكتوبة بصورتها المعروفة، وكم من التابعين صلاها كذلك، وفي كل جيل يزيد عدد المصلين، ولم يُذكر في التاريخ أن المسلمين انقضوا أو أن الصلاة لم تُقَمْ، وقد بلغ من أمر الصلاة وشهرتها أنه لا يشك مسلم أو كافر أن النبي ﷺ كان يصلي بأصحابه خمس صلوات، وكل من دخل الإسلام كان يصليها، ولا زال الناس يصلونها إلى اليوم، وكل واحد فينا يعلم أن المسلمين في مشارق الأرض، يصلون كما يصلي المسلمون في مغاربها، وأهل الشمال يصلون كما يصلي أهل الجنوب، وهذا معلوم مشاهد ومقطوع به في زمننا، لتوفر وسائل الاتصال والتواصل، وقد كان الأمر كذلك في كل الأجيال السالفة.

وبذلك نعلم أن هيئات الصلاة وأذكارها المروية بأخبار آحاد هي متواترة بالعمل وحسن التأسي والاتباع، وكذلك الحال في الزكاة والصيام والحج وكثير من شعائر الدين وأحكامه.

¹ البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلاة في الرحال، في الليلة الباردة أو المطيرة، 631، (1/128).

² مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، وبيان قوله ﷺ، لتأخذوا مناسككم، 1297، (2/943).

³ سبق تخريجه ص140

حتى أن بعض الأعمال حُفظت بالعمل وتوارثها المسلمون جيلاً بعد جيل دون انقطاع، ولم يرد فيها دليل صحيح عن رسول الله ﷺ¹.

ولذلك جعل الإمام مالك عمل أهل المدينة من أصوله²، واعتبر الإمام أحمد عمل أهل مكة في بعض المسائل³.

¹ مثل اشتراط الحول في الزكاة، والاقامة في أذن المولود اليسرى، والتكبير الجهري بعد الصلوات أيام العيد، وغيرها من الأعمال، انظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، (22/469)، (25/14)، وابن القيم: **تحفة المودود بأحكام المولود**، ص30.

² لأن المدينة المنورة مدينة رسول الله ﷺ مهبط الوحي ومدينة الخلافة الراشدة، وسكنها كبار الصحابة والتابعين، فتوارثوا العلم والعمل بالمشاهدة، جيلاً بعد جيل إلى أن ينتهي بهم الأمر لرسول الله ﷺ، انظر: مالك: **موطأ مالك**، (1/11)، وابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، (1/565).

³ الزركشي، شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي (المتوفى: 772هـ): **شرح الزركشي على مختصر الخرقى**، (1/502)، دار العبيكان، ط1، 1413هـ، وابن مفلح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: 884هـ): **المبدع في شرح المقنع**، (1/279)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ، والبهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: 1051هـ): **كشاف القناع عن متن الإقناع**، (1/237)، دار الكتب العلمية، بيروت.

المبحث الثاني

تعامل أهل السنة مع المخالفين من أهل البدع

حاول بعض الزنادقة والمبتدعة من أهل الأهواء تخريب الدين، وذلك بوضع أحاديث على رسول الله ﷺ، ففتنه علماء الحديث لذلك، وابتكروا علم الإسناد، وبذلك فتحوا لكل من اشتغل بالرواية ملفاً، أشبه بملفات التعرّف التي تتخذها الدول النظامية لمواطنيها في عصرنا الحديث، ثم دونوا أخبار الرواة.

ومن عجائب علماء هذا الفن أنهم لم يتركوا الراوي حتى يُخطئ ليسجلوا عليه الخطأ، بل عمدوا إلى امتحان الرواة، واختبار حفظهم وأمانتهم وحسن ديانتهم، فإذا سمعوا عن راوٍ أنه اختلط أو تغيّر بأخرة أو احترقت كتبه، سارعوا إلى زيارته واختبار حديثه، ومن ذلك أنه بلغ أبا حاتم وأبا زرعة، أن قرّة بن حبيب¹ تغيّر، ولكنه كان لا يحدث إلا من كتابه أو بحضور ولده، ومن حرصهما على تتبع الرواة أتياه لاختباره.

قال أبو زرعة أتيته ذات يوم وأبا حاتم، فقرعنا عليه الباب، واستأذنا عليه، فدنا من الباب ليفتح لنا فإذا ابنته قد لحقت، وقالت: يا أبت، إنّ هؤلاء أصحاب الحديث، ولا آمن أن يغلطوك أو أن يدخلوا عليك ما ليس من حديثك، فلا تخرج إليهم، حتى يجيء أخي - تعني عليّ بن قرّة - فقال لها: أنا أحفظ فلا أمكنهم ذلك، فقالت: لست أدعك تخرج إليهم فإنّي لا آمنهم عليك، فما زال قرّة يجتهد، ويحتج عليها في الخروج، وهي تمنعه، وتحتج عليه في ترك الخروج إلى أن يجيء عليّ بن قرّة، حتى غلبت عليه، ولم تدعه.

قال أبو زرعة: فجعلت أعجب من صرامتها، وصيانتها أباها².

وقد بيّن أبو حاتم سبب هذا الحرص في تتبع الرواة والتفتيش عن أخبارهم، بأن الدين جاءنا عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ بنقل الرواة، فحق علينا معرفتهم، ووجب الفحص عن النقلة

¹ هو قرّة بن حبيب بن يزيد بن مطر القشيري، أبو علي البصري، أصله من نيسابور، ثقة من التاسعة، صاحب الرماح يروي عن شعبة روى عنه بندار وأهل البصرة، انظر: ابن حبان: الثقات، (9 / 24)، وابن حجر: تقريب التهذيب، ص 455.

² ابن رجب: شرح علل الترمذي، (1 / 104).

والبحت عن أحوالهم، وإثبات الذين عرفناهم بشرائط العدالة والتثبت في الرواية مما يقتضيه حكم العدالة في نقل الحديث وروايته، بأن يكونوا أمناء في أنفسهم، علماء بدينهم، أهل ورع وتقوى وحفظ للحديث، وإتقان به وتثبت فيه، وأن يكونوا أهل تمييز وتحصيل، لا يشوبهم كثير من الغفلات، ولا تغلب عليهم الأوهام فيما قد حفظوه ووعوه، أمناء الله في أرضه على كتابه وسنة رسوله ﷺ، وهؤلاء أهل العدالة، فيتمسك بالذي رووه، ويعتمد عليه، ويحكم به.

وليُعرف أهل الكذب تخرصاً، وأهل الكذب وهماً، وأهل الغفلة والنسيان والغلط ورداءة الحفظ، فيُكشف عن حالهم ويُنبأ عن الوجوه التي كان مجرى روايتهم عليها، إن كذب فكذب، وإن وهم فوهم، وإن غلط فغلط، وهؤلاء هم أهل الجرح، فيسقط حديث من وجب منهم أن يسقط حديثه ولا يُعياً به ولا يُعمل عليه، ويكتب حديث من وجب كتب حديثه منهم على معنى الاعتبار، ومن حديث بعضهم الآداب الجميلة والمواعظ الحسنة والرقائق والترغيب والترهيب هذا أو نحوه¹.

وبذلك قسموا الرواة إلى مراتب، وأشهر هذه التقسيمات تقسيم ابن حجر، حيث جعل الرواة في أحوالهم اثنتي عشرة مرتبة²، أولهم صحابة رسول الله ﷺ، ثم الأئمة الأعلام ممن تأكد مدحه

¹ أبو حاتم: الجرح والتعديل، (1/ 6).

² وهذه المراتب هي:

- 1- الصحابة: فأصرح بذلك لشرفهم.
- 2- من أكد مدحه، إما بأفعل: كأوثق الناس، أو بتكرير الصفة لفظاً: كتفة ثقة، أو معنى: كتفة حافظ.
- 3- من أفرد بصفة، كتفة، أو متقن، أو ثبت، أو عدل.
- 4- من قصر عن درجة الثالثة قليلاً، وإليه الإشارة: بصدوق، أو لا بأس به، أو ليس به بأس.
- 5- من قصر عن الرابعة قليلاً، وإليه الإشارة بصدوق سيء الحفظ، أو صدوق يهمل، أو له أوهام، أو يخطيء، أو تغيير بأخرة. ويلتحق بذلك من رمي بنوع من البدعة، كالتشيع والقدر، والنصب، والإرجاء، والتجهم، مع بيان الداعية من غيره.
- 6- من ليس له من الحديث إلا القليل، ولم يثبت فيه ما يترك حديثه من أجله، وإليه الإشارة بلفظ: مقبول، حيث يتابع، وإلا فليّن الحديث.
- 7- من روى عنه أكثر من واحد ولم يوثق، وإليه الإشارة بلفظ: مستور، أو مجهول الحال.
- 8- من لم يوجد فيه توثيق لمعتبر، ووجد فيه إطلاق الضعف، ولو لم يُفسر، وإليه الإشارة بلفظ: ضعيف.
- 9- من لم يرو عنه غير واحد، ولم يوثق، وإليه الإشارة بلفظ: مجهول.
- 10- من لم يوثق البتة، وضُعم مع ذلك بقادح، وإليه الإشارة: بمتروك، أو متروك الحديث، أو واهي الحديث، أو ساقط.
- 11- من اتهم بالكذب.
- 12- من أطلق عليه اسم الكذب، والوضع، انظر: ابن حجر: تقريب التهذيب، ص 74.

بأفعل التفضيل، كأوثق الناس، أو تكرير الصفة، كثقة ثقة، أو ثقة ثبت، وآخرهم من أُطلق عليه اسم الكذب أو الوضع، وجعل الطبقات كذلك في اثنتي عشرة طبقة، أولهم الصحابة على اختلاف مراتبهم طبقة واحدة، ثم أحد عشر طبقة من التابعين وتابعيهم، حسب قريبتهم وبعدهم من الصحابة رضوان الله عليهم¹.

وعند تعريف الراوي وبيان مرتبته وطبقته يذكرون في الغالب معتقده، إن عُلم عنه انتحال أحد المذاهب الفاسدة من خروج أو رفض أو نصب أو اعتزال أو غيرها، وذلك أن الأفكار والمعتقدات مظنة للكذب والوضع أو التحريف في الرواية لتلك الأفكار والمعتقدات من أجل الانتصار لها، فتعامل النقاد مع المبتدع بحذر وحيطة، وعدل وانصاف في نفس الوقت.

فقبلوا أحاديث بعض المبتدعة بشروط وهي:²

1. ألا تكون بدعته مكفرة.

2. أن يكون أميناً صادقاً للهجة ثقة في الحديث، لا يستحل الكذب³.

3. أن يكون الحديث مما لا يوافق بدعته، فإن وافق بدعته فلا يُقبل منه.

قال عبد الرحمن بن مهدي: "من رأى رأياً ولم يدعُ إليه أحتمل، ومن رأى رأياً ودعا إليه فقد استحق الترك، وقال أيضاً: ثلاثة لا يُحمل عنهم، الرجل المُتَّهم بالكذب، والرجل كثير الوهم والغلط، ورجل صاحب هوى يدعو إلى بدعة"⁴.

¹ ابن حجر: تقريب التهذيب، ص75.

² ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح، ص114، وابن حجر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ص127، والطحان، أبو حفص محمود بن أحمد بن محمود طحان النعمي: تيسير مصطلح الحديث، ص153، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط10، 1425هـ.

³ لذلك لم يُجز النقاد الرواية عن غلاة الرافضة من الخطابية وغيرهم لأنهم يستحلون الكذب ويقولون بالتقية: انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، (1/386)، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفارياي، دار طيبة.

⁴ أحمد: العلل ومعرفة الرجال، (3/218).

وقال أبو إسحاق الجوزجاني¹: "وَمِنْهُمْ زَائِعٌ عَنِ الْحَقِّ - أَيْ عَنِ السُّنَّةِ - صَادِقٌ اللَّهْجَةِ، فَلَيْسَ فِيهِ حِيلَةٌ إِلَّا أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَدِيثِهِ مَا لَا يَكُونُ مَنكَرًا، إِذَا لَمْ يُقَوِّ بِهِ بَدْعَتَهُ"².

وهذا رأي الإمام الشافعي وأحمد وابن حبان وغيرهم من النقاد³.

وهذا الذي يفسر رواية الإمام البخاري⁴ في صحيحة - الذي عدّه علماء الإسلام أصح الكتب بعد كتاب الله ﷻ - عن بعض المبتدعة من الخوارج والشيعة والنواصب⁵، بعد سبر حديثهم وتحقيق صدقهم، ليدلنا أن المبتدع ممكن أن يؤتمن على الحديث في بعض الأحيان.

وقد عد الشيعة ذلك منقصة في صحيح البخاري لأنه روى عن بعض الخوارج كعمران بن حطان، وأبي حسان الأعرج، وبعض النواصب، كحريز بن عثمان الحمصي⁶، وإسحاق بن سويد العدوي⁷، وحصين بن نمير الواسطي⁸، وبعض الجهمية، كبشر بن السري البصري⁹، وتناسوا أن

¹ أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، نزل دمشق، ثقة حافظ، رمي بالنصب، توفي سنة 259هـ، ابن حبان: الثقات، (82 / 8)، ابن حجر: تقريب التهذيب، ص 95.

² ابن حجر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ص 128.

³ وخالف الإمام مالك وغيره من النقاد فلم يقبلوا رواية المبتدع مطلقاً، انظر: ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح، ص 114، وابن حجر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ص 127.

⁴ والحقيقة أن البخاري لم يلتزم بالشروط التي ذكرها أكثر النقاد وكان منهجه مستقل في التعامل مع رواية أهل البدع، فقد روى لبعض أهل البدع ممن كان داعياً لبدعته، مثل عمران بن حطان بعد اختبار حديثهم وتبين صدقهم، انظر: الهروي: شرح نخبة الفكر للقاري، ص 532.

⁵ مثل روايته عن عمران بن حطان وأبو حسان الأعرج الخارجي: سبق التعريف بهما: ص 39.

⁶ سبقت ترجمته ص 98.

⁷ إسحاق بن سويد بن هبيرة العدوي التميمي البصري، وثقه الإمام أحمد ويحيى بن معين وروى له البخاري مقروناً، رمي بالنصب وكان يحمل على علي حملاً شديداً، توفي سنة 131هـ، انظر: المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (2/ 432)، ابن حجر: تهذيب التهذيب، (1/ 236).

⁸ حصين بن نمير الواسطي أبو محسن الضرير، مولى لهمدان، كوفي الأصل، وثقه يحيى بن معين وأبو زرعة وغيرهم، رمي بالنصب، توفي سنة 181هـ، ولم أجد من ذكر أنه رمي بالنصب إلا ابن حجر، انظر: المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (6/ 546)، تاريخ الإسلام، (4/ 836)، ابن حجر، تقريب التهذيب، ص 171.

⁹ بشر بن السري البصري، أبو عمرو الأفوه، سكن مكة، وسمي الأفوه، لأنه كان يتكلم بالمواعظ، وثقه أحمد ويحيى بن معين وأخرج له البخاري وغيره، ذكره ابن الجوزي في الضعفاء ونقل عن الحميدي أنه جهمي لا يحل أن يكتب حديثه، إلا أن الذهبي وابن حجر وغيرهم ذكروا أنه اعتذر وتاب عن التجهم أخيراً، توفي سنة 191هـ، انظر: ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكون، (1/ 142)، المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (4/ 122)، الذهبي: تاريخ الإسلام، (4/ 1081)، ابن حجر، تقريب التهذيب، ص 123.

البخاري أخرج كذلك عن بعض الشيعة كأبان بن تغلب¹ و عبد الله بن عبد القدوس²، وعدي بن ثابت³، وعبد الملك بن أعين الكوفي⁴، وغيرهم⁵، في منهج متوازن في تعامله مع أحاديث المبتدعة.

ومن خلال التتبع نجد أن الرواة ممن رموا بالبدعة قد أخرج لهم البخاري في الغالب في المتابعات والشواهد وبدعتهم غير مكفرة ولم يُعرف عنهم أنهم استحلوا الكذب، ومنهم من لم تثبت البدعة في حقه وإنما رمي بها من قبل بعض النقاد ونفاه عنه آخرون، ومنهم من تثبت البدعة عليه ولكنه رجع عنها وتاب ولم تبلغ توبته بعض النقاد.

قال الذهبي في ترجمة أبان موضحاً سبب توثيق العلماء له: " فلقاتل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع وحدُّ الثقة: العدالة والإتقان؟ فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة؟ وجوابه أن

¹ هو أبان بن تغلب الريعي، أبو سعد الكوفي القاري، كان قاص الشيعة وهو ثقة، له أحاديث ونسخ، وعامتها مستقيمة إذا روى عنه ثقة، وهو من أهل الصدق في الروايات، وإن كان مذهبه مذهب الشيعة، قال ابن حجر: ثقة تكلم فيه للتشيع، من السابعة مات سنة 140هـ، أخرج له البخاري في المتابعات، انظر: المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (2/ 6)، وابن حجر: تهذيب التهذيب، (1/ 94)، تقريب التهذيب، ص87.

² هو عبد الله بن عبد القدوس، كوفي رافضي، روى عن الأعمش وغيره، قال ابن عدي: عامة ما يرويه في فضائل أهل البيت، قال يحيى: ليس بشيء، رافضي خبيث، قال ابن حجر صدوق رمي بالرفض، من التاسعة، وله رواية واحدة في البخاري جاءت متتابعة لحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال النبي ﷺ: "لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا" ورواه عبد الله بن عبد القدوس، عن الأعمش، انظر: البخاري: صحيح البخاري، (2/ 104)، الذهبي: ميزان الاعتدال، (2/ 457)، وابن حجر، تقريب التهذيب، ص312.

³ عدي بن ثابت الانصاري قال أحمد، صدوق وكان امام مسجد الشيعة وقاصهم، قال ابن حجر: ثقة رمي بالتشيع من الرابعة، مات سنة 116هـ، أخرج له البخاري عدة روايات أكثرها من طريق شعبة، انظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، (7/ 2)، المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (19/ 524)، ابن حجر: تقريب التهذيب، ص388.

⁴ هو عبد الملك بن أعين من أهل الكوفة، مولى بني شيبان، قال أبو حاتم، هو من عتق الشيعة، محله الصدق، صالح الحديث، يكتب حديثه يروي عن العراقيين، قال ابن حجر: صدوق شيعي، انظر: وابن حبان: الثقات، (7/ 94)، والمزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (18/ 284)، وله في الصحيحين حديث واحد متتابعة، قال أبو عبد الله: حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عبد الملك بن أعين، وجامع بن أبي راشد، عن أبي وائل، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذبة، لقي الله وهو عليه غضبان» قال عبد الله: ثم قرأ رسول الله ﷺ، مصداقه من كتاب الله جل ذكره: {إن الذين يشتركون بهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله} [آل عمران: 77] انظر: البخاري: صحيح البخاري، (9/ 132).

⁵ منهم أيضاً، خالد بن مخلد القطواني الكوفي، عبيد الله بن موسى بن ابي المختار، علي بن الجعد بن عبيد، الفضل بن دكين، وقد عددهم ابن حجر في مقدمة فتح الباري 17 راوياً اتهموا بالتشيع وقد أخرج لهم البخاري في صحيحه في فصل خاص في مقدمة فتح الباري بعنوان "الفصل التاسع في سياق أسماء من طعن فيه من رجال هذا الكتاب مرتباً لهم على حروف المعجم"، انظر: ابن حجر: فتح الباري، (1/ 465-384).

البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو رُد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة.

ثم بدعة كبرى، كالرفض الكامل والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يُحتج بهم ولا كرامة¹.

وقد ذكر ابن حجر في مقدمة فتح الباري "هداية الساري"، بعضاً من رجال البخاري الذين انتقدوا عليه، لضعف أو اختلاط، أو انتحال بعض البدع، ثم بين أن البدعة على ضربين، منها مفسق، ومنها ما هو مكفر متفق بين الأئمة على تكفير منتحليها، مثل غلاة الروافض الذين يقولون بحلول الإله في عليٍّ عليه السلام، أو أن الإمام سوف يرجع إلى الدنيا آخر الزمان، وليس في الصحيح من حديث هؤلاء شيء البتة².

ومن أصول أهل السنة والجماعة، كما ذكر ابن تيمية: سلامة قلوبهم وأسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، فيفضلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها، أبو بكر ثم عمر ويثلاثون بعثمان ويربعون بعليٍّ رضي الله عنهم، ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة³.

ومن دقة أهل السنة وتجردهم لله وصدقهم في رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنهم يروون ما لهم وما عليهم، خلافاً لأهل البدع الذين يروون ما لهم ويخفون ما عليهم، وقد استخدم أهل البدع من خصومهم هذه الأحاديث ضدهم، ولكن ذلك لم يمنع أهل السنة من روايتها وتصحيح الصحيح

¹ الذهبي: ميزان الاعتدال، (1/5-6).

² ابن حجر: فتح الباري، (1/385).

³ انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (3/152).

منها ديانة الله وتبرؤوا من الكذب والتدليس والوضع الذي حاربوه ولم يرتضوه لغيرهم، ومن تلك الأحاديث¹:

1. قال رسول الله ﷺ: "وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ، عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ"².

2. "أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ"³.

3. قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحْطُهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ"⁴.

4. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ"⁵.

وقد طار أهل الأهواء من الشيعة وغيرهم فرحاً بهذه الأخبار وأمثالها، مستدلين بها على فساد منهج أهل السنة والجماعة، وأنهم هم البغاة المتسلطون على رقاب المسلمين، الظالمون لآل البيت الجاحدون حقهم، المحرفون لدين الإسلام والمرتدون بعد وفاة نبيه ﷺ¹.

¹ أكتفي بذكر بعض منها دون بيان توجيهها خشية التويل، إذ يحسن أن تجمع هذه الأحاديث في بحث أو رسالة بعنوان (الأحاديث التي انتقدت على أهل السنة)، مع بيان وجه انتقاد أهل الأهواء، ثم يذكر توجيه أهل السنة لها، وبيان فهمها على الوجه الصحيح.

² البخاري: صحيح البخاري، باب فضل الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله، 2812، (4/ 21)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الفتن واشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، 2916، (4/ 2236).

³ ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، 4011، (2/ 1329)، وأبو داود: سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، 4344، (4/ 124)، والترمذي: سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، 2174، (4/ 41)، والنسائي: سنن النسائي، كتاب البيعة، باب من تكلم بالحق عند غمام جائر، 4209، (7/ 161)، وقد حسنه الترمذي، وصححه الألباني والأرناؤوط، انظر: الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته، (1/ 248)، وتحقيق الأرناؤوط على ابن ماجه: سنن ابن ماجه تحقيق الأرناؤوط، (5/ 144).

⁴ البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، 7150، (9/ 64)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، 227، (1/ 125).

⁵ مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخواص وصفاتهم، 1064، (2/ 745).

¹ انظر: العاملي: الفوائد الطوسية، ص 267، والطبرسي: مستدرك الوسائل، (15/ 145)، والمجلسي: بحار الانوار، (7/ 33)، والعسكري: معالم المدرستين، (27/ 3).

قال العاملي: "كيف يقول بعض النواصب الذين يظهرون الاعتدال لعلّي أجزان ولمعاوية أجر لأنه مجتهد؟ فهل يصح الاجتهاد في قتل المسلمين الموحدين؟ وهل هناك اجتهاد في مورد النص؟ وقد تواتر عنه ﷺ أنه قال في سيدنا عمار الذي قاتل مع أمير المؤمنين سيدنا عليّ: نقله الفئة الباغية، كما ثبت في البخاري ومسلم"¹.

ولو كانوا كما يتهمهم أهل الأهواء وبالأخص الشيعة منهم يتحكمون في الرواية حسب أهوائهم لأخفوا هذه الروايات خوفاً من الإدانة، ولكنه الصدق والأمانة التي كان عليها علماء الحديث، برواية كل ما صح عندهم عن رسول الله ﷺ، خلافاً للمبتدعة الذين يرون ما لهم ويخفون ما عليهم.

ومذهب أهل الحديث من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وخلافته مذهب واحد في إقرارهم بخلافته وفضله وقربه من النبي ﷺ، وتفضيله على معاوية بن أبي سفيان، ورواية الأحاديث الدالة على أنه ومن تبعه أولى الطائفتين بالحق، رغم مخالفة الدولة الأموية لذلك، وعدم إقرارهم بأفضليته وسبه على المنابر في بعض الخلافات.

قال ابن تيمية معلقاً على الحديث الأخير: "فهذا الحديث الصحيح دليل على أن كلتا الطائفتين المقتلتين - عليّ وأصحابه، ومعاوية وأصحابه - على حق، وأن عليّاً وأصحابه كانوا أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه"².

فهو منهج متوازن متكامل غير متحامل فأهل السنة ينتقدون رجالهم نقداً لا مزيد عليه، ولأهل السنة كتب ومصنفات كثيرة في ذلك، قال الذهبي إمام الرجال والسير: "ولنا مصنفات كثيرة جداً في تعديلهم وضعفهم وصدقهم وغلطهم وكذبهم ووهمهم، لا نحابهم أصلاً مع صلاحهم وعبادتهم ونسقط الإحتجاج بالرجل منهم لكثرة غلظه وسوء حفظه ولو كان من أولياء الله.

وَأَنْتُمْ حَدِ الثَّقَّةِ عِنْدَكُمْ أَنْ يَكُونَ إِمَامِيًّا سَوَاءً غَلَطَ أَوْ حَفِظَ أَوْ كَذَبَ أَوْ صَدَقَ، فغاية رجالكم أَنْ يَكُونُوا مِثْلَ رِجَالِنَا فِيهِمْ وَفِيهِمْ فَإِذَا كَانَ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالْإِضْطِرَارِ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ فِيهِمْ

¹ العاملي: الانتصار، (217/2).

² ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (4/467).

كذابون وَأَنْتُمْ أَكْذَبُ مِنْهُمْ بِكُلِّ حَالٍ حَرَّمَ عَلَيْنَا الْعَمَلَ بِالْأَحَادِيثِ حَتَّى نَنْظُرَ فِي أَسَانِيدِهَا.. وغالب ما في أيديكم صحف وأخبار على ألسنتكم مكذوبة أو لم تُعلم صحتها كدأب أهل الكُتَابِينِ سِوَاءِ.

وَكُذِبَ الرَّافِضَةُ مِمَّا يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْخَوَارِجَ شَرَّ مِنْكُمْ وَمَنْ هَذَا فَمَا نَقْدِرُ أَنْ نَرْمِيَهُمْ بِالْكَذِبِ، لَأَنَّا جَرِينَاهُمْ فَوَجَدْنَاهُمْ يَتَحَرَّوْنَ الصِّدْقَ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ، وَأَنْتُمْ فَالصَّادِقُ فِيكُمْ شَامَةٌ، قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: الدِّينُ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ، وَالْكَلامُ وَالْحِيلُ لِأَهْلِ الرَّأْيِ، وَالْكَذِبُ لِلرَّافِضَةِ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ لَا يَرْضَوْنَ بِالْكَذِبِ وَلَوْ وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ فَكَمْ قَدْ رُوِيَ لَهُمْ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ بِلِ مَعَاوِيَةَ وَغَيْرِهِمْ أَحَادِيثَ بِالْأَسَانِيدِ.. وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهَا عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ شَيْئًا، وَيَبِينُونَ الْكَذِبَ مِنْهُ بَلْ إِذَا كَانَ فِي إِسْنَادِ الْحَدِيثِ وَاحِدٌ مَجْهُولُ الْحَالِ تَوَقَّفُوا فِي الْحَدِيثِ، وَأَنْتُمْ شَرَطَ الْحَدِيثِ عِنْدَكُمْ أَنْ يُوَافِقَ أَهْوَاءَكُمْ غَثًّا كَانَ أَوْ سَمِينًا¹.

وهذا المنهج الذي سار عليه المحدثون منهج رباني، فالله عز وجل أمر بالعدل مع المخالفين، قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا ؕ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ ؕ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ {المائدة:8}، وربما انتحل الراوي بعض المذاهب الفاسدة، ولكنه مأمون في نقله، لا يكذب على رسول الله ﷺ، وهذا مشاهد في حياتنا اليومية، فنرى بعض الفسقة ممن لا يعرفون حق الله في صلاة أو عبادة، من أكثر الناس وفاءً للعهد وتحقيقاً للعقود، فلا يأكلون المال بالباطل، لم يعرفوا حق الله ولا حق رسول الله، ولكنهم عرفوا حق العباد، واختاروا الصدق في حياتهم رغم فساد حالهم مع خالقهم.

تعامل أهل السنة مع غلاة المبتدعة

على الرغم من أن أهل السنة رووا عن بعض المبتدعة إلا أنهم وقفوا سداً منيعاً أمام غلاة المبتدعة الذين عُرف عنهم استحلال الكذب والوضع، مثل غلاة الشيعة، وبعض النواصب، ولم يقبلوا لهم رواية، وكانت بدعتهم سبب في رد روايتهم.

¹ الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال، ص480.

قال ابن تيمية: "يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب إظهار السنة والشريعة، والنهي عن البدعة والضلالة بحسب الإمكان، كما دلّ على وجوب ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة"¹.

وكان أهل الحديث يتصدون للبدعة ويظهرون السنة، سواء خالفت البدعة السلطان أو وافقته، فقد كان سفيان الثوري إذا دخل البصرة حدث بفضائل عليّ، نكايَةً بالنواصب واطهاراً للسنة، وإذا دخل الكوفة حدث بفضائل عثمان، نكايَةً بالشيعة واطهاراً للسنة، وكان يقول: "إذا كنت في الشام فاذكر مناقب عليّ، وإذا كنت بالكوفة فاذكر مناقب أبي بكر وعمر"².

ولا يخفى على أي باحث منصف جهود علماء الحديث في ذكر مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام وآل بيته، وخير شاهد على إنصاف المحدثين من أهل السنة الكتب الكثيرة التي ذكرت مناقب عليّ عليه السلام وفضائله، سواء كانت كتباً عامة خصصوا فيها أبواباً لمناقب عليّ عليه السلام وآل بيته من الكتب الستة وغيرها، أو كتباً خاصة أفردت لفضائل عليّ عليه السلام، مثل كتاب "خصائص عليّ" للنسائي³، وهو أوعب من جمع مناقبه من الأحاديث الجياد¹، رغم مخالفة السلطان لذلك، حتى تعرض بعضهم للحبس والتكيل به جراء ذلك، ولم يثنه هذا الأمر عن قول الحق في ذكر فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام والثناء على خلافته.

بل كان ذلك سبباً في انتشار وشيوع فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام وآل بيته، وتحدي علماء الحديث للسلطان في إظهارها بين الناس، أكثر من فضائل غيره من الصحابة، قال الإمام أحمد: "ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضائل ما جاء لعليّ بن أبي طالب عليه السلام"².

¹ ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله (المتوفى: 728هـ): الاستقامة، (1/41)، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ط1، 1403هـ.
² انظر: الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (7/26-27)، الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (2/118).

³ انظر: النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (المتوفى: 303هـ): خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق: أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلا، الكويت، ط1، 1406هـ.

¹ ابن حجر: فتح الباري، (7/74)

² الحاكم: المستدرک علی الصحیحین، (3/116).

وقال جمع من المحدثين: "لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي¹".

رغم أن علي بن أبي طالب كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة ليس أفضل الصحابة، ولكن لما عاش بعد سائر الخلفاء حتى صار له مخالفون وخرج عليه خارجون، فاحتاج من بقي من الصحابة إلى رواية ما سمعوه من فضائله ومناقبه ليردوا بذلك عنه ما لا يليق به من القول والفعل مما نُسب إليه زورا وبهتاناً، ويدفعوا قدح من قدح به تحاملاً وتعصباً².

وقد أنكروا بشكل واضح وصريح على من قتل الحسين بن علي³، وتبرعوا من قتلته، قال ابن تيمية: "فلا ريب أن قتل الحسين من أعظم الذنوب، وأن فاعل ذلك والراضي به والمعين عليه مستحق لعقاب الله الذي يستحقه أمثاله"³.

وقال الزهري الذي يتهمه الشيعة بالتحيز للسلطان: "ما بقي أحد من قتلة الحسين إلا عوقب في الدنيا"⁴.

ولذلك امتنع المحدثون من الرواية عن غلاة المبتدعة من الخوارج والشيعة والنواصب، الداعين إلى بدعهم لأنهم غير مأمونين على الحديث، مع فساد منهجهم وحرصهم لنصرة مذاهبهم. قال ابن تيمية: "من كان داعية إلى بدعة فإنه يستحق العقوبة لدفع ضرره عن الناس، وإن كان في الباطن مجتهداً، وأقل عقوبته أن يُهجر، فلا يكون له مرتبة في الدين، لا يؤخذ عنه العلم، ولا يستقضى، ولا تقبل شهادته"¹.

وقال ابن دقيق العيد: "من كان داعية لمذهبه المبتدع متعصباً له مجاهراً بباطله أن تترك الرواية عنه إهانة له وإخماداً لبدعته"².

¹ ابن حجر: فتح الباري، (71 / 7).

² انظر: ابن عساکر: تاريخ دمشق، (42 / 418)، وابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (4 / 371).

³ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (4 / 559).

⁴ المرجع السابق: (4 / 560).

¹ ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (7 / 385-386).

² ابن دقيق: الاقتراح في بيان الاصطلاح، ص 59.

وينبغي أن يُعلم أن أكثر من رُدَّ حديثهم لسوء معتقدتهم واستحلالهم الكذب، هم غلاة الشيعة من الرافضة، الذين يشهدون الزور ويقولون بالتقية، فشنع العلماء عليهم وامتنعوا من الرواية لهم.

قال الشافعي: "لم أر أحدا من أصحاب الأهواء أشهد بالزور من الرافضة"¹.

وقد سئل أبو حنيفة: ممن تأمرني أن أسمع الآثار؟ قال: "من كل عدل في هواه، إلا الشيعة، فإن أصل عقيدتهم تضليل أصحاب محمد ﷺ"².

وقد حذر المنذر بن الجهم³ من أهل الأهواء تحذيراً شديداً، بعد ما تاب ورجع وكان يقول: "أحذركم أصحاب الأهواء، فإننا والله كنا نحتسب الخير في أن نروي لكم ما يضلكم"⁴.

وبذلك نعلم أن أهل الحديث وقفوا سداً منيعاً أمام الزنادقة والمبتدعة وأهل الأهواء، وفتشوا الحديث ونخلوه، وأخرجوا منه كل حديث موضوع مفترى على رسول الله ﷺ، ولكثرة الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ عمد بعض المحدثين إلى جمعها في كتب خاصة حتى تُعلم فتهمل ولا تُروى، وليعلم من جاء بعدهم في العصور اللاحقة شأنها، وما زالت كتب الموضوعات تتناقل حتى وصلتنا، وعلمنا ما فيها من روايات منسوبة كذباً إلى رسول ﷺ، وأشهر هذه الكتب كتاب "الموضوعات" لابن الجوزي، وكتب أخرى اختصت في ضعفاء الرجال من الكذابين والوضاعين وأصحاب الغفلة¹، وفيها فوائد كثيرة أهمها ذكرها الرجل المتهم في الحديث حتى يبين أمره ويظهر كذبه، ويبين غلظه، فُحصن بذلك الروايات ويُحتاط لدين الله ﷻ.

فيا لها من فطنة عجيبة، وتوفيق كبير حباهم الله به وشرفهم بحمل دينه، فكان لهم السبق في اختراع علم عظيم شهد لهم به كل من عرفه من المسلمين ومن غيرهم، فهذا أسد رستم المؤرخ

¹ الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (9/ 114).

² الخطيب: الكفاية في علم الرواية، ص126.

³ هو المنذر بن جهم الأسلمي، مقبول الحديث، كان من أهل الأهواء ثم رجع، روى عن عمر بن خالد، روى عنه: موسى بن عبيدة، انظر: البخاري: التاريخ الكبير، (7/ 358)، وابن عدي: مختصر الكامل في الضعفاء، ص94.

⁴ الخطيب: الكفاية في علم الرواية، ص128.

¹ وهي كثيرة منها: الضعفاء الكبير للعقيلي، الضعفاء الصغير للبخاري، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، والضعفاء والمتروكون للدارقطني، وغيرها.

اللبناني النصراني¹، يبين في مقدمة كتابه مصطلح التاريخ²، أن أول من نقد الروايات التاريخية، ووضع قواعد لذلك هم علماء الإسلام، فأتحفوا علم التاريخ بقواعد لا تزال في أسسها وجواهرها محترمة في الأوساط العلمية إلى يومنا هذا.

قال أسد رستم: "إن المحدثين انطلقوا من قواعد هامة ومن تلك القواعد، إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ، هذه حقيقة أساسية لازمة عرفها علماء الحديث قروناً عديدة وعملوا بها قبل أن يُدرك فائدتها، وينوه بصحتها، ويحبذ العمل بها المؤرخون الحديثون، إن في أوروبا أو في غيرها في مراكز العلم والحديث"³.

ثم استدل بقول المحدث الشهير أبي حاتم الرازي: "إذا كتبت فقمش وإذا حدثت ففتش"⁴، ومعنى ذلك الإكثار من الجمع والتلقي عن كل أحد، والانتخاب والتأني عند الأداء، قال عبدالله ابن المبارك: "ما انتخبت على عالم قط إلا ندمت"، وقال يحيى بن معين "سيندم المنتخب في الحديث حين لا تنفعه الندامة"¹.

فالحمد لله الذي انطق بعض المنصفين من غير المسلمين ليشهدوا لعلماء الإسلام بسبق اختراعهم هذا العلم، الذي أمد الباحثين والمؤرخين بالقواعد والأصول التي لا غنى لكل دارس للتاريخ عنها اليوم، والتي حفظ الله بها دينه وسنة نبيه محمد ﷺ.

¹ هو أسد جبرائيل رستم مجاعص مؤرخ لبناني تميز بإنتاجه الغزير، ومنهجيته الموضوعية، وريادته في إرساء منهج البحث التاريخي، وتخلصه من الطائفية الضيقة إلى آفاق أرحب من الاعتدال والإنصاف، وكان نصرانياً، ولد 1879م، وتوفي سنة 1965م، ومن أهم كتبه كتاب مصطلح التاريخ، انظر: الزركلي: الأعلام، (1/ 297)، ومقدمة كتاب رستم: مصطلح التاريخ، ص31-39.

² انظر: رستم، أسد: مصطلح التاريخ، ص39-54، تراث، مصر، ط1، 1426هـ.

³ انظر: رستم: مصطلح التاريخ، ص39-54.

⁴ الحطيب: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (2/ 220).

¹ ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح، ص249.

الفصل السادس

مقارنة بين ناتج مدرسة أهل السنة ومدرسة أهل الأهواء ممثلة بالشيعة

لمّا كان الكتاب من وسائل حفظ العلوم عمد الصحابة والتابعون إلى كتابة الكثير من سنة رسول الله ﷺ، في صحف حديثية خاصة، ثم في كتب مستقلة بعد أمر الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز بكتابة السنة، وكان من أصح الكتب الحديثية كتاب صحيح البخاري الذي تلقته الأمة بالقبول جيلاً بعد جيل إلى أن وصلنا بنسخ خطية تراثية مخطوطة، ونسخ مسندة مروية من عصرنا وإلى الإمام البخاري نفسه.

وكذلك عمد أهل الأهواء إلى الانتصار لأفكارهم ومناهجهم بكتب وروايات منسوبة للنبي ﷺ، وعلى رأسهم الشيعة الذين امتد وجودهم لفترة كبيرة من الزمن، دون انقطاع، ولهم كتبهم الحديثية والفقهية والعقدية الخاصة بهم، وكان أهم كتبهم التي اعتنوا بها وزعموا صحتها كتاب "الكافي" للكلييني.

فكان صحيح البخاري مثلاً حياً بين أيدينا على منهج أهل السنة في رواية الحديث وتناقله، وكان كتاب الكافي مثلاً حياً بين أيدينا على منهج الفرق السياسية ممثلاً بالشيعة في روايتهم للحديث وتناقله، وفي هذا الفصل سوف أعمد للمقارنة بين الكتابين بإذن الله تعالى في نقاط محددة من خلال مبحثين:

المبحث الأول

الإمام البخاري وصحيحه الجامع

المطلب الأول: ترجمة المؤلف

هو شيخ الإسلام وإمام الدنيا في فقه الحديث، الحافظ الجبل أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد يوم الجمعة في شوال سنة 194هـ، وكان شيخاً نحيفاً ليس بطويل ولا قصير يميل إلى السمرة، وكان البخاري من أهل الزهد والتتسك والديانة والورع، نشأ يتيماً وطلب الحديث من صغره¹، قال البخاري: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، قيل: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل².

قال أبو بكر الأعمش³: كتبنا عن محمد بن إسماعيل وما في وجهه شعرة، فسئل: ابن كم كان؟ قال: ابن سبع عشرة سنة⁴.

وقد تميز البخاري بقوة حفظه وصفاء قريحته والقصص في ذلك كثيرة، قال أبو بكر الكلواذاني⁵: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل كان يأخذ الكتاب من العلماء فيطلع عليه إطلاعة فيحفظ عامة أطراف الأحاديث بمره⁶.

وكان البخاري صلباً في دينه لا يخاف في الحق لومة لائم، لا يوافق السلطان في هواه، ولا يفعل إلا ما يرتضي من نفسه ودينه، بعث له ذات مرة الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخاري، أن

¹ والأخبار الواردة عن طلبه للحديث في صغره كثيرة والقصص الدالة على ذكاته ونبوغه شهيرة، وفي هذا رد على من قال: إن البخاري ألف الصحيح في 16 سنة مغفلاً حياته التي قضاها في طلب الحديث والتزود من علومه قبل ذلك وكان البخاري لم يسمع قبل شروعه في تصنيف الصحيح، وهذا مردود عقلاً ونصاً بما أثبتته من روايات دالة على طلبه للحديث من مصغره.

² المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (24/438)، والذهبي: تذكرة الحفاظ، (2/104-105)، وابن حجر: تهذيب التهذيب، (9/48).

³ محمد بن أبي عتاب الحسن بن طريف أبو بكر الأعمش الحافظ واحد الأثبات، توفي سنة 240هـ انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، (2/102)، وسير أعلام النبلاء، (12/120).

⁴ المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (24/449).

⁵ هو أحمد بن الحسن بن عمار أبو بكر قاضي كلواذان، انظر: الخطيب: تاريخ بغداد، (5/146).

⁶ الذهبي: سير أعلام النبلاء، (10/91).

أحمل إلي كتاب "الجامع" و"التاريخ" وغيرهما لأسمع منك، فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فأحضرني في مسجدي أو في داري، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله¹.

توفي رحمه الله يوم السبت لغرة شوال ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر من سنة 256هـ، وبذلك يكون قد عاش اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً، قضاها في طلب العلم وتعليمه، ومن أشهر أعماله كتاب الصحيح الذي لم يأت أحد بمثله²، وقد خلد الله به اسمه في أعلى صفحات التاريخ، فهنيئاً لمن كان هذا حاله.

قال ابن كثير: "وقد ترك رحمه الله بعده علماً نافعاً لجميع المسلمين، فعلمه لم ينقطع بل هو موصول بما أسداه من الصالحات في الحياة، وقد قال رسول الله ﷺ: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، علم ينتفع به"³.

المطلب الثاني: صحيح البخاري

لقد كان صحيح البخاري جهداً عظيماً مباركاً، وكان هذا الجهد المبارك على يد جبل العلم وإمام الدنيا في علم الحديث بشهادة كبار النقاد، وقد هدى الله البخاري لهذا الجهد بعد نصيحة شيوخه إسحاق بن راهويه⁴، قال البخاري: كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتاباً مختصراً لسنن النبي ﷺ، فوقع ذلك في قلبي⁵.

وقد اقتصر صحيح البخاري على الصحيح من الأحاديث بأجود الأسانيد وأمتها عن أصحابها، قال البخاري: ما أدخلت في كتابي "الجامع" إلا ما صح وتركت من الصحاح لحال

¹ الخطيب: تاريخ بغداد، (2/ 355)، والمزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (24/ 464).

² المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (24/ 438)، وابن حجر: تهذيب التهذيب (9/ 48).

³ مسلم: صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، 1631، (3/ 1255)، ابن كثير: البداية والنهاية، (14/ 533).

⁴ إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي أبو يعقوب المروزي، وكان إسحاق من سادات زمانه فقهاً وعلماً وحفظاً، قال ابن حجر: ثقة حافظ مجتهد، وذكر أبو داود أنه تغير قبل موته، توفي سنة 238هـ، وله اثنتان وسبعون سنة، انظر: ابن حبان: الثقات، (8/ 115)، وابن حجر: تقريب التهذيب، ص 99.

⁵ المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (24/ 442).

الطول، ولذلك سمي البخاري كتابه " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه"¹.

ولم ينص العلماء على تاريخ محدد لبدء البخاري في تأليف صحيحه، ولكن الذي يظهر من النقولات عن العلماء أنه بدأ في وقت مبكر، وذلك أن البخاري صرح أنه كتب في فضائل الصحابة والتابعين ودون في علم التاريخ والرجال وهو ابن الثامنة عشرة، وبعد علم التاريخ والرجال بدأ البخاري في جمع كتابه الصحيح، وقد مكث في جمعه وتدوينه ست عشرة سنة، قال مبيناً ذلك: صنفت كتاب "الصحيح"² ست عشرة سنة خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى³.

وقد عرض البخاري كتابه الصحيح بعد الانتهاء من تأليفه على الإمام أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وكان يحيى بن معين أولهم وفاة سنة 233هـ⁴، فلو أن البخاري عرضه عليه في السنة التي توفي فيها، يكون قد انتهى من تأليفه سنة 233هـ، ومعلوم أن ميلاد البخاري كان سنة 194هـ، وبذلك يكون عمرة عند الانتهاء من تأليف الصحيح 39 سنة على أعلى تقدير، ويُطرح منها ست عشرة سنة، فيكون عمر البخاري عند ابتدائه تأليف الصحيح 23 سنة على أعلى تقدير⁵.

¹ ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح، ص26، وابن الملتن، أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ): المقنع في علوم الحديث، (1/ 74)، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، دار فواز للنشر، السعودية، ط1، 1413هـ.

² هكذا ورد اللفظ.

³ المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (24/ 449).

⁴ ابن حبان: الثقات، (9/ 263).

⁵ قال أبو جعفر محمود بن عمرو العقيلي لما ألف البخاري كتاب الصحيح عرضه على أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى بن المديني وغيرهم فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة الا في أربعة أحاديث قال العقيلي والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة، انظر: ابن حجر: فتح الباري، (1/ 7).

وهذا يُعطي صحيح البخاري ثقة علمية كبيرة، إذ أن البخاري انتهى من تأليف صحيحه على وجه التقريب كما بينت سنة 233هـ، على أعلى تقدير، وقد توفي البخاري سنة 256هـ، ويكون بذلك قد حدّث بصحيحه مدة 23 سنة على الأقل¹.

وفي هذه المدة الواسعة أمّه طلبة العلم من كل حذب وصوب، وسمعوا منه كتابه الصحيح مدة 23 سنة على الأقل²، وقد اجتمع في مجلسه في بغداد زيادة على عشرين ألف رجل، قال محمد بن يوسف الفريري³: سمع كتاب الصحيح لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل فما بقي أحد يروي عنه غيري⁴.

وقد نُقلت إلينا الكتب الحديثية بالسند، وأكثر الكتب الحديثية شهرة واستفاضة صحيحا البخاري ومسلم، فاشتهرت هذه الكتب واستفاضت بين الناس، ونُقلت إلينا بالتواتر جيلاً بعد جيل، بما لا ينكره من له أدنى دراية بالعلم والتاريخ، لأنه لا فرق بين العلم الذي يحصل بالمشاهدة من حيث القطع واليقين، والعلم الذي يحصل عن طريق التواتر والشهرة والاستفاضة، فلا فرق في ايقان

¹ أشار إلى هذا المعنى الدكتور علي مزيد في كتابه منهاج المحدثين، انظر: مزيد، علي عبد الباسط: منهاج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر، (ص: 270)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

² ومن أشهر من سمع منه: "

- 1- رواية المُحدِّث، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر، الفَرَبْرِيُّ (المتوفي: سنة 320هـ).
- 2- الإمام الحافظ الفقيه، القاضي، أبو إسحاق، إبراهيم بن مَعْل بن الحجاج، النسفي، (المتوفي: سنة 295هـ).
- 3- رواية الإمام المحدث الصدوق، أبو محمد، حمّاد بن شاکر بن سوّية، النسفي، (المتوفي: سنة 311هـ).
- 4- أبو طلحة، منصور بن محمد بن علي بن قرينة ابن سوية البزدي، (المتوفي: سنة 329هـ). انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، (4/ 290)، الذهبي: تذكرة الحفاظ، (2/ 186)، والصفدي: الوافي بالوفيات، (6/ 96)، وابن حجر: لسان الميزان، (8/ 168)، وعبد الحليم، دكتور جمعة فتحي، معاصر: روايات الجامع الصحيح ونسخه «دراسة نظرية تطبيقية»، (1/ 125)، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم، جمهورية مصر العربية، ط1، 1424هـ، عبيد، د. محمد بن عبد الكريم، معاصر: روايات ونسخ الجامع الصحيح، (ص: 19)، دار إمام الدعوة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1426هـ.

³ هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفريري روى الصحيح عن الإمام البخاري، وسمعه منه مرتين مرة سنة 248هـ، والمرة الثانية 252هـ، وقد رحل إليه الناس، وسمعوا منه هذا الكتاب، وكان ولد سنة 231هـ، وتوفي سنة 320هـ، انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، (4/ 290)، الذهبي: تاريخ الإسلام، (23/ 614).

⁴ وذلك لأنه عمّر كثيراً حيث توفي سنة 320هـ، وفي هذا التاريخ توفي أغلب من سمع من البخاري كتاب الصحيح مباشرة، حيث كان سماعه للصحيح في صغره وعمره 17 سنة فقط، وهذا يدل أيضاً على أن البخاري انتهى من تأليفه للصحيح في وقت مبكر، انظر: الخطيب: تاريخ بغداد، (2/ 328)، والمزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (24/ 452)، والذهبي: سير أعلام النبلاء، (11/ 352)، والذهبي: تاريخ الإسلام، (23/ 614).

الناس بوجود مسجد الله الحرام بين من زاره ومن لم يزره، لأن أمره اشتهر بين الناس، وعُلم بالقطع أنه موجود، والذي يشكك في نسبة كتب الحديث المعروفة، كالذي يشكك بوجود بعض الدول والمدن والأماكن المعروفة¹.

ومن شهرة صحيح البخاري وكثرة تداول نسخه بين أهل العلم جيلاً بعد جيل، وتلقي الأمة له بالقبول، جعل العالم الهندي عبد العليّ اللكنوي، الفترة الممتدة بين البخاري وعصرنا الحديث وكأنها رواية راوٍ واحد، قال رحمه الله تعالى: التواتر كالمشاهدة في إفادة العلم، ومن ثمة كان ثلاثيات البخاري رباعيات لنا، لأنه صحيحه متواتر عنه، فكأننا سمعنا من البخاري، فلم يزد إلا واسطة واحدة، وهي نفسه فتدبر².

أما مخطوطات صحيح البخاري فهي كثيرة جداً بين نسخ كاملة أو أجزاء منه في المتاحف ومراكز التراث والبحث العلمي³، وقد أحال الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط على 2327 موضعاً في المكتبات ودور التراث والبحث العلمي المفرقة في أنحاء العالم، وهذا عدد ضخم جداً من النسخ التراثية بخط العلماء الذين اشتغلوا في رواية الحديث وعليها تعليقات بعض مشاهير النقاد من المحدثين من مختلف الأجيال والأقطار، وهي متفقة فيما بينها والاختلافات فيها يسيرة جداً، وهذا يزيد من موثوقية صحيح البخاري لا العكس، لأن تطابق روايات صحيح البخاري

¹ الكيلاني: تدوين الحديث، ص 226-228.

² اللكنوي، عبد العلي محمد بن نظام الدين محمد السهالوي (المتوفى: 1225هـ)، فواتح الرحموت، (2/145)، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1423هـ.

³ وأشهر هذه المخطوطات: "

1- نسخة الحافظ أبي علي الحسين بن محمد بن فيرة بن الصديقي (المتوفى: سنة 514هـ).

2- نسخة الحافظ ابن سعادة محمد بن يوسف بن سعادة المرسي الأندلسي (المتوفى: سنة 566هـ).

3- نسخة شيخ الحجاز عبد الله بن سالم بن محمد البصري، المكي (المتوفى: سنة 1048) " انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، (15/220)، الصفيدي: الوافي بالوفيات، (5/164)، والحموي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد الأصل، الدمشقي (المتوفى: 1111هـ): خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، (3/41)، دار صادر، بيروت، وأبو الفضل، صفى الدين الحنفي الأثري الحسيني البخاري (المتوفى: 1200 هـ): العروس المجلية في أسانيد الحديث المسلسل بالأولية، (ص: 24)، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، وابن سالم، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم (المتوفى: 1360هـ): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، (1/215)، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424هـ، والزركلي: الأعلام، (4/88)، عبيد: روايات ونسخ الجامع الصحيح، ص44.

وُسخه مع تباعد الأقطار واختلاف الأزمنة وتعدّد الروايات عن البخاري والتي شكلت مصادر مختلفة لتدوين الصحيح، لهو خير دليل على تواتر الصحيح ودقة النقل عن البخاري كما هو الصحيح الذي كتبه البخاري بنفسه¹.

ومما يدل على وثاقة صحيح البخاري الذكر الواسع له في الكتب المتقدمة، وكثرة إحالة العلماء عليه، وذلك أنه أُلّف واشتُهر في حياة البخاري، وحدث به البخاري زمناً في الأقطار والأمصار، ونشط رواته في تبليغه لمن بعدهم، فكان كلما مر جيل زادت شهرته وكثر طلابه، خلافاً لبعض الكتب التي يمكن أن تُهمل في بعض الأجيال، ثم يكتب لها القبول في أجيال أخرى، ولا زال الباحثون المهتمون بالمخطوطات يثرون المكتبة الإسلامية بمئات الكتب المكتشفة حديثاً بالعثور عليها في مكتبات التراث بعد التحقق من نسبتها لمؤلفها، ولأهمية صحيح البخاري تعددت الشروح عليه وتقدمت، ومن أقدم شروح البخاري التي وصلتنا "شرح ابن بطل"2.

ومن أهم ما يميز به صحيح البخاري عن غيره من كتب الحديث، أن البخاري رحمه الله جعل في كتابه شروطاً خاصة لم يتطرق إليها من دَوّن في الحديث من قبله، وهذه الشروط لم ينص عليها البخاري بنفسه، بل كشف عنها النقاد ممن درسوا صحيح البخاري³.

وقد أثنى العلماء على صحيح البخاري ثناء كبيراً:

قال النسائي: "ما في هذه الكتب كلّها أجود من كتاب البخاري"⁴.

وقال الذهبي: "وأما جامعه الصحيح فأجل كُتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى، وهو أعلى شيء في وقتنا إسناداً للناس، ومن ثلاثين سنة يفرحون بعُلُوّ سماعه، فكيف اليوم؟ فلو

¹ المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، الحديث النبوي وعلومه، (493/1-565)، مؤسسة ال البيت، عمان، 1991م.

² ابن بطل، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ): شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ.

³ وأظهر هذه الشروط: طول ملازمة الراوي لشيخه، اللقاء والمعاصرة وعدم التدليس، انظر: ابن حجر: فتح الباري، (1/12)، السخاوي: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، (1/67).

⁴ النووي: شرح النووي على مسلم، (1/14).

رحل الشخص لسماعه من مسيرة ألف فَرَسَخ لَمَّا ضاعت رحلته، وأنا أدري أنّ طائفة من الكبار يستقلّون عقلي في هذا القول¹، ولكن:

ما يعرف الشُّوقَ إلا من يُكابده ... ولا الصَّبَابَةَ إلا من يُعانيها

وَمَنْ جَهَلَ شيئاً عاداه، ولا قوَّةَ إلا بالله².

شبّهات الشيعة حول صحيح البخاري

عَلِمَ أهلُ الزندقة وأهل الأهواء من الفرق السياسية وغيرهم منزلة صحيح البخاري في الإسلام، فحاولوا بكل سبيل متاح الهجوم عليه والتشكيك في صحة أحاديثه، ولمّا كانت الشيعة الإمامية الفرقة الوحيدة التي نشأت مبكراً ولا زالت إلى الآن ولها الآن وجود سياسي ودولة، فإني سوف أعرض أهم الشبّهات التي يثيرها كُتّاب الشيعة حول صحيح البخاري وهي:

عدم رواية البخاري عن الإمام جعفر الصادق وروايته عن النواصب والخوارج

طعن كُتّاب الشيعة في عدالة الإمام البخاري واتهموه بالتعصب ومجافاة آل البيت، لأنه لم يُخرج في صحيحه أحاديث عن جعفر الصادق، رغم أن جعفر الصادق سبقه بأقل من قرن فقد توفي جعفر الصادق سنة 148هـ، وتوفي البخاري سنة 256هـ، وقد اشتغل جعفر الصادق برواية الحديث فحدّث عنه خلق كثير، ولم يُخرج له البخاري حديثاً واحداً في صحيحه، رغم أنه أخرج عن بعض الخوارج والنواصب ممن هم أقلّ علماً وفقهاً وديانةً من الإمام جعفر الصادق³.

قال النجمي: "إن البخاري خرّج أحاديث عن أخذوا العلم عن الإمام الصادق، ولكن البخاري أبى أن يروي تلك الأحاديث التي رواها هؤلاء المشايخ عن الإمام الصادق"⁴.

¹ قلت: كيف لو رأى جهال عصرنا ممن ينتقصون البخاري ولا علم لهم ولا ميزان.

² الذهبي: تاريخ الإسلام، (6/ 142).

³ انظر: ابن حجر: تقريب التهذيب، ص 141، 468.

⁴ النجمي، الشيخ محمد صادق، معاصر: أضواء على الصحيحين، ص 111، تحقيق: الشيخ يحيى كمالى البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط 1، 1419هـ.

وقال الأصبهاني: "عدم اخراج البخاري لحديثه، وعدم الاحتجاج به، واعتقاد عدم قابليته للإيداع في صحيحه السقيم، مع اخراجه مرويات كثير من الخوارج والنواصب والكذابين، والوضاعين، والاحتجاج بهم وإيداع أحاديثهم في كتابه، وإن كان كافياً في الدلالة على نصبه وضلالته وشقائه، كالدلالة على ترجيح روايات هؤلاء الملاحدة الملاحين، والعياذ بالله على رواياته".¹

والرد على هذه الشبه من وجوه كثيرة وهي:

1. لم يقل البخاري عن نفسه أو أي أحد من النقاد عنه أنه استوعب في صحيحه كل روايات من اشتغل في الحديث، فلم يُخرج عن كل الصحابة رضوان الله عليهم، وهم أقرب على النبي ﷺ وقد سمعوا منه مباشرة، ولمّا لم يستوعب الصحابة الذين اشتغلوا برواية الحديث في الحلقة الأولى من حلقات السند، لم يستوعب الرواة من بعدهم في الحلقات الأخرى التي اتسعت، وكثر المشتغلون في رواية الحديث الشريف، وتفرقوا في الأقطار والأمصار، فلم يستوعب أحاديث الثقات، أو كل الأحاديث الصحيحة، قال رحمه الله: ما أدخلت في كتابي "الجامع" إلا ما صح، وتركت من الصحاح لحال الطول.²

ولم يُخرج الإمام البخاري في صحيحه حديثاً واحداً عن الإمام الشافعي، والإمام الشافعي فاق الإمام جعفر في الفقه والحديث، فهل يُقال إن البخاري كان يرى ضعف الإمام الشافعي؟ قال الخطيب معللاً سبب عدم رواية البخاري عن الشافعي: فترك البخاري الاحتجاج بالشافعي، إنما هو لا معنى يوجب ضعفه، لكن غني عنه بما هو أعلى منه.³

ولعل اشتغال الشافعي وجعفر الصادق بالفقه أكثر من الحديث جعل البخاري يُعرض عنهما.

¹ النمازي، فتح الله بن محمد جواد الإصبهاني الشيرازي، ويعرف شيخ الشريعة (المتوفي: 1339هـ): القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع، ص 39، تحقيق: الشيخ حسين الهرساوي، مؤسسة الإمام الصادق، قم، ط1، 1422هـ.

² الذهبي: سير أعلام النبلاء، (1/ 52).

³ المرجع السابق: (1/ 52).

2. أخرج الإمام البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه روايات كثيرة فاقت عدد روايات أبي بكر وعمر مجتمعة، وأخرج لسيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام¹ حديثاً واحداً²، وأخرج للحسن والحسين، وعلي زين العابدين، ومحمد بن علي الباقر، ومحمد بن عمرو بن الحسن بن علي، ولغيرهم من أئمة آل البيت عليهم السلام³، فهل يشفع للإمام البخاري رحمه الله تعالى أنه أخرج لكل هؤلاء الأكابر من آل البيت، أم أنه لا يزال ناصبياً متحاملاً عليهم؟!

3. ترجم البخاري في تاريخه للإمام جعفر الصادق ولو رآه ضعيفاً أو متروكاً لبين ذلك في ترجمته كعادته في بيان ضعف وفسق من كان هذا حاله واطلع البخاري على أمره، قال البخاري: جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، الْهَاشِمِيِّ، الْمَدَنِيِّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، الْهَاشِمِيُّ، سَمِعَ أَبَاهُ، وَالْقَاسِمَ - بن محمد بن أبي بكر -، وَعَطَاءَ، سَمِعَ مِنْهُ مَالِكٌ، وَالثَّوْرِيُّ، وَشُعْبَةُ، قَالَ أَبُو نَعِيمٍ⁴: مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةً، وَقَالَ لِي عِيَّاشُ بْنُ الْمُغِيرَةَ⁵: وُلِدَ سَنَةَ الْجَحَافِ سَنَةَ ثَمَانِينَ، وَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ⁶ عَنْ يَحْيَى بْنِ

¹ ولعل سبب قلة أحاديث فاطمة الزهراء رضي الله عنها، أنها توفيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بستة اشهر، ولم تكن هنالك حاجة لرواية الحديث في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، انظر: أبو نعيم: معرفة الصحابة، (6 / 3193).

² انظر: البخاري: صحيح البخاري، (4 / 79)، وابن الجوزي: تليح فهم أهل الأثر، (ص: 292).

³ أخرج البخاري في صحيحه لزين العابدين: 25 حديثاً، ومحمد الباقر 12 حديثاً: انظر: رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ): رسائل السنة والشيعه، (2 / 139)، دار المنار، القاهرة، ط2، 1366هـ.

⁴ هو الفضل بن دكين بن حماد أبو نعيم الملاثي مولى طلحة بن عبيد الله القرشي من أهل الكوفة يروي عن الأعمش، ولد سنة 130هـ، وكان أئقن أهل زمانه، ثقة ثبت من كبار شيوخ البخار، وتوفي سنة 218هـ وقيل 219هـ، انظر: ابن حبان: الثقات، (7 / 319)، ابن حجر: تقريب التهذيب، 446.

⁵ هو عيَّاش بن المُغِيرَةَ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَدِينِي، وَهُوَ مِنْ شُيُوخِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ، انظر: الدارقطني: المؤلف والمختلف، (3 / 1569).

⁶ هو عبد الله بن مُحَمَّد بن حميد بن الأسود أبو بكر البصري ابن أخت عبد الرحمن بن مهدي كان قاضي همذان، ويعرف بابن أبي الأسود، وأبو الأسود هو حميد جده، وكان حافظاً متقناً، سكن بغداد، وحدث بها، وهو من شيوخ البخاري توفي سنة 223هـ وعمره ستون سنة انظر: الخطيب: تاريخ بغداد، (11 / 254)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، (50/9).

سعيد¹: كان جعفر إذا أخذت منه العفو لم يكن به بأس، وإذا حملته حمل على نفسه².

وهذه ترجمة طويلة مقارنة بتراجم البخاري في تاريخه، ولنا أن نقارن ترجمة الامام جعفر الصادق بترجمة أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة والجماعة، التي أوردها البخاري في تاريخه بقوله: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلِ بْنِ هَلَالٍ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، الشَّيْبَانِيُّ، سَكَنَ بَغْدَادَ، مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ، الدُّهْلِيُّ مِنْ رِبِيعَةَ، سَمِعَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ، وَابْنَ عُيَيْنَةَ³.

4. أخرج البخاري في صحيحه مجموعة من أحاديث فضائل ومناقب آل البيت، وجعل لها أبواباً مستقلة، فهل يُعقل أن يتعصب ضد جعفر ويتساهل مع غيره؟!

ومن تلك الأبواب:

- باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن عليه السلام⁴.
- باب مناقب جعفر بن أبي طالب الهاشمي عليه السلام⁵.
- باب ذكر العباس بن عبد المطلب عليه السلام⁶.
- باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر فيه مجموعة من الأحاديث في فضل بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاطمة الزهراء رضي الله عنها⁷.

¹ هو الإمام المعروف يحيى القطان، هُوَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ بْنِ فَرْوْحَ، مَوْلَى بَنِي تَمِيمٍ، الْحَافِظُ الْعَلَمُ أَبُو سَعِيدِ الْبَصْرِيِّ الْقَطَّانُ الْأَحُولُ، كَانَ ثِقَةً مَتَقَنًا حَافِظًا إِمَامًا قَدْوَةً تُوْفِيَ سَنَةَ 198 هـ، انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، (4/ 1244)، وابن حجر: تقريب التهذيب، ص 591.

² هكذا وردت والقصد من ذلك أنه كان متسامحاً، ويتحمل على نفسه من أجل إرضاء إخوانه، انظر: البخاري: التاريخ الكبير، (2/ 198).

³ المرجع السابق: (2/ 5).

⁴ البخاري: صحيح البخاري، (5/ 18).

⁵ المرجع السابق: (5/ 19).

⁶ المرجع السابق: (5/ 20).

⁷ منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وقوله: "فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني"، انظر: البخاري: صحيح البخاري، (5/ 20-21).

• باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما¹.

• باب مناقب فاطمة عليها السلام، -غير الباب السابق-².

فضلا عن كتب الاعتقاد التي يتجلى فيها اهتمام أهل السنة بآل البيت عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، ويقرون بصراحة أن الحق كان مع عليّ بن أبي طالب وأن معاوية بن أبي سفيان اجتهد في طلب دم عثمان بن عفان وأخطأ في اجتهاده³.

ورغم كل المحاولات التي بذلتها الدولة الأموية في سبيل طمس فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، حفظ علماء الإسلام وبخاصة علماء الحديث مآثره وفضائله ودونوها في كتبهم في أبواب مستقلة، وحدثوا بها العامة والخاصة.

بل وكتبوا كتباً خاصة في العقيدة والسنة نبهوا فيها على فضائل آل البيت وعظيم حقهم ومن تلك الكتب: السنة للخلال⁴، وشرح مذاهب أهل السنة، لابن شاهين⁵، والعقيدة الطحاوية⁶، وشرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي⁷، والعقيدة الواسطية⁸، وغيرها الكثير.

¹ البخاري: صحيح البخاري: (5/ 26)

² المرجع السابق: (5/ 29)

³ قال ابن تيمية: ثبت أن علياً وأصحابه كانوا أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه، انظر: ابن تيمية: الفتاوى الكبرى، (3/ 537).

⁴ الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الحنبلي (المتوفى: 311هـ): السنة، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراجية، الرياض، ط1، 1410هـ.

⁵ ابن شاهين، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداد البغدادي (المتوفى: 385هـ): شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن، تحقيق: عادل بن محمد، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، ط1، 1415هـ.

⁶ الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ): العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1414هـ.
⁷ سبق ذكره.

⁸ ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): العقيدة الواسطية، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط2، 1420هـ.

فهل يُعقل أن يجمع أهل السنة هذه الأبواب بما فيها من أحاديث كثيرة دالة بشكل واضح وصريح على فضائل عليّ ﷺ وآل بيته: من زوجته -التي هي بنت رسول الله ﷺ-، وأبنائه -الذين هم أحفاد رسول الله ﷺ-، ثم يتعصبوا ضدهم بل ويُتهموا أنهم نواصب غلاة منحرفون عن آل البيت رضي الله عنهم!!؟

5. أخرج غير البخاري من أصحاب الكتب الستة للإمام جعفر الصادق فقد أخرج مسلم عنه في صحيحه 17 حديثاً، وأبو داود في سننه 11 حديثاً، والنسائي في سننه 43 حديثاً، والترمذي في سننه 20 حديثاً، وابن ماجه في سننه 19 حديثاً، وأحمد في مسنده 35 حديثاً.

فهل سلم كل هؤلاء من نقد الشيعة، أو اتهامهم أنهم نواصب جفاة لآل البيت!!؟

كما نقل النجّمي جملة من الاعتراضات على صحيح البخاري في كتابه "أضواء على الصحيحين"، ولأجل هذه الاعتراضات الضعيفة العامة غير المنضبطة، ضعف كل أحاديث الصحيحين سنداً ومنتأً، قال: "ويؤيد رأينا في ضَعْف أحاديث الصحيحين متناً وسنداً الأدلة التالية:

1. ضعف بعض رجال الصحيحين، وإنهم غير موثقين، في علم الرجال.
2. العصبية الشديدة التي تحلى بها مؤلفا الكتابين.
3. الفترة الزمنية الطويلة الممتدة بين زمن صدور الحديث وتاريخ تدوينه، مع النظر إلى دواعي وأسباب الجعل والوضع.
4. تقطيع بعض الأحاديث عند البخاري تمشياً لذوقه ورأيه.
5. النقل بالمعنى، كما يلاحظ في صحيح البخاري.
6. تتميم وتكميل صحيح البخاري بوسيلة الآخرين.

7. ملاحظة كثرة الأحاديث المخالفة للأدلة العقلية والدينية فيهما¹.

ولا يخفى على عاقل منصف حتى لو كان مخالفاً، بطلان هذه الاعتراضات العامة غير المنضبطة، فرجال البخاري أوثق الرجال، فلم يرو عن المجاهيل أو الكذابين والوضاعين كما هو حال أغلب رجال كتب الشيعة، وقد أخرج عن بعض الرواة الذين اتهموا بالضعف أو بانتحال المذاهب الباطلة بعد سبر أحاديثهم، ومعرفة صدقهم، وروايته لهم في المتابعات والشواهد، لم يفرق بين مذهب وآخر، فقد روى عن بعض الخوارج والنواصب والشيعة، ورواة الشيعة الذين أخرج لهم البخاري أكثر، قد تتبعهم ابن حجر في مقدمة فتح الباري، ولم يتعصب البخاري ضد أحد بل كان له منهج خاص في تعامله مع أحاديث المبتدعة كما بينت، ومن علامة إنصافه وعدله مع مخالفيه أنه أخرج لبعض المبتدعة الذين تبين له صدقهم، وهذه علامة إنصاف وعدل لا تعصب كما زعم النجمي.

أما عن الفترة الزمنية الطويلة بين صدور الحديث والبخاري فهذا هو ميدان بحثي ومشكلته الرئيسية، وقد خلصت أن الحديث حفظ في الصدور والسطور في أول طبقاته: طبقة الصحابة، وإلى أن وصل إلى البخاري².

وأما عن تقطيع البخاري للحديث فإن البخاري كان يروي الحديث بتمامه في بعض الأبواب غالباً، وهذا من فقهه في كتابه حيث بحث أهل الفقه عن فقه البخاري في تراجمه وأبوابه وأسباب تقطيع البخاري للحديث، وأما روايته بالمعنى فقد أجاز النقاد من المحدثين الرواية بالمعنى بشروط معينة ولا تخفى هذه الشروط على جبل الحفظ وإمام الدنيا بفقه الحديث³.

وأما عن تكميل البخاري بواسطة الآخرين فهذه شبه واهية فرواة البخاري عنه صحيحة بالآلاف كما بينت، وعدد المخطوطات مثل ذلك بفضل الله، فلم يأت في رواية واحدة أن أحداً أكمله بعد البخاري.

¹ النجمي: أضواء على الصحيحين، ص 91.

² انظر ص 132 من هذه الدراسة

³ وشروط الرواية بالمعنى كما ذكرها الرامهرمزي: أن يكون عالماً بلغات العرب ووجوه خطابها، بصيراً بالمعاني والفقه، عالماً بما يحيل المعنى وما لا يحيله، انظر: الرامهرمزي: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ص 530.

وأما عن مخالفة أحاديث البخاري للعقل، فهي نعم مخالفة للعقل المشحون ضد أهل السنة والجماعة ممن أعماه التعصب عن الحق والحقيقة، بنقد الصحيح الموثوق والتمسك بالأوهام والأحلام من رواية الوضاعين والكذابين والمجاهيل وأهل الأهواء والمنتحلين للمذاهب الفاسدة الذين غلبوا على أسانيد كتب الشيعة المختلفة بشهادة نقاد الشيعة قبل غيرهم.

المبحث الثاني

الكُلَيْني وكتابه الكافي

المطلب الأول: ترجمة الكُلَيْني

هو محمد بن يعقوب أبو جعفر الكُلَيْني الرَّازي روى عنه: أحمد بن إبراهيم الصَّميرِي¹، وغيره، وكان ببغداد، وفيها اشتهر وصنف الكتب على مذهب الشيعة، وقبره ظاهر عليه لوح، قال الذهبي: شيخ فاضل شهير²، من رؤوس الشيعة، وفقهائهم المصنفين في مذاهبهم الرذلة، توفي في الكوفة ودفن ببابها سنة 328هـ³.

هذا ملخص ترجمة الكُلَيْني في كتب أهل السنة والجماعة، أما في كتب الشيعة فله ذكر واسع في كتبهم وثناء كبير وخصوصاً في الكتب المتأخرة⁴.

قال الطبرسي قاطعاً بصحة أحاديث الكافي: "وكتاب الكافي بينها كالشمس بين نجوم السماء، وامتاز عنها بأمور، إذا تأمل فيها المنصف يستغني عن ملاحظة حال آحاد رجال سند الأحاديث المودعة فيه، وتورثه الوثوق، ويحصل له الاطمئنان بصدورها، وثبوتها، وصحتها بالمعنى المعروف عند الأقدمين"⁵.

¹ لم أجد له ترجمة في تراجم أهل السنة، وقد ترجم له الطوسي بقوله أنه: أحمد بن إبراهيم بن أبي رافع الصيمري، يكنى أبا عبد الله، من ولد عبيد بن عازب، أخي البراء بن عازب الأنصاري، أصله الكوفة، وسكن بغداد، ثقة في الحديث، صحيح العقيدة، وقولهم إنه صحيح العقيدة أنه على مذهب الشيعة وليس على مذهب أهل السنة، انظر: الطوسي: الفهرست، ص78.

² لعل الذهبي قصد بقوله شيخ فاضل أي عند قومه وذكره له في النبلاء لا يعني وثاقته بحال فقد ذكر الذهبي في كتابه سير النبلاء كثيراً من الضعفاء والمجروحين، والذي يؤيد ذلك قول الذهبي عنه: مُحَمَّد بن يَعْقُوب الكليني من رُؤُوس فضلاء الشَّيْعة في أيام المقتدر، فجعل أفضليته متعلقة بالشيعة أنفسهم، ثم إن الذهبي في ترجمته نسب الكتب والمصنفات إلى مذاهب الشيعة الرذلة، فكيف يمدح الذهبي شخصاً ثم يقول عن مذهبه رذلاً. انظر: الذهبي، محمد بن عبد الله بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي (المتوفى: 842هـ): توضيح المشتبه، (7/ 337)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م.

³ ابن عساكر: تاريخ دمشق، (56/ 298)، والذهبي: تاريخ الإسلام، (24/ 250)، سير أعلام النبلاء، (11/ 492)، وابن حجر: لسان الميزان، (5/ 433).

⁴ النجاشي: رجال النجاشي: ص377، والحلي: رجال ابن داوود، ص187.

⁵ الطبرسي: خاتمة المستدرک، (3/ 463).

وقال القمي: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي الملقب ثقة الإسلام، ألف الكافي الذي هو أجل الكتب الإسلامية وأعظم المصنفات الإمامية الذي لم يُعمل للإمامية مثله¹.

وقال الاسترآبادي: سمعنا عن مشايخنا وعلمائنا أنه لم يصنّف في الإسلام كتاب يوازيه أو يدانيه².

ومن خلال استعراض ترجمة الكليني من كتب أهل السنة والشيعة نلاحظ ما يلي:

1. أن نقاد أهل السنة لم يذكروا اشتغاله بالحديث ولم يوثقه أحد بالنص، وأفضل كلمة قيلت في حقه ما ذكره الذهبي شيخ فاضل وهي محمولة على أنه فاضل في مذهبه وعند علماء الشيعة لا عند أهل السنة والجماعة، أما في كتب الشيعة فقد وثقوه بأعلى أوصاف المدح والثناء وأثنوا على كتابه واعتبروه أصح كتب الإسلام.

2. يظهر لي أن علماء السنة لم يطلعوا على كتابه الكافي، لأنه لا ذكر له في كتب علماء السنة ممن ناظروا الشيعة، وهذا ما سمح لعلماء الشيعة بدس أحاديث فيه حسب أمزجتهم، وأول ذكر له في كتب أهل السنة في ما يظهر لي في كتاب تاريخ أربل لابن المستوفي المتوفى في القرن السابع³.

3. يظهر لي أن الكليني إما أنه لم يكن بالسوء الذي يجعله يروي الأكاذيب مثل أكثر الأحاديث التي في كتابه الكافي، وفيها اعتداء على الدين والقرآن والعقيدة والصحابة والنبي ﷺ، ويدل على ذلك ترجمة نقاد السنة له إذ لم يتهموه بالكذب والافتراء على دين الله، أو أنه كان مخفياً عن الأنظار تقيّة، فلم يطلع عليه النقاد من أهل السنة، ويمكن أن يكون كلا الأمرين.

¹ القمي: الكنى والألقاب، (120/3).

² الاسترآبادي: الفوائد المدنية، ص520.

³ ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي (المتوفى: 637هـ): تاريخ أربل، 657/1، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980م.

المطلب الثاني: كتاب الكافي

يعتبر الشيعة كتاب الكافي أعظم المصادر الشيعية على الإطلاق، فهو موثق من قبل الإمام الثاني عشر المعصوم الذي لا يُخطئ ولا يغلط، إذ لمَّا ألف الكليني كتابه الكافي عرضه على الإمام الثاني عشر في سردابه في سامراء، فقال الإمام: الكافي كاف لشيعتنا¹.

ولكن هذا الكتاب المهم الذي اثنى عليه جماهير كتَّاب الشيعة في القديم والحديث، وقطع كثير منهم بصحة كل ما فيه، لم يُعرف لفترة طويلة وبقي طي الكتمان، ولم يرجع إليه ابن مطهر الحلي الذي ناظر ابن تيمية في كتابه "منهاج الكرامة" ولم يستدل بنصوص منه، ولم يرد له ذكر عند علماء السنة ممن ناظروا الشيعة مثل الشهرستاني وابن تيمية وغيرهم، ولم يُعرف ويشتهر إلا في وقت متأخر أيام الدولة الصفوية².

ولعل السبب في إخفاء كتاب الكافي طيلة هذه الفترة هو عقيدة التقيّة التي تنبأها الشيعة وجعلوها من صلب دينهم، ولا أدل على ذلك مما أورده الكليني عن محمد بن الحسن بن أبي خالد شينولة، قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: جُعلت فداك إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وكانت التقيّة شديدة فكتبتموا كتبهم ولم تُرو عنهم فلمَّا ماتوا صارت الكتب إلينا فقال: حدّثوا بها فإنها حق³.

ومما يدل على الاختلاف وعدم الثقة في مصداقية كتاب الكافي، أن علماء الشيعة اختلفوا في عدد من الأبواب التي تضم مجموعة كبيرة من الأحاديث هل هي من تأليف الكليني أم أنها أُضيفت إليه فيما بعد!!

قال الطوسي بعد أن ذكر أبواب كتاب الكافي إنها أكثر من ثلاثين كتاباً⁴.

¹ الكليني: الكافي، (25/1).

² القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية - عرض ونقد -، (1/ 366، 359).

³ الكليني: الكافي، (53/1).

⁴ الطوسي: الفهرست، ص 156.

ومن المعلوم أن الطوسي متقدم إذ أن وفاته 460هـ، بينما ذكر المجلسي - المتوفي: 1070هـ- أن كتاب الكافي خمسون كتاباً بالأسانيد التي فيه لكل حديث متصلة بالأئمة عليهم السلام¹.

فلا يدري هل هو ثلاثون كتاباً أم خمسون!!!؟

وجرى خلاف كبير بين علماء الشيعة حول كتاب الروضة الذي يضم مجموعة من الأبواب فيها أحاديث كثيرة هل هو من تأليف الكليني أو زيد عليه فيما بعد؟².

قال عبد الرسول الغفار: لقد اختلف الشيخ الطوسي والنجاشي، في بيان الكتب التي يشتمل عليها كتاب " الكافي"، وفي عددها وترتيبها، وكلاهما مخالف لما هو موجود بأيدينا اليوم من النسخ المطبوعة³.

واختلف كذلك المتأخرون منهم - ممن اتفقوا على عدد الأبواب في صورتها الحالية- على عدد أحاديث الكتاب، فجعلها عبد الرسول الغفار 15503 حديثاً⁴، وزاد البابلي فيها لتكون زيادة على 16000 حديثاً⁵، أما حسن الصدر فاثبت أنها 16199⁶، بينما جعلها الطهراني 13590 حديثاً، موزعة على 393 باباً⁷.

قال حسين موسوي بعد أن عرض اختلاف الشيعة في عدد أبواب وأحاديث الكافي: يتبين لنا من الأقوال المتقدمة أن ما زيد على الكافي ما بين القرن الخامس والقرن الحادي عشر، عشرون كتاباً وكل كتاب يضم الكثير من الأبواب، أي أن نسبة ما زيد في كتاب الكافي طيلة هذه المدة

¹ المجلسي، محمد تقي (المتوفي: 1070هـ): روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، (24/1)، تحقيق: السيد حسين الموسوي الكرمانى والشيخ علي بناه الإشتهاردي، والمجلسي: بحار الأنوار، (146/104).

² الطبرسي: خاتمة المستدرک، (536/3)، والغفار، عبد الرسول، معاصر: الكليني والكافي، ص408، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط1، 1416هـ.

³ الغفار: الكليني والكافي، ص403.

⁴ المرجع السابق، ص402.

⁵ البابلي: رسائل في دراية الحديث، (143/2).

⁶ الصحيح من هذه الأحاديث باصطلاح من تأخر 5072 حديثاً، انظر: الصدر: نهاية الدراية، ص546.

⁷ الطهراني: الذريعة، (504/4).

يبلغ 40%، عدا تبديل الروايات، وتغيير ألفاظها، وحذف فقرات، وإضافة أخرى، فمن الذي زاد في الكافي عشرين كتاباً؟ أي يمكن أن يكون إنساناً نزيهاً؟؟

وهل هو شخص واحد؟ أم أشخاص كثيرون تتابعوا طيلة هذه القرون على الزيادة والتغيير والتبديل والعبث به؟؟!!

ونسأل: أما زال الكافي موثقاً من قبل المعصوم الذي لا يخطئ ولا يغلط؟؟!!¹.

وبناء على ذلك لا يملك أي من الباحثين من الشيعة وغيرهم، القطع بأن الكليني ألف الكافي على صورته الحالية، للاختلاف في عدد الأبواب والأحاديث، ولا يوجد مخطوط للكافي متقدم يُعتمد عليه، وكتاب الكافي المطبوع حالياً قوبل على مخطوطات متأخرة جداً، وإذا لم تكن هنالك ثقة في نقل الكتاب واتفاق على أبوابه وعدد أحاديثه، فمن باب أولى عدم الثقة بما فيه من أحاديث، وقد ذكر ابن النديم وهو من متقدمي الشيعة أسماء خمسة كتب أطلق عليها اسم الكافي في النحو والنسب والفقهاء والعقائد ولم يذكر كتاب الكافي للكليني².

أما إذا تصفحنا كتاب الكافي وقرأنا في أخباره فنزداد يقيناً أن كتاب الكافي من تأليف الشيعة وافترائهم على الأئمة من آل البيت رضي الله عنهم، والانتقادات حول هذا الكتاب كثيرة جداً، أعرض أوضحها وأهمها بإذن الله تعالى، موثقاً لها من كتب الشيعة المعتمدة:

1. كثرة التعارض والاختلاف:

إن القراءة في كتاب الكافي تذكر القارئ بالكتب السماوية السابقة المحرفة، إذ إن تلاعب البشر فيها جعل نصوصها يعارض بعضها بعضاً، لأن جهد البشر ناقص وقاصر، فكيف بالأمر إذا علمنا أن التحريف كان على يد عدة أشخاص في أماكن وأزمنة مختلفة قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79].

¹ الموسوي: حسين، معاصر: لله ثم للتاريخ، ص 103، دار الأمل، ط4

² انظر: ابن النديم: الفهرست، ص: 93، 101، 135، 167، 268، والمبارك، محمد، المسمار الأخير في نعش التشيع

كتاب الكافي للكليني مزور، <http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=218192>.

فندى الروايات فى الجزء الأول وبداية الجزء الثانى تدعو للتوحيد وإخلاص العمل لله تعالى ومنها ما أخرجهُ الكليني:

- أ. عن رسول الله ﷺ أنه قال: ثلاث لا يغلب عليهن قلب امرئ مسلم إخلاص العمل لله، والنصيحة لائمة المسلمين واللزوم لجماعتهم¹.
- ب. أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني فقال: لا تشرك بالله شيئاً وإن حُرقت بالنار وعذبت إلا وقلبك مطمئن بالإيمان².

وفى نفس الجزء الثانى الذى وردت فيه الرواية الأخيرة التى تنهى عن الشرك بالله وردت روايات عدة تجيز الشرك بالله عز وجل وتثبت له نداءً ونظيراً، وتجيز طلب الدعاء من الأنبياء والأولياء والملائكة:

- أ. عن أبى عبد الله معلماً لمن سأله عن دعاء يقوله حال المرض: " يا الله يا رحمن يا رحيم يا رب الأرباب وإله الآلهة يا ملك الملوك يا سيد السادة اشفني بشفائك من كل داء وسقم فإني عبدك أتقلب في قبضتك"³.
- ب. عن أبى عبد الله أنه قال: إن استطعت أن لا تبيت ليلة حتى تعوذ بأحد عشر حرفاً؟ قلت: أخبرني بها؟ قال: قل: " أعوذ بعزة الله وأعوذ بقدرته الله وأعوذ بجلال الله وأعوذ بسلطان الله وأعوذ بجمال الله وأعوذ بدفع الله وأعوذ بمنع الله و أعوذ بجمع الله وأعوذ بملك الله وأعوذ بوجه الله وأعوذ برسول الله ﷺ من شر ما خلق وبراً وذراً"⁴.
- ج. عن بعض من رواه⁵، قال: إذا أحزتك أمر فقل في آخر سجودك: يا جبرئيل يا محمد، يا جبرئيل يا محمد - تكرر ذلك - اكفياني ما أنا فيه فإنكما كافيان واحفظاني بإذن الله فإنكما حافظان⁶.

¹ الكليني: الكافي، (403/1).

² المرجع السابق: (158/2).

³ المرجع السابق: (566/2).

⁴ المرجع السابق: (537/2).

⁵ وهذه أحد الأسانيد الكثيرة التى تنتهى لمبهم لم يسمى ولم يُعرف عند نقاد الشيعة أنفسهم.

⁶ الكليني: الكافي: (559/2).

وغيرها من الأحاديث التي تدل على جواز الشرك والاستغاثة بالأولياء¹.

وهذا يوضح الاختلافات الكبيرة والتناقضات العجيبة في كتاب الكافي التي لم يستطع كتاب الشيعة أنفسهم أن يخفوها أو يجمعوا ويوفقوا بينها، ليعترفوا صراحة بوجود التناقض والاختلاف.

قال الطوسي: "ذاكرني بعض الأصدقاء أيده الله ممن أوجب حقه علينا بأحاديث أصحابنا أيدهم الله ورحم السلف منهم، وما وقع فيها من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد، حتى لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده ولا يسلم حديث إلا وفي مقابله ما ينافيه، حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا، وتطرقوا بذلك إلى إبطال معتقدنا"².

وقال الكاشاني بعد أن عرض أسباب الاختلاف عند الشيعة مثبتا حجم الخلاف الكبير بين علماء الشيعة في كل المسائل: "تراهم يختلفون في المسألة الواحدة على عشرين، قولاً أو ثلاثين أو أزيد بل لو شئت أقول لم تبق مسألة فرعية لم يختلفوا فيها أو في بعض متعلقاتها"³.

2. الانقطاع في أحاديث الكافي

بينت في الفصل الثالث أن الشيعة لم يهتموا بالأسانيد إلا في وقت متأخر بعد أن ناظرهم شيخ الإسلام ابن تيمية، ويظهر ضعف الشيعة الإسنادي في أصح الكتب عندهم، وهو كتاب الكافي، ويدل على ذلك أمران بارزان في بداية إسناد الرواية ونهايتها وذلك:

أولاً: إسناد الكُليّني عن مبهمين من شيوخه بروايته أكثر من 3700 رواية بقوله حدثني، عدة من أصحابنا، وعن بعض أصحابنا، وأكثر من 1000 رواية في سندها عن رجل، فضلا عن مئات الأحاديث التي رواها عن مبهمين أو في سندها مبهم بروايته عن مسافر أو عن بعض الكوفيين أو عن سمع أو من رواه أو عن رجل من أهل الجبل، وغيرها من الأسماء المبهمة التي لا تدل على رجل معين معروف⁴.

¹ الكليّني: الكافي: (301/1)، (476/3).

² الطوسي: تهذيب الأحكام، (2/1).

³ الكاشاني: الوافي، (16/1).

⁴ انظر: الكليّني: الكافي، وقد تحققت من ذلك بواسطة موسوعة البحث المكتبة الشاملة الشيعية.

ولم ينص الكُتَيْبِيُّ على تسمية العدة من أصحابه الذي روى عنهم وبقي الأمر مبهماً إلا ما كان من توضيح النجاشي في كتابه حيث قال ناسباً القول للكليبي: وقال أبو جعفر الكُتَيْبِيُّ: كل ما كان في كتابي عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى¹ وسمى رجالاً².

ولم يذكر النجاشي سنداً لقوله هذا، ولم يشر إليه في أي كتاب سابق، فكان بمثابة النجدة لكتاب الشيعة في تصحيح آلاف الأحاديث المبهمة، واعتمده في كتبهم وأثبتوه في مقدمة كتاب الكافي.

ثم إن عبارة "عدة من أصحابنا" لم تكن في كل الروايات في مطلع السند وكانت أحياناً في وسطه أو آخره، فكيف يكون هؤلاء الأربعة الذين هم في نفس الطبقة قد نُسب إليهم أحاديث رواها من مختلف الطبقات³.

فضلاً عن عجز الشيعة عن توضيح كل مبهم من الأسانيد لأن الروايات التي فيها مبهمون من الرجال كثيرة جداً في كتاب الكافي وبصيغ مختلفة وفي جميع حلقات السند ولم يقتصر الإبهام على شيوخ الكُتَيْبِيِّ.

ثانياً: لم تكن نهاية السند أفضل من بدايته، إذ تنتهي أسانيد الكافي في الغالب إلى الإمام جعفر الصادق، فهي موقوفة عليه، ولم ترفع إلى النبي ﷺ إلا نادراً، ففي كتاب الكافي هنالك 92 رواية مرفوعة للنبي ﷺ من بين أكثر من 16000 رواية كما في كتاب الكافي المطبوع الذي بين أيدينا، وقد بلغت أحاديث النبي ﷺ في الكتب الأربعة 644 حديثاً من أصل 44000 حديث، أما فاطمة رضي الله عنها فلا يوجد لها رواية في جميع الكتب الأربعة بتاتاً، أما كتب أهل السنة (الصحيحين والسنن الأربعة ومسند الإمام أحمد)، فيوجد لديها 11 رواية، وعند أحمد بن حنبل 7 روايات، أما

¹ أحمد بن محمد بن عيسى، أبو جعفر السُّكُونِيُّ البَغْدَادِيُّ، عَن: أَبِي بَكْرٍ بِنِ عِيَّاشٍ، وَأَبِي يَوْسُفِ الْقَاضِي، رَوَى عَنْهُ: مُحَمَّدُ بِنِ مَخْلَدٍ، وَغَيْرِهِ، قَالَ الذَّهَبِيُّ وَهُوَ مِنَ الضَّعْفَاءِ، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: قَالَ الدَّارِقُطَنِيُّ: بَغْدَادِيٌّ مَتْرُوكٌ، انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، (5/1071)، (6/35).

² وهم: محمد بن يحيى، وعلي بن موسى الكميذاني، وداود بن كورة، وأحمد بن إدريس، وعلي بن إبراهيم بن هاشم، انظر: النجاشي: رجال النجاشي: ص 377.

³ وهذا كثير جداً في الكافي ومثال ذلك (31،11،9/1).

علي بن أبي طالب ﷺ فرواياته في الكتب الأربعة الشيعية فتبلغ 690 رواية فقط، أما عند أهل السنة بالمصادر التي ذكرناها سابقاً فعددها 1583، وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل لوحده يوجد 818 رواية، أي أنه يغطي لوحده على مجموع ما تزويه أربع كتب شيعية معتبرة مجتمعة، ثم يتهم الشيعة أهل السنة بتحريف حديث رسول الله ﷺ¹.

أما روايات جعفر الصادق في كتاب الكافي 9219 حديثاً، فكتاب الكافي لنا أن نسميه آثار جعفر الصادق، وليس بكتاب لحديث رسول الله ﷺ، لأن جعفر الصادق توفي سنة 148هـ، وليس له رواية مباشرة عن الصحابة رضوان الله عليهم فضلاً أن يكون له رواية عن النبي ﷺ، إذ أن جعفر الصادق من الطبقة السادسة الذين لم يثبت لهم لقاء مع الصحابة رضوان الله عليهم، وبذلك نعلم بوجود سقط في هذه الأسانيد راويان فأكثر، فلو صحت أحاديث الكافي إلى جعفر الصادق، لضعفت للانقطاع بين جعفر الصادق والنبي ﷺ، أو وقفناها على جعفر الصادق، وبذلك لم تكن حديثاً وإنما آثار لعالم من علماء الإسلام الذين عاشوا في القرن الثاني².

وجعفر الصادق على جلاله قدره وعظيم مكانته يبقى عالماً جليلاً كغيره من علماء السنة يصيب ويخطئ، قوله معتبر في مسائل وربما يُهمل في مسائل أخرى، لأن الدليل مع غيره، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة.

ولمّا كان جعفر الصادق من آل البيت عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، ومن علماء السنة كان قوله متفقاً مع أقوالهم، ولكنه افتراء الشيعة وتقولهم عليه ما لم يقل، وعند الله تجتمع الخصوم، وليس ذلك مستغرباً عنهم، فقد كذبوا على من هو أفضل منه، جده رسول الله ﷺ، أحاديث كثيرة لم يثبتهم عن ذلك، قول النبي ﷺ في الحديث المتواتر "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَبْتِئُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"³.

¹ انظر: حاشية محمد أحمد العباد على كتاب، رضا: رسائل السنة والشيعة، (2/ 139).

² انظر: ابن حجر: تقريب التهذيب: ص 141، وحاشية محمد أحمد العباد على كتاب، رضا: رسائل السنة والشيعة لرشيد رضا، (2/ 139).

³ سبق تخريجه: ص 15.

وقد اعترف الشيعة بكثرة الكذب على جعفر الصادق، من أجل التكسب وجمع المال، ذكر الطوسي في كتابه أن جعفر بن محمد رجل صالح مسلم ورع اكتتفه قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون من عنده، ويقولون حدثنا جعفر بن محمد، ويحدثون بأحاديث كلها منكرات كذب موضوعة على جعفر، يستأكلون الناس بذلك، ويأخذون منهم الدراهم، فكانوا يأتون من ذلك بكل منكر، فسمعت العوام بذلك منهم، فمنهم من هلك ومنهم من أنكر¹.

وقال ابن أبي الحديد: "واعلم أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلقة في صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم"².

3. جهالة وضعف رجال الكافي بشهادة نقاد الشيعة أنفسهم:

لم يكن الرجال الذين سماهم الكليني في كتابه أفضل حالاً من المبهمين الذين لم يسمهم، بل إن كثيراً من الأسماء التي ذكرها الكليني -أو من دس أحاديث فيه- ليس لها ذكر في كتب الرجال عند أهل السنة وهي مجهولة بحكم نقاد الشيعة أنفسهم، وكثير ممن له ذكر، قد عُرف عنه الكذب أو الوضع أو انتحال المذاهب الفاسدة.

قال الطوسي: "فإذا ذكرت كل واحد من المصنفين وأصحاب الأصول فلا بد من أن أشير إلى ما قيل فيه من التعديل والتجريح، وهل يُعول على روايته أو لا، وأبين عن اعتقاده، وهل هو موافق للحق أو هو مخالف له، لأن كثيراً من مصنفينا وأصحابنا وأصولنا ينتحلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة"³.

وقال العاملي: "يأتي في رواية الثقات، الأجلء كأصحاب الإجماع ونحوهم، عن الضعفاء والكذابين، والمجاهيل، حيث يعلمون حالهم ويروون عنهم ويعملون بحديثهم ويشهدون بصحته"⁴.

¹ الطوسي: اختيار معرفة الرجال، (616/2).

² ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد (656هـ): شرح نهج البلاغة، (49-48/11)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، 1971م.

³ الطوسي: الفهرست، ص32.

⁴ العاملي: وسائل الشيعة، (206/30).

وعلى الرغم من إقرار العاملى برواية الثقات الأجلاء كأصحاب الإجماع وغيره عن الضعفاء والكذابين والمجاهيل، إلا أنه يلتزم الحكم بصحة أحاديث الكتب الأربعة بما فيها الكافي، ويجعل عدد الروايات واشتهارها كفيل بتصحيح رواية المجاهيل والضعفاء والكذابين، ويحذر أشد التحذير من إعمال قواعد المحدثين التي نادى بها متأخرو الشيعة لأنه لا يسلم لهم حديث وقتئذ.

قال العاملى: "وأصحاب الاصطلاح¹ الجديد قد اشتراطوا - في الراوي - العدالة فيلزم من ذلك ضعف جميع أحاديثنا لعدم العلم بعدالة أحد منهم إلا نادراً"².

4. عدد الأحاديث الصحيحة في الكافي:

أثنى أهل السنة على كتاب البخاري وتلقته الأمة بالقبول جيلاً بعد جيل وشهدوا على صحة رواياته³، وكذلك أثنى جماهير علماء الشيعة على كتاب الكافي وفضلوه على صحيح البخاري بل على كل كتب الإسلام قاطبة كما تقدم، ولكن لنا أن نسأل هل اتفق الشيعة أنفسهم على صحة كل ما في الكافي.

انقسم الشيعة في حكمهم على الحديث إلى طائفتين: إخبارية وأصولية كما بينت، إذ قال الاخباريون بصحة كل ما ورد في الكتب الأربعة بما فيها الكافي، أما الأصولية منهم فأعملوا بعض قواعد أهل السنة والجماعة على كتبهم، وألّفوا في علم المصطلح على نحو يشبه ما في كتب أهل السنة، ثم حاولوا أن يحكموا على الكتب الأربعة، وصنفوا أحاديثها إلى عدة مراتب، الصحيح والموثوق والقوي والضعيف والمردود كما بينت سابقاً.

وقد ذكر مرتضى العسكري وحسن الصدر أن مجموع الأحاديث الضعيفة في كتاب الكافي 9485 حديثاً من أصل 16121 حديثاً⁴، يعني أن أكثر من نصف أحاديث كتاب الكافي ضعيفة لا تصح عند الأصوليين من نقاد الشيعة.

¹ يقصد الشيعة الأصولية.

² العاملى: وسائل الشيعة، (260/30).

³ باستثناء بعض الجمل في بعض الروايات فلم يتفق على تلقاها بالقبول وجرى فيها كلام بين العلماء.

⁴ انظر: العسكري: معالم المدرستين، (282/3)، والصدر: نهاية الدراية، ص546.

وقد ألف محمد باقر البهبودي كتابه جمع فيه الأحاديث الصحيحة من كتاب الكافي، وسماه "صحيح الكافي"، وقد بلغت الأحاديث الصحيحة التي اعتمدها في كتابه 4428 حديثاً، وترك بذلك 11693 حديثاً، وبحسب البهبودي نعلم أن الأحاديث الصحيحة في كتاب الكافي هي ثلث الكتاب فقط¹.

قال مرتضى العسكري بعد أن ذكر هذه الإحصائية: "وما ذكرناه يدلك على أن مدرسة أهل البيت لا تعتبر أي كتاب حديث لديها صحيحاً، سواء الكافي منها وما دونها شهرة، وبعدها زماناً، وانها تؤمن بأن كتاب الله القرآن وحده صحيح من الجدل إلى الجدل ولا شريك له في الصحة"².

وبلا شك هذا التقسيم الذي قال به الأصوليون من الشيعة لم يُرض المدرسة الإخبارية، وتمسكوا بصحة كل ما في الكتب الأربعة، وأختم هذه المسألة بمناقشة العملي للقائلين بتصنيف السنة، ليصل إما إلى بطلان كلامهم، أو فناء مدرسة الشيعة.

قال العملي: "إن قواعد المتأخرين تستلزم ضعف أكثر الأحاديث، التي قد عُلم نقلها من الأصول المجمع عليها، لأجل ضعف بعض رواتها، أو جهالتهم أو عدم توثيقهم، فيكون تدوينها عبثاً، بل محرماً، وشهادتهم بصحتها زوراً وكذباً، ويلزم بطلان الإجماع، الذي عُلم دخول المعصوم فيه.

بل يستلزم ضعف الأحاديث كلها عند التحقيق لأن الصحيح عندهم³: ما رواه العدل الإمامي، الضابط في جميع الطبقات، ولم ينصوا على عدالة أحد من الرواة، إلا نادراً، وإنما نصوا على التوثيق، وهو لا يستلزم العدالة قطعاً بل بينهما عموم من وجه، كما صرح به الشهيد الثاني وغيره، ودعوى بعض المتأخرين: أن الثقة بمعنى: العدل، الضابط، ممنوعة، وهو مطالب بدليلها، وكيف؟ وهم مصرحون بخلافها حيث يوثقون من يعتقدون فسقه، وكفره وفساد مذهبه!؟

¹ البهبودي، محمد باقر، صحيح الكافي، (408/3)، الدار الإسلامية، ط1، 1401هـ.

² العسكري: معالم المدرستين، (283-282/3)

³ الشيعة الأصولية.

وإنما المراد بالثقة: من يوثق بخبره ويؤمن منه الكذب عادة، والتتبع شاهد به وقد صرح بذلك جماعة من المتقدمين والمتأخرين.

ومن معلوم، الذي لا ريب فيه عند منصف: أن الثقة تجامع الفسق بل الكفر، وأصحاب الاصطلاح الجديد قد اشتروا في الراوي العدالة، فيلزم من ذلك ضعف جميع أحاديثنا لعدم العلم بعدالة أحد منهم إلا نادراً¹.

ولذلك جرى نقاش كبير وحاد بين كتّاب الشيعة، وقد رد متأخرو الشيعة على قول العاملي وناقشوه من وجوه كثيرة، وقد بيّن البابلي أهم الاعتراضات على كلام العاملي: أنه لو قلنا بصحة كل ما في الكتب الأربعة، لقلنا بصحة المتناقض وصحة رواية الكذابين والمبهمين والمجاهيل، وهذا محال، ولقلنا بصحة بعض الخرافات والأساطير التي لا تصدق، وهذا من أقوى الطعون في مذهبنا، وكانت كتب الرجال الكثيرة التي ألفها كتّاب الشيعة عبثية².

5. بين يدي أحاديث الكافي:

الاعتراضات على كتاب الكافي لا تنتهي، وحسب أي باحث منصف أن يستعرض هذا الكتاب، ويرى فيه العجب العجيب من التناقضات والخرافات وانتقاص آل البيت عليهم السلام، والقول بتحريف القرآن واتهام النبي ﷺ بالنقائص والسبّ على أفضل الناس بعد الأنبياء، صحابة رسول الله ﷺ، والقول بردتهم بعد النبي ﷺ واعتدائهم على دين الله وآل بيت رسول الله ﷺ، وهذه الأحاديث كثيرة جداً، حتى أنها غلبت على كتاب الكافي بصورته النهائية التي وصلتنا واعتمدها الشيعة وأقروا بها، ومن تلك الروايات:

• خرافات في الكافي

1. سبب الزلازل كما زعم الكافي عن جعفر الصادق أنه قال: إن الحوت الذي يحمل الأرض أسرّ في نفسه أنه إنما يحمل الأرض بقوته، فأرسل الله تعالى إليه حوتا أصغر من شبر

¹ بتصرف يسير، انظر: العاملي: وسائل الشيعة، (260-259/30).

² انظر: البابلي: رسائل في دراية الحديث، (285-262/2).

وأكبر من فتر، فدخلت في خياشيمه فصعق، فمكث بذلك أربعين يوماً، ثم إن الله عز وجل رؤوف به ورحمه وخرج، فإذا أراد الله عز وجل بأرض زلزلة بعث ذلك الحوت إلى ذلك الحوت، فإذا رآه اضطرب فتزلزلت الأرض¹.

2. ومن تلك الخرافات أيضاً أن الاستلقاء في الحمام يذيب شحم الكليتين، أخرج الكليني في كتاب الكافي، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: ألا لا يستلقين أحدكم في الحمام، فإنه يذيب شحم الكليتين، ولا يدلكن رجليه بالخزف، فإنه يورث الجذام².

كما زعموا أن الشبع يورث البرص³، والاعتسال بإناء من فخار مصر يجعلك ديوتاً⁴، ولزوم الحمام يورث السل⁵، وأكل الجزر يسخن الكليتين ويقيم الذكر⁶، وأكل البطيخ يورث الفالج⁷، والكلام أثناء الجماع يورث الخرس⁸، وغيرها من الخرافات والأساطير التي لا تدخل عقلاً سوياً فضلاً من أن تنسب إلى الأطهار الأخيار من آل النبي عليه السلام.

¹ الكليني: الكافي، (255/8).

² المرجع السابق: (500/6).

³ المرجع السابق: (269/6)

⁴ المرجع السابق: (386/6 و 501)

⁵ المرجع السابق: (497/6)

⁶ المرجع السابق: (372/6)

⁷ المرجع السابق: (361/6)

⁸ المرجع السابق: (498/5)

• اسناد مسلسل بالحمير

زعم الكليني أن علياً ذكر أن حماراً كلم رسول الله ﷺ، فقال: بأبي أنت وأمي إن أبي حدثني، عن أبيه، عن جده، عن أبيه¹، أنه كان مع نوح في السفينة، فقام إليه نوح فمسح على كفه ثم قال: يخرج من صلب هذا الحمار حمار يركبه سيد النبيين وخاتمهم، فالحمد لله الذي جعلني ذلك الحمار².

• القول بتحريف القرآن الكريم

وردت في الكافي روايات كثيرة تدل على تحريف القرآن الكريم، وأن الشيعة عندهم مصحف خاص بهم أكبر وأكثر في سورة وآياته من مصحف أهل السنة:

1. عن جعفر عليه السلام أنه قال: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، والأئمة من بعده عليهم السلام³.

2. عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل عليه السلام إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية⁴.

ويكون بذلك قرآنهم ثلاثة أضعاف القرآن الذي بين أيدينا، فأين ذهبت هذه الآيات الكثيرة، وأين كلامهم هذا من قول الله: ﴿مَنْ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ {الحجر:9}.

3. ومن الروايات العجيبة الغريبة التي تدل على انحراف الشيعة وغلوهم، رواية طويلة عن جعفر الصادق، يجيب فيها على أسئلة السائل ويعلمه، بقوله عن النبي ﷺ أنه اعطى علي بن أبي طالب ﷺ، ألف باب من العلم مع كل باب يفتح له ألف باب، واعطاه صحيفة فيها

¹ الرواية خرافة واهية لا تحتاج إلى دليل على بطلانها، والرد أيضاً على من زعم أن ذلك من معجزات النبي ﷺ بحديثه مع بعض الحيوانات، أن حسب الرواية بين النبي ونوح عليه السلام ثلاثة أجيال، ومعلوم ان الفترة أكبر من هذا بكثير.

² الكليني: الكافي، (237/1).

³ المرجع السابق: (228/1).

⁴ المرجع السابق: (634/2).

كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه وأعطاه وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، وأن الله أعطاهم مصحف فاطمة فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد وأن عندهم علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، وما يحدث بالليل والنهار، الأمر من بعد الأمر، والشيء بعد الشيء، إلى يوم القيامة¹.

• الغلو في آل البيت عليهم السلام:

وأحاديث الشيعة التي فيها غلو بآل البيت رضي الله عنهم كثيرة جدا نذكر منها:

1. أخرج الكليني عن **عمن رواه²** قال: الدنيا وما فيها لله تبارك وتعالى ولرسوله ولنا، فمن غلب على شيء منها فليثق بالله، وليؤد حق الله تبارك وتعالى وليبر إخوانه، فإن لم يفعل ذلك فالله ورسوله ونحن برآء منه.

2. عن علي بن ابي طالب عليه السلام أنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجهاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله حبيبي جبرئيل لم أرك في مثل هذه الصورة، قال الملك: لست بجبرئيل يا محمد، بعثني الله عز وجل أن أزوج النور من النور، قال: من ممن؟ قال: فاطمة من علي، قال: فلما ولي الملك إذا بين كتفيه محمد رسول الله، علي وصيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: منذ كم كتب هذا بين كتفيك؟ فقال: من قبل أن يخلق الله آدم باثنين وعشرين ألف عام³.

قال ابن تيمية: فتبين أن الرافضة من أعظم الناس قدحاً وطعناً في أهل البيت، وأنهم هم الذين عادوا أهل البيت في نفس الأمر، ونسبواهم إلى أعظم المنكرات التي من فعلها كان من الكفار⁴.

¹ الكليني: الكافي، (240-239/1)

² هذه من الأحاديث التي ينتهي سندها إلى مبهم، وفيها إبهام مزدوج فالرجل مبهم، وتحمل عن مبهم.

³ الكليني: الكافي، (460/1)

⁴ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (408 /7)

• ادعاء علم الغيب

وهذا الأمر مشتهر في الكافي وعليه روايات كثيرة منها، وقد بَوَّبَ الكليني باباً في كتابه "باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء صلوات الله عليهم، جاء فيه:

1. قال جعفر الصادق لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنني أعلم منهما، ولأنبأتها ما ليس في أيديهما لأن موسى والخضر أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى قيام الساعة وقد ورثناه عن الرسول وراثته¹.

2. وقال أيضاً إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون، قال: ثم مكث هنيئاً فرأى أن ذلك كُبر على من سمعه منه فقال: علمت ذلك من كتاب الله عز وجل، إن الله عز وجل يقول فيه تبيان كل شيء².

هذا غيظ من فيض والكافي كما تقدم مليء بالخرافات والمنكرات، حتى إن الباحث ليحار أي النصوص والروايات يعرضها حتى يبيِّن الانحراف والضلال الذي فيه، لكثرتها وشيوعها، فالنبي وآل بيته وأولو العزم يدخلون النار³، والصحابة رضوان الله عليهم كفار إلا القليل⁴ وأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه هو الشيطان، وبنته عائشة مخاصمة لأهل البيت كارهة لهم⁵، وغيرها من النصوص الكثيرة جداً.

هذا هو ميدان أهل الأهواء من أصحاب الفرق السياسية، وعلى رأسهم الشيعة يضعفون الأحاديث الصحيحة ذات الإسناد المعروف برجاله الثقات، ثم يستدلون بأحاديث أشبه ما تكون بالأحلام والأوهام، فأنا لهم بأسانيد صحيحة ومتون موثوقة، وهم لا يخرجون أحاديثهم إلا من طريق آل البيت أو من ولاهم، وزعموا ردة جماهير الصحابة إلا القليل، فكيف تلقى الشيعة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم لم يعاصروه ولم يوثقوا من عاصره بل كذبوهم وضعفوهم.

¹ الكليني: الكافي، (261/1).

² المرجع السابق: (261/1).

³ المرجع السابق: (11/2).

⁴ المرجع السابق: (244/2).

⁵ المرجع السابق: (300/1).

وهذا يعني إما أنهم تلقوا الحديث عن الصحابة رضوان الله عليهم، الذين كذبوهم وضعفوه، -وهم ينكرون ذلك ويتبرؤون منه-، أو أنهم ألّفوا أحاديث من عند أنفسهم، ولمّا كانت جُلّ أحاديثهم تخالف ما عند أهل السنة، عُلِمَ أن أحاديثهم مختلقة مكذوبة فهم أشهر الناس بالكذب، والتلفيق والوضع واستحلال الرواية عن هذه صفته وتوثيقها والعمل بها.

فأين الثرى من الثريا؟ وأين السحاب من التراب؟ أين المنهج العلمي الدقيق بأصوله وفروعه وتكامله وتناسقه، من الأوهام والأحلام والكذب والتلفيق والافتراء؟ أين الصدق والأمانة والثقة، من الكذب والجهل والخيانة؟

فشتان شتان، والأمة شاهدة وحكمة الله نافذة، ومن أراد الهدى فهو واضح أبلج، ومن أراد الغي والعمى لن ينفعه علم ولا برهان، ولن يرى القمر ليلة البدر ويحسب السماء به مظلمة، ولكنه هدى الله يهدي به من يشاء، وفتنة الله يضل بها من يشاء.

فرحم الله أئمتنا الأعلام من حفظ الله بهم الدين، وأظهره على أيديهم، وعامل الله كلّ مبتدع مفتر على الله ورسوله بما يستحق، وعند الله تجتمع الخصوم، ولن يخفى على الله شيء في الأرض والسماء.

وكتبه راجياً عفو ربه عبد الستار يوسف أحمد ريان

وانتهى منه يوم الخميس الثاني من شعبان لعام 1439هـ

الموافق: 2018/4/19م.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات

النتائج والتوصيات:

وبعد أن استوفيت هذه الدراسة بفصولها الستة خلصت إلى نتائج، ومن أهم هذه النتائج:

1. ظهرت الفرق السياسية في وقت مبكر من تاريخ الدولة الإسلامية، وبالتحديد بعد أن رضي الصحابة رضي الله عنهم بالتحكيم من أجل إنهاء الخلاف، وكانت أول الفرق السياسية ظهوراً الخوارج ثم الشيعة ثم النواصب.

2. لم يُكتب لفرق الخوارج ولكتبهم البقاء فذهبت واندثرت، إلا ما كان من فرقة الإباضية، وكتابهم مسند الربيع، الذي اعتبروه أصح كتب الإسلام بعد القرآن الكريم.

3. اختلفت الأقوال في وضع الخوارج للحديث، والذي ترجح لدي أن الخوارج كانوا على اتجاهين هما:

أ. الرواة المشتغلون برواية الحديث، فتحملوا الحديث عن علماء السنة ورووه لهم، ولم تبلغ بهم البدعة لينحسروا عن مجموع الأمة، بل اشتغلوا في علم الحديث، ولمّا كانوا يحملون عقيدة تكفير مرتكب الكبيرة، كانوا أبعد الناس عن الكذب، ولم يُعهد عليهم وضع للحديث، لذلك أخرج لهم المحدثون بعض الأحاديث.

ب. غلاة الخوارج الذين انعزلوا عن مجموع الأمة فكفروها، ولم يجيزوا لأنفسهم الرواية عن أهل الكفر، وكفروا جموع الصحابة فكيف يروون السنة عن يكفرونهم؟ ومثل هؤلاء لن تجد لهم رواية في كتب أهل السنة، وهم الطائفة الأكبر من الخوارج، ولذلك كانت رواية أهل السنة عن الخوارج قليلة جداً.

4. تعددت فرق الشيعة واختلفت، وأكثر هذه الفرق شيوعاً وانتشاراً عبر الأجيال: فرقة الشيعة الإمامية، إذ تميزوا بأفكارهم وعقيدتهم، ولهم كتبهم القديمة والحديثة الخاصة بهم في جميع الأبواب والمجالات، على نحو يشبه كتب أهل السنة في تبويبها وتخصصها.

5. لم يكتب الشيعة في علوم الحديث ودراسة الأسانيد وتصنيفها إلا في فترة متأخرة، وذلك بعد مناظرة الإمام ابن تيمية لابن مطهر الحلبي، وبيانه له أن جل أخبارهم قائمة برواية المجاهيل الذين لا يُعرف صدقهم من كذبهم.

6. انقسم الشيعة الإمامية في نظرتهم للسنة النبوية إلى مدرستين:

أ. المدرسة الإخبارية وهم: فرقة من الشيعة الإمامية، يمنعون الاجتهاد، ويعملون بالأخبار الواردة في الكتب الأربعة عندهم، ويرون أن الأخبار الواردة في الكتب الأربعة قطعية الصدور عن الأئمة، ولا يوجد خبر واحد ضعيف فيها.

ب. أما الأصوليون: فهم القائلون بالاجتهاد، وأن مصادر الدين عندهم القرآن والسنة والإجماع والعقل، وأن الأخبار الواردة في الكتب الأربعة فيها الصحيح والضعيف.

7. اتفقت نظرة المدرسة الإخبارية مع نظرة متقدمي الشيعة الإمامية أصحاب الكتب الأربعة وغيرهم، بالقطع بصحة كل ما في الكتب الأربعة، دون النظر والتمحيص فيها، ولا يخفى على أي باحث فساد هذا المنهج إذ إن بعض أخبار الكتب الأربعة متعارضة، ونقلت تلك الأخبار من الضعفاء والمجاهيل وأصحاب المذاهب الفاسدة، وهذا يقتضي ضعف أغلب تلك الأخبار ولا بد.

8. حاولت المدرسة الأصولية تقليد مدرسة أهل السنة والجماعة، فكتبت في علوم الأحاديث، ودرست الرجال والأسانيد، وقسمت الأخبار إلى الصحيح والقوي والموثوق والضعيف، ومع ذلك لا يستقيم عملهم في ميزان النقد العلمي وذلك للأسباب الآتية:

أ. أن الشيعة الأصولية كافة يكفرون الصحابة رضوان الله عليهم، وهم حلقة الوصل بين النبي ﷺ والأجيال من بعده، والروايات عن الصحابة رضوان الله عليهم ممن وثقوهم من آل البيت أو ممن والاهم قليلة جداً بل نادرة في كتبهم، وجل رواياتهم منقولة بأسانيد منقطعة عن الإمام جعفر الصادق وغيره من أئمتهم.

ب. عقيدة التقية والتي أقرها علماء المدرسة الأصولية، دخلت في حياة الشيعة العلمية، فأخفوا أحاديث تقية، وجرحوا رواة تقية، وكذبوا على بعضهم تقية.

ج. شهادتهم بوجود الفسقة والكذابين والمجاهيل في أسانيد رواياتهم، ولا يملك الشيعة الأصولية أن يُغيروا من واقع الرواة شيئاً.

د. شهادة بعض معاصريهم أن روايات الشيعة لا تقبل النقد، لأنها إذا أُعمل عليها هذا النقد سوف تنتهي ولا يبقى من المذهب الشيعي شيء.

9. ظهر النواصب في خلافة بني أمية، ولم يشكل النواصب اتجاهاً واضح المعالم، ولم يتفقوا على أصول معينة، مثل الخوارج والشيعة، وإنما هو اتجاه ظهر في مرحلة معينة رداً على غلو الشيعة من جهة، وطمعاً في رضى السلطان من جهة أخرى، ولم يُكتب القبول والاستمرار لهذا الاتجاه.

10. بالرغم من تفشي النصب في الدولة الأموية إلا أنها كانت في مجملها دولة إسلامية حافظة للإسلام وأهله، وقد انتشر الإسلام في الدولة الأموية انتشاراً واسعاً، ودخل الأقطار والأمصار، ومن مناقب الخلافة الأموية أن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز أحد خلفائها، هو الذي أمر بتدوين السنة النبوية بشكل رسمي، وانتصر لآل البيت وحظر سبهم على المنابر، واستبدل ذلك بالصلاة والسلام على النبي العدنان وآل بيته الكرام والترضي على الخلفاء العظام.

11. كان من أوضح أسباب وضع الحديث، المبالغة في الفضائل وذم الخصوم وتأصيل الأفكار والمعتقدات، وقد اشتركت الفرق السياسية في وضع الحديث باستثناء الخوارج، وكانت الشيعة من أكثر الفرق على الإطلاق وضعاً للحديث بشهادة بعض كتاب الشيعة فضلاً عن شهادة غيرهم.

12. اختلف النقاد حول سماح النبي ﷺ بكتابة الحديث في عهده نظراً لاختلاف الأدلة، والذي ترجح لديّ أن النبي ﷺ سمح بالكتابة لقوة أدلة الإذن بالكتابة وصراحتها، وما نُقل إلينا من

صحف حديثة، كُتبت في حياة النبي ﷺ، وهذا ما استقر عليه رأي جمع من العلماء المحققين مثل: الخطيب البغدادي والعراقي وابن حجر وغيرهم.

13. جاءت الدولة العباسية بدعوتها الانتصار لآل البيت ورفع الظلم عنهم، إلا أنها ظلمت آل البيت، وأعملت فيهم القتل لما حاولوا التغيير ومعارضة الدولة العباسية، وكان بعض الخلفاء العباسيين أشد عليهم من خلافة بني أمية، ولكنهم لم يسبوا علياً ولا آل بيته ولم يجحدوا فضلهم.

14. لم تكن علاقة العلماء بالدولة جيدة بل على العكس من ذلك، فقد نُقل عن بعضهم كراهة الدخول على السلاطين، وأمُتحن جمع من العلماء من قبل السلطان لمخالفته، ولم يُثنهم ذلك عن القول بما يعتقدون من معتقدات، سواء فيما يخص فضائل آل البيت أو في قضايا أخرى، وكان هنالك محن عظيمة سطرها التاريخ مثل محنة الإمام أحمد في خلق القرآن أو محنة النسائي لذكره مناقب الإمام عليّ ﷺ في جزء خاص، وغيرهما من المحن.

15. تأثر بعض الرواة من النواصب وجهلة أهل السنة بالسلطان فوضعوا الأحاديث انتصاراً لهم وذماً لخصومهم، ولكن من فضل الله أن علماء الحديث كانوا لهم بالمرصاد فكشفوا أمرهم وردوا روايتهم.

16. زعم بعض الكتّاب من الشيعة وغيرهم، أن أكثر الحديث ضاع وتفرق لأن النصوص عن أئمة الحديث تضمن أنهم قد انتخبوا كتبهم من مئات الألوف من الأحاديث، وأثبتوا في كتبهم بضعة آلاف منها فقط، وقد بيّنت أن العلماء قصدوا بذلك طرق الحديث التي سموها حديثاً تجوّزاً، وبعض المتون لها أكثر من سبعمئة طريق.

17. كان لعلماء الحديث من أهل السنة والجماعة سبق اختراع علم الإسناد الذي حفظ الله به الدين، وتميزوا بمنهجهم الدقيق والرصين في التعامل مع أقدس النصوص بعد كلام الله عز وجل، فدرسوا حال ناقليها وحكموا عليهم، وقارنوا المتون بغيرها من الأصول والمتون الأخرى، فدرسوا أحاديث الثقات خشية الغلط غير المتعمد، وكتبوا أصول وقواعد هذا العلم

في كتب خاصة أطلقوا عليها علوم الحديث، والتي اشترك في تحديد معالمها علماء الحديث في مختلف الأجيال بما تتطلبه المرحلة ويقتضيه الحال.

18. تعامل أهل السنة مع المخالفين من المبتدعة وأصحاب المناهج الفاسدة بعدل وانصاف، فقبلوا أحاديث الصادقين منهم بعد سيرها ومقارنتها بأحاديث الثقات وأصول الدين، وردوا أحاديث الغلاة منهم ممن عُرف عنهم استحلال الكذب، ومن دقتهم وانصافهم كذلك أنهم رووا بعض الأحاديث التي استخدمها خصومهم ضدهم ولم يخفوها.

19. شكك الشيعة بصحيح البخاري وأثاروا حوله مجموعة من الشبهات بزعمهم أن البخاري قد عادى آل البيت ولم يرتض الرواية عنهم، ولكن الأبواب الحديثية التي ذكرت مناقب عليّ بن أبي طالب ﷺ وزوجته فاطمة وأبناءه الحسن والحسين، تبين كذب هذه المزاعم وتدحضها.

توصيات الدارسة:

أوصي بعد دراستي المتواضعة الباحثين بما يلي:

1. الكتابة في الأحاديث التي رواها أهل السنة، وانتقدها خصومهم عليهم مع توجيهها الوجه الصحيح.

2. الكتابة في أثر المواقف الفكرية على الرواية الحديثية، ودراسة منهج الفرق الفكرية على الرواية الحديثية، مثل المعتزلة والجهمية والتدريية وغيرهم، فكما كان للدافع السياسي أثر على الرواية، فللمعتقد أثر كذلك.

3. الكتابة في نقض ودحض أهم شبهات المذاهب الفكرية المعاصرة حول الرواية الحديثية، فقد ظهرت مؤخراً اتجاهات تزعم ضعف أصح الكتب الحديثية، وتوجب دراسة متونها دون الأسانيد، بناء على القواعد العلمية، والمزاعم العقلية بعيداً عن قول علماء الحديث وقواعدهم المقررة.

الفهارس العامة

وتشتمل على خمسة فهارس:

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
1	المائدة	﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾	71	88
2	المائدة	﴿إِن تَعِدَّ لَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾	118	155
3	القصص	﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾	85	52
4	البقرة	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾	159	110
5	البقرة	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ﴾	160	110
6	النحل	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾	90	143
7	الحجر	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	9	135
8	الأحزاب	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾	23	144
9	البقرة	﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾	93	180
10	النساء	﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	165	1
11	البقرة	﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾	285	180
12	البقرة	﴿فَإِن آءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا آءَامَنَتْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾	137	137، 124
13	الحج	﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾	46	139
14	آل عمران	﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾	61	120
15	البقرة	﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾	79	215، 134
16	البقرة	﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	286	181
17	الفتح	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	18	123
18	آل عمران	﴿هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾	31	165
19	الجمعة	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾	2	17
20	البقرة	﴿وَأَتَّفَعُوا يَوْمَ مَا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾	281	152
21	التغابن	﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ﴾	12	14

113	100	﴿وَالسَّافِرُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾	التوبة	22
125	9	﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا﴾	الحجرات	23
126	109	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾	البقرة	24
17	71	﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَّمْتُمَا﴾	آل عمران	25
165	7	﴿وَمَا آءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَاخْذُوهُ﴾	الحشر	26
14	4-3	﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾	النجم	27
84	6	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيءٍ فَتَبَيَّنُوا﴾	الحجرات	28
191	8	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾	المائدة	29
115	26	﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾	ص	30

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
1	أحدتكَ عن النبي ﷺ وتقول: قال فلان وفلان: كذا وكذا، لا أكلمك أبدا	168
2	ادعني لي أبا بكرٍ أباك وأخاك	122
3	إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً	15
4	إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخرج من السماء	167
5	إذا لقيتموهم فاصبروا	20
6	إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، علم ينتفع به	198
7	استأذنا النبي ﷺ في الكتابة فلم يأذن لنا	127
8	أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر	206
9	أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر	116
10	اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق	18
11	اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق	128
12	اكتبوا لأبي شاه	128
13	أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون	120
14	أن أبا سفيان سأل النبي ﷺ	141
15	إن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم صفق بالأسواق	15
16	إن الله لم يبعثني معنناً	14
17	أن النبي ﷺ قضى باليمين مع الشاهد	19
18	أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته	41
19	أن امرأة أتت النبي ﷺ، "فكلمته في شيء"	121
20	أن امرأة سألت عائشة فقالت: أتقضي إحدانا الصلاة أيام حيضها	47
21	إن أهون الخلق على الله	152
22	إن لكم على فرئس حقاً	152
23	أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر	21
24	إننا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب	17
25	أنت مني بمنزلة هارون من موسى	100
26	إنما الأعمال بالنيات	159

15	إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا، لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لِأَحْصَاهُ	27
167	أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: لَا تَخْذِفْ	28
149	إِيَّاكُمْ وَأَبْوَابَ السُّلْطَانِ	29
46	الْأَيْمَةَ مِنْ فُرَيْشٍ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا	30
13	بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ	31
15	بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً	32
107	بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ	33
123	بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمَرَةٌ	34
166	تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا	35
189	تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ	36
121	دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ	37
181	صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي	38
10	عَرَفَةٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ	39
137	عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ	40
11	كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَسُوسُهُمْ أَنْبِيَآؤُهُمْ	41
167	كَانَتْ امْرَأَةٌ لِعَمْرٍ تَشْهَدُ صَلَاةَ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ	42
127	كَنَّا قَعُودًا نَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَخَرَجَ عَلَيْنَا	43
16	كُنَّا نَكُونُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ	44
16	كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ	45
125	لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا	46
127	لَا تَكْتُبُوا عَنِّي	47
167	لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمْ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنْتُكُمْ إِلَيْهَا	48
125	لَا يَزِينِي الزَّانِي حِينَ يَزِينِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ	49
181	لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أُدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ	50
21	لَمَّا صَلَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ	51
142	اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهِدًا بِهِ	52
123	لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي	53
128	مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ	54
18	مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي	55

189	مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً	56
153	من سئل عن علم فكتمه	57
148	مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا	58
14	نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا	59
50، 19	هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِمَّا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ؟	60
20	وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ	61
125	والتوبة معروضة بعد	62
118	وَضِعَ عُمَرُ عَلَى سَرِيرِهِ فَتَكَفَّفَهُ النَّاسُ	63
108	وَيَحُ عَمَّارٍ تَفْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ	64
32	وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ	65
29	وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ	66
110	يقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث	67
165	يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لِأَحْصَاهُ	68

فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العلم	الرقم
59	أبان بن أبي عياش	1
187	أبان بن تغلب الربعي	2
53	أبان بن عثمان بن عفان الأموي	3
152	إبراهيم بن ميسرة الطائفي	4
147	إبراهيم بن الهروي	5
211	أحمد بن إبراهيم الصميري	6
150	أحمد بن أبي دؤاد	7
197	أحمد بن الحسن بن عمار	8
161	أحمد بن محمد الهمداني	9
218	أحمد بن محمد بن عيسى	10
186	أبو إسحاق الجوزجاني	11
198	إسحاق بن راهويه	12
186	إسحاق بن سويد التميمي	13
30	الأشعث بن قيس بن معدي كرب	14
170	أبو أيوب الأنصاري	15
225	أبو بصير يحيى بن أبي القاسم	16
171	بسر بن عبيد الله الحضرمي	17
149	بشر المريسي	18
186	بشر بن السري البصري	19
23	أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري	20
168	بلال بن عبد الله بن عمر بن الخطاب	21
34	جابر بن زيد	22
10	جرول بن أوس بن مالك العبسي	23
143	أبو جعفر الباقر	24
98	حريز بن عثمان	25
39	أبو حسان الأعرج	26

151	الحسن بن حمّاد	27
57	الحسين بن يوسف بن المطهر	28
186	حصين بن نمير الواسطي	29
117	حكم بن جبير	30
40	حماد بن سلمة	31
153	خالد بن أحمد الذهلي	32
97	ال خليفة الناصر	33
30	ذو النثية	34
29	ذو الخويرة	35
35	الربيع بن حبيب بن عمرو	36
98	ربيعة بن يزيد السلمى	37
74	زرارة بن أعين الشيباني	38
93	زياد بن معاوية بن ضباب	39
20	سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله	40
25	سعيد بن أبي عروبة	41
120	سعيد بن عنبسة الرازي	42
115	سليمان بن يسار الهلالي	43
128	أبو شاه اليماني	44
23	ابن شهاب الزهري	45
152	طاووس بن كيسان	46
154	طلحة بن مصرف	47
51	عاصم بن ضمرة السلولي	48
117	عامر بن شراحيل الشعبي	49
161	عبد الرحمن بن مالك	50
40	أبو عبد الرحمن المقرئ	51
34	عبد الله بن إياض	52
205	عبد الله بن أبي الأسود	53
20	عبد الله بن أبي أوفى	54
119	عبد الله بن أبي مليكة	55

36	عبد الله السالمي	56
170	عبد الله بن أنيس الجهني	57
66	عبد الله بن جبلة الكناني	58
50	عبد الله بن سبأ	59
187	عبد الله بن عبد القدوس	60
169	عبد الله بن محمد بن أبي طالب	61
167	عبد الله بن مغفل المزني	62
97	عبد المغيث بن زهير الحربي	63
187	عبد الملك بن أعين	64
25	عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج	65
120	عبد الوهاب بن الضحاك الحمصي	66
66	عبيد الله بن أبي رافع	67
150	عبيد الله بن عمر القواريري	68
187	عدي بن ثابت الانصاري	69
170	عقبة بن عامر الجهني	70
154	العلاء بن كريب	71
31	عروة بن حدير	72
159	علقمة بن وقاص الليثي	73
100	علي بن محمد بن العباس التوحيدي	74
39	عمران بن حطان السدوسي	75
156	عمر بن سعد	76
205	عياش بن المغيرة	77
95	عيسى بن حامد بن بشر	78
143	فاطمة بنت الحسين	79
124	أبو الفضل عياض	80
20	قتادة بن دعامة السدوسي	81
183	قرة بن حبيب القشيري	82
119	قزعة بن سويد	83
19	قيس بن سعد بن عبادة	84

49	الكميت بن زيد بن خنس الأسدي	85
159	محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي	86
197	محمد بن أبي عتاب الحسن	87
49	محمد بن أحمد بن الأزهري	88
171	محمد بن حاتم بن المظفر	89
74	محمد بن الحسن بن أبي خالد شينولة	90
74	محمد بن الحسن بن أبي خالد الأشعري القمي	91
143	محمد بن علي بن الحسين	92
74	محمد بن علي بن موسى بن جعفر	93
66	محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي	94
175	محمد بن مسلم الرازي	95
150	محمد بن نوح	96
200	محمد بن يوسف الفريزي	97
144	أبو مسلم الخراساني	98
35	مسلم بن أبي كريمة التيمي	99
170	مسلمة بن مخلد الأنصاري	100
61	المفضل بن عمر الجعفي	101
194	المنذر بن جهم الأسلمي	102
161	منصور بن المعتمر السلمى	103
147	مهنا الشامي	104
205	أبو نعيم الملائى	105
25	هشام بن حسان	106
22	همام بن منبه	107
97	الهيثم بن الأسود	108
19	وهب بن عبد الله بن مسلم	109
42	يحيى بن أبي كثير الطائى	110
156	يحيى بن سعيد القطان	111
160	يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري	112
156	يزيد بن معاوية	113

101	يزيد بن هارون	114
35	يوسف بن إبراهيم الوزجاني	115

فهرس الأماكن

الصفحة	اسم المكان	الرقم
29	حروراء	1
31	هيت	2

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد (656هـ): شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، 1971م.
- ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد الأذري الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ): شرح الطحاوية، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1426هـ-2005م.
- ابن الأثير، أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (المتوفى: 630هـ)، أسد الغابة، تحقيق: عليّ محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ-1994م.
- ابن الأثير، أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (المتوفى: 630هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد (المتوفى: 597هـ): تلبيس إبليس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ-2001م.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد (المتوفى: 597هـ): العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق، إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، ط2، 1401هـ.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد (المتوفى: 597هـ): ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد (المتوفى: 597هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ.

- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ): الضعفاء والمتروكون، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ): مناقب الإمام أحمد، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط2، 1409هـ.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (المتوفى: 508هـ)، تلقيح فهوم أهل الأثر، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ط1، 1997م.
- ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن عليّ بن محمد (المتوفى: 597هـ): الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط1، 1386هـ.
- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو (المتوفى: 643هـ): معرفة أنواع علوم الحديث، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر-دار الفكر المعاصر، سوريا-بيروت، 1406هـ-1986م.
- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف (المتوفى: 643هـ): معرفة أنواع علوم الحديث، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1406هـ.
- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي أبو الفلاح (المتوفى: 1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط1، 1406هـ-1986م.
- ابن الغضائري، أحمد بن الحسين الواسطي البغدادي: رجال ابن الغضائري، تحقيق: السيد محمد رضا الجلاي، دار الحديث، ط1، 1422هـ.

- ابن الفراء، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (المتوفى: 458هـ):
الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1421هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): المنار المنيف في الصحيح والضعيف والمقبول، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط1، 1390هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزية (المتوفى: 751هـ): مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1416هـ.
- ابن المبرد، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: 285هـ): الكامل في اللغة والأدب، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1417هـ.
- ابن الملقن، أبو حفص عمر بن عليّ بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ): المقنع في علوم الحديث، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، دار فواز للنشر، السعودية، ط1، 1413هـ.
- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن عليّ بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ): التوضيح لشرح الجامع الصحيح، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط1، 1429هـ.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي (المتوفى: 438هـ): الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1417هـ-1997م.
- ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن عليّ بن المرتضى بن المفضل الحسن بن القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين (المتوفى: 840هـ): العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي

القاسم، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1415هـ.

- ابن بطلال، أبو الحسن عليّ بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ): شرح صحيح البخاري لابن بطلال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ): مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): الاستقامة، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ط1، 1403هـ.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): العقيدة الواسطية، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط2، 1420هـ.

- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ): صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408هـ.

- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ): الثقات، المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط1، 1393هـ.

- ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن عليّ بن محمد بن أحمد العسقلاني (المتوفى: 852هـ):
نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: عصام الصبابطي، عماد السيد، دار الحديث،
القاهرة، ط5، 1418هـ.
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن عليّ بن محمد بن أحمد العسقلاني (المتوفى: 852هـ):
تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط1، 1406هـ، 1986م.
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن عليّ بن محمد بن أحمد العسقلاني (المتوفى: 852هـ):
تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ.
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن عليّ بن محمد بن أحمد العسقلاني (المتوفى: 852هـ):
التلخيص الحبير، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ.
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن عليّ بن محمد بن أحمد العسقلاني (المتوفى: 852هـ):
نزهة السامعين في رواية الصحابة عن التابعين، طارق محمد العمودي، دار الهجرة للنشر
والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1415هـ.
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن عليّ بن محمد بن أحمد العسقلاني (المتوفى: 852هـ):
نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، تحقيق: نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق،
ط3، 1421هـ.
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن عليّ بن محمد بن أحمد العسقلاني (المتوفى: 852هـ):
الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار
الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن عليّ بن محمد بن أحمد العسقلاني، (المتوفى: 852هـ)،
لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للطبوعات
بيروت، لبنان، ط2، 1390هـ-1971م.

- ابن حجر، أحمد بن عليّ العسقلاني الشافعي (المتوفى: 852هـ): فتح الباري، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
- ابن حزم، أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد الظاهري (المتوفى: 456هـ): فصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (المتوفى: 681هـ): وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- ابن دقيق: تقي الدين أبو الفتح محمد بن عليّ بن وهب بن مطيع القشيري، (المتوفى: 702هـ)، الاقتراح في بيان الاصطلاح، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): شرح علل الترمذي، تحقيق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة: الأولى، 1407هـ، 1987م.
- ابن سالم، محمد بن محمد بن عمر بن عليّ ابن سالم (المتوفى: 1360هـ): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424هـ.
- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (المتوفى: 230هـ): الطبقات الكبرى، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ.
- ابن شاکر، محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون بن شاکر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: 764هـ): فوات الوفيات، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1973م.
- ابن شاهين، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداد البغدادي (المتوفى: 385هـ): شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنة، تحقيق: عادل بن محمد، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، ط1، 1415هـ.

- ابن طاووس، عليّ بن موسى بن جعفر، (المتوفى: 664): **فتح الأبواب**، تحقيق: حامد الخفاف، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث بيروت، لبنان، ط1، 1409هـ.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ): **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ): **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ-1994م.
- ابن عدي، أبو أحمد الجرجاني (المتوفى: 365هـ): **الكامل في ضعفاء الرجال**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمد معوض، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ.
- ابن عساكر، أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله (المتوفى: 571هـ): **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ-1995م.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي: **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ): **تأويل مختلف الحديث**، المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراف، ط2، 1419هـ-1999م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): **الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ):
تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2،
1420هـ.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى:
774هـ): البداية والنهاية، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر
والتوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ-1997م.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ):
سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى
البياتي الحلبي.
- ابن مفلح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله (المتوفى: 884هـ): المقصد الارشد، تحقيق: د
عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1، 1410هـ-
1990م.
- ابن مفلح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين
(المتوفى: 884هـ): المبدع في شرح المقنع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،
1418هـ.
- ابن مفلح، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني
ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: 763هـ): الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب.
- ابن منبه، أبو عقبة همام بن منبه بن كامل بن سيج اليماني (المتوفى: 131هـ): صحيفة
همام بن منبه، تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد، المكتب الإسلامي، دار عمار،
بيروت، عمان، ط1، 1407هـ.
- ابن مَنْجُوبِهِ، أحمد بن عليّ بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر (المتوفى: 428هـ): رجال
صحيح مسلم، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1407هـ.

- ابن مندة، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن العبدى (المتوفى: 395هـ): **معرفة الصحابة**، تحقيق: عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1426هـ.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن عليّ جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (المتوفى: 711هـ): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ): **سيرة ابن هشام**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة.
- أبو الحسين، ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: 526هـ): **طبقات الحنابلة**، محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، والذهبي: ميزان الاعتدال (4 / 197).
- أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي (المتوفى: 333هـ): **المحنة**، تحقيق: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، السعودية، ط1، 1404هـ.
- أبو الفضل، صفى الدين الحنفي الأثري الحسيني البخاري (المتوفى: 1200هـ): **العروس المجلية في أسانيد الحديث المسلسل بالأولية**، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ): **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- أبو زهو، شهاب الدين محمد عليّ: **الحديث والمحدثون**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1378هـ.
- أبو زيد، بكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: 1429هـ): **المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد**، دار العاصمة، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ط1، 1417هـ.

- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (المتوفى: 430هـ):
المسند المستخرج على صحيح مسلم، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ.
- أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (المتوفى: 446هـ): الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ.
- أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): المسند، شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ.
- أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): العلل ومعرفة الرجال لأحمد رواية ابنه عبد الله، (3/ 454)، وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني، الرياض، ط2، 1422هـ.
- الأزكوي، سرحان بن سعيد بن سرحان بن محمد بلحسن بن سرحان: كشف الغمة، وزارة التراث والثقافة، 2012م.
- الإسترآبادي، محمد أمين، العاملي، السيد نور الدين، (المتوفى: 1119هـ): الفوائد المدنية والشواهد المكية، تحقيق: الشيخ رحمة الله الرحمتي الأراكي، مؤسسة النشر الإسلامي، بقم، ط1، 1424هـ.
- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم (المتوفى: 324هـ): مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن، ألمانيا، ط3، 1400هـ-1980م.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (المتوفى: 430هـ): تاريخ أصبهان، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ-1990م.

- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (المتوفى: 430هـ): **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، السعادة، بجوار محافظة مصر، 1394هـ-197م.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (المتوفى: 430هـ): **معرفة الصحابة**، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1419هـ.
- النمازي، فتح الله بن محمد جواد الإصبهاني الشيرازي، ويعرف شيخ الشريعة (المتوفى: 1339هـ): **القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع**، تحقيق: الشيخ حسين الهرساوي، مؤسسة الإمام الصادق، قم، ط1، 1422هـ.
- الأعظمي، الدكتور محمد مصطفى، معاصر: **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه**، المكتب الإسلامي.
- الأعظمي، محمد ضياء الرحمن الاعظمي، أبو هريرة في ضوء مروياته بشواهدا وحال **انفرادها**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، 1392هـ.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ): **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، مكتبة المعارف، ط1.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (المتوفى: 1420هـ): **تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، (المتوفى: 1420هـ): **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، المكتب الإسلامي.

- الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم (المتوفى: 1420): سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ.
- الأمين، السيد محسن الامين (ت: 1371هـ): أعيان الشيعة، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
- الأمين، السيد محسن الأمين، (المتوفى: 1371هـ): أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.
- الأميني، عبد المحسين بن أحمد (1392): الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1387هـ.
- البابلي، إعداد أبو الفضل حافظيان، معاصر، رسائل في دراية الحديث، دار الحديث للطباعة والنشر، ط1، 1424هـ.
- البحراني، يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن عصفور الدرزي، (المتوفى: 1186هـ): الحدائق الناضرة، مؤسسة النشر الإسلامي، بقم.
- البحراني، يوسف بن احمد، (المتوفى: 1186هـ): لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم الحديث، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، مكتبة فخرآوي، البحرين، ط1، 1429هـ.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي: صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ.
- البخاري، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين الحنفي (المتوفى: 730هـ): كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، دار الكتاب الإسلامي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ): التاريخ الكبير للبخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.

- البروجردى، السيد حسين بن السيد عليّ الطباطبائي (المتوفى: 1383): جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية، قم، 1399هـ.
- البصري، أحمد بن عبد الرضا، (المتوفى: 1085هـ): فائق المقال في الحديث والرجال، تحقيق: غلامحسين قيصريه ها، دار الحديث، ط1، 1422هـ.
- البغدادي، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب (المتوفى: 463هـ): الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
- البغدادي، الشيخ خالد، معاصر: تصحيح القراءة، مركز الأبحاث العقائدية، ط1، 1427هـ.
- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي الأسفراييني (المتوفى: 429هـ): الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1977م.
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (المتوفى: 487هـ): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ.
- البنعلّي، أحمد بن حجر بن محمد بن حجر بن أحمد بن طامي بن حجر بن سند بن سعدون آل بوطامي (المتوفى: 1423هـ): محمد بن عبد الوهاب المجدد المفترى عليه، دار الفتح الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1415هـ.
- البهبودي، محمد باقر، صحيح الكافي، دار الإسلامية، ط1، 1401هـ.
- البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: 1051هـ): كشف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): العلل الصغير، تحقيق: أحمد محمد شاکر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر (ج1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ-1975م.
- التستري، محمد تقي، معاصر: قاموس الرجال، (126/12-127)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي، بقم، ط1، 1425هـ.
- التفرشي، مصطفى بن الحسين الحسيني (المتوفى: ق11)، نقد الرجال، تحقيق: مؤسسة آل البيت، مؤسسة آل البيت، قم، ط1، 1418هـ.
- الجديع، عبد الله بن يوسف الجديع: تحرير علوم الحديث، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ.
- الجعبري، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل (المتوفى: 732هـ): رسوخ الأخبار في منسوخ الأخبار، تحقيق: الدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1409هـ-1988م.
- الجعفي، المفضل بن عمر، (المتوفى: 160هـ): التوحيد، تحقيق: كاظم المظفر، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط2، 1404هـ.
- الجلاي، السيد محمد رضا، معاصر: تدوين السنة الشريفة، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط2، 1418هـ.
- الجلاي، محمد حسين الحسيني الجلاي، معاصر: فهرس التراث، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلاي، نكارش، ط1، 1422هـ.
- الجمحي، محمد بن سلام بن عبيد الله، (المتوفى: 232هـ): طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.

- الجواهري، الشيخ حسن محمد عبد الرسول: **بحوث في الفقه المعاصر**، دار الذخائر، بيروت، لبنان، ط1.
- الجواهري، محمد: **المفيد من معجم رجال الحديث**، مكتبة المحلّاتي، قم ايران، ط2، 1424هـ.
- الجوزجاني، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني (المتوفى: 227هـ): **التفسير من سنن سعيد بن منصور**، تحقيق: سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصمعي للنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ-1997م.
- الجوهري، عليّ بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (المتوفى: 230هـ): **مسند ابن الجعد**، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط1، 1410هـ-1990م.
- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ): **المستدرک على الصحيحين**، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ.
- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ): **المدخل إلى كتاب الإكليل**، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية.
- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ): **معرفة علوم الحديث**، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1397هـ.
- الحر العاملي، أبو جعفر محمد بن الشيخ الحسن بن عليّ (المتوفى: 1104): **وسائل الشيعة**، تحقيق: محمد رضا الجلاي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بقم، ط2، 1414هـ.

- الحر العاملي، أبو جعفر محمد بن الشيخ الحسن بن عليّ، (المتوفى: 1104هـ): الفوائد الطوسية، تحقيق: علق عليه وصححه العالمان المنتبعان الحاج السيد مهدي اللازوردي والشيخ محمد درودي، المطبعة العلمية، قم، 1403هـ.
- الحر العاملي، أبو جعفر محمد بن الشيخ الحسن بن عليّ، (المتوفى: 1104هـ): الفوائد الطوسية، تحقيق: السيد مهدي اللازوردي والشيخ محمد درودي، المطبعة العلمية، قم، 1403هـ.
- الحر العاملي، أبو جعفر محمد بن الشيخ الحسن بن عليّ، (المتوفى: 1104هـ): هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، ط1، 1414هـ.
- الحسني، هاشم معروف: دراسات في الحديث والمحدثين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط2، 1398هـ.
- الحكيم، السيد محمد تقي، معاصر، الأصول العامة للفقهاء المقارن، مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر، ط2، 1979.
- الحلبي، ابن داوود، (المتوفى: 740هـ): رجال ابن داود، تحقيق وتقديم: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، منشورات مطبعة الحيدرية، النجف، 1392هـ.
- الحلبي، جمال الدين الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهر (المتوفى: 726): تذكرة الفقهاء، مؤسسة آل البيت، ط1، 1414هـ.
- الحلبي، حسين ابن الشيخ عليّ بن الحاج حسين (المتوفى: 1379هـ): دليل العروة الوثقى، مطبعة النجف، ط1379هـ.
- الحموي، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الشافعي، بدر الدين (المتوفى: 733هـ): المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر، دمشق، ط2، 1406.

- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: 626هـ): **معجم البلدان**، الناشر: دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.
- الحموي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد الأصل، **الدمشقي** (المتوفى: 1111هـ): **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، دار صادر، بيروت.
- حميد، سعيد بن عبد الله بن عبد العزيز، معاصر: **مسند الربيع بن حبيب الإباضي - دراسة نقدية-**، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 47، 1430هـ.
- الحميري، نشوان بن سعيد اليمني: **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، (7247/11)، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري و يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ-1999م.
- الخصيبي، الحسين بن حمدان (المتوفى: 334): **الهداية الكبرى**، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 1411هـ.
- الخطيب، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي (المتوفى: 463هـ): **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ-2002م.
- الخطيب، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي (المتوفى: 463هـ): **شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي**، تحقيق: محمد سعيد خطي اوغلي، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة.
- الخطيب، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، (المتوفى: 463هـ): **الرحلة في طلب الحديث**، نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1395هـ.

- الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ): **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي**، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض.
- الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ): **تقييد العلم، إحياء السنة النبوية**، بيروت.
- الخطيب، محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله: **السنة قبل التدوين**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1400هـ.
- الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الحنبلي (المتوفى: 311هـ): **السنة**، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط1، 1410هـ.
- الخوئي، أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم (المتوفى: 1413هـ)، **معجم رجال الحديث**، ط5، 1413.
- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد (المتوفى: 255هـ): **سنن الدارمي**، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ.
- الداماد، محمد باقر بن محمد الحسيني (المتوفى: 1041): **الرواشح السماوية**، تحقيق: غلامحسين قيصريه ها، نعمة الله الجليلي، دار الحديث للطباعة والنشر، ط1، 1422هـ.
- دمشقية، عبد الرحمن بن سعيد، معاصر: **استدلال الشيعة بالسنة النبوية في ميزان النقد العلمي**، دار الصفوة، القاهرة، ط1، 1424هـ.
- الدهلوي، عبد العزيز بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري (المتوفى: 1239): **شرح تراجم البخاري**، دائرة المعارف النظامية، 1232هـ.

- الدهلوي، علامة الهند شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي: مختصر التحفة الاثني عشرية، عربيه: الشيخ الحافظ غلام محمد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي (1227هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1373هـ.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (المتوفى: 748هـ): تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ-1998م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (المتوفى: 748هـ): ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1382هـ.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (المتوفى: 748هـ): المغني في الضعفاء، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (المتوفى: 748هـ): الكاشف، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط1، 1413هـ.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (المتوفى: 748هـ): المنتقى من منهاج الاعتدال، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (المتوفى: 748هـ): تاريخ الإسلام، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (المتوفى: 748هـ): سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ-2006م.

- الذهبي، محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى: 842هـ): توضيح المشتبه، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م.
- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (المتوفى: 666هـ): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية والدار النموذجية، بيروت - صيدا، لبنان، ط5، 1420هـ-1999م.
- الرامهرمزي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خالد الفارسي (المتوفى: 360هـ): المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ط3، 1404هـ.
- الرامهرمزي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خالد الفارسي (المتوفى: 360هـ): المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ط2، 1414هـ.
- رستم، أسد: مصطلح التاريخ، تراث، مصر، ط1، 1426هـ.
- رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ): رسائل السنة والشريعة لرشيد رضا، (2/ 139)، دار المنار، القاهرة، ط2، 1366هـ.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، وابن منظور، لسان العرب.
- زرزور، عدنان محمد، معاصر: السنة النبوية وعلومها بين السنة والشريعة الإمامية، دار الاعلام للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1429هـ.
- الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي (المتوفى: 794هـ): النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي، تحقيق: زين العابدين بن محمد بلا فريج، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1419هـ.

- الزركشي، شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي (المتوفى: 772هـ):
شرح الزركشي على مختصر الخرقى، دار العبيكان، ط1، 1413هـ.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن عليّ بن فارس دمشقي (المتوفى:
1396هـ): الأعلام، دار العلم للملايين، ط 15، 2002م.
- السباعي، مصطفى بن حسني (المتوفى: 1384هـ): السنة ومكانتها للسباعي، المكتب
الإسلامي، دمشق، ط2، 1402هـ.
- السبحاني، جعفر بن محمد حسين، معاصر: تذكرة الأعيان، مؤسسة الامام الصادق عليه
السلام، ط1، 1419هـ.
- السبحاني، جعفر بن محمد حسين، معاصر: كليات في علم الرجال، مؤسسة النشر
الإسلامي، قم، ط3، 1414هـ.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (المتوفى: 771هـ): طبقات الشافعية
الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر
والتوزيع، ط2، 1413هـ.
- السحيمي، أحمد حارس سحيمي، معاصر: توثيق السنة بين الشيعة الإمامية وأهل
السنة، دار السلام، ط1، 2003م.
- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان
بن محمد (المتوفى: 902هـ): فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق: عليّ حسين
عليّ، مكتبة السنة، مصر، ط1، 1424هـ.
- السلماني، أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو بكر بن أبي طاهر الأزدي
(المتوفى: 550هـ): منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، تحقيق:
محمود بن عبد الرحمن قدح، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1422هـ.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ): تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1425.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.
- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبية القرشي المكي (المتوفى: 204هـ): الرسالة، تحقيق: أحمد شاکر، مكتبة الحلبي، مصر، ط1، 1358هـ.
- الشاهرودي، الشيخ عليّ النمازي (المتوفى: 1405هـ): مستدرکات علم رجال الحديث، طهران، ط1، 1412هـ.
- شرف الدين، السيد عبد الحسين، (المتوفى: 1377هـ): المراجعات، تحقيق: حسين الراضي، ط2، 1402هـ.
- شرف الدين، عبد الحسين بن يوسف بن جواد بن إسماعيل (المتوفى: 1377هـ): أبو هريرة، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (المتوفى: 548هـ): الملل والنحل، مؤسسة الحلبي.
- الشهرستاني، عليّ: تاريخ تدوين الحديث، دار الغدير، قم.
- الشهرستاني، عليّ: منع تدوين الحديث، مؤسسة الرافد، قم، ط4، 1430هـ.
- الشهيد الأول، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين مكي العاملي (المتوفى: 786هـ): ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ط1، 1419هـ.

- الشهيد الثاني، زين الدين بن عليّ الجباعي العاملي (توفي: 965)، الرعاية في علم الدراية، تحقيق: عبد الحسين محمد عليّ بقال، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم ط2، 1408.
- الشهيد الثاني، زين الدين بن عليّ الجباعي العاملي (المتوفي: 965): الرعاية في علم الدراية، تحقيق: عبد الحسين محمد عليّ بقال، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط2، 1408هـ.
- الشهيد الثاني، زين الدين بن عليّ الجباعي العاملي، (المتوفي: 965): الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، تحقيق: السيد محمد كلانتر، منشورات جامعة النجف الدينية، ط2، 1386هـ.
- الصالح، صبحي إبراهيم (المتوفى: 1407هـ): علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 1984م.
- الصدر، السيد حسن (المتوفى: 1351): نهاية الدراية، تحقيق: ماجد الغرباوي، نشر المشع.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (المتوفى: 764هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ.
- صفي الدين، أحمد بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العليم الخزرجي الأنصاري (المتوفى: بعد 923هـ): خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر، بيروت، ط5، 1416هـ.
- الطباطبائي، السيد عليّ (المتوفى: 1231): رياض المسائل، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412.

- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: 360هـ): **المعجم الكبير للطبراني**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، 1426هـ.
- الطبرسي، ميرزا حسين النوري (المتوفى: 1320هـ): **خاتمة المستدرک**، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الناشر، مؤسسة آل البيت، لإحياء التراث، قم، ايران، ط1، 1416هـ.
- الطبري، محمد بن جرير الطبري، الشيعي- وهو غير ابن جرير الطبري العالم المفسر- (المتوفى: القرن الرابع): **المسترشد**، تحقيق: الشيخ أحمد المحمودي، مؤسسة الثقافة الإسلامية، ط1، 1415هـ.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر (المتوفى: 369هـ): **تاريخ الطبري**، دار التراث، بيروت، ط2، 1387هـ.
- الطحان، أبو حفص محمود بن أحمد بن محمود طحان النعيمي: **تيسير مصطلح الحديث**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط10، 1425هـ.
- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ): **العقيدة الطحاوية**، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1414هـ.
- الطهراني، محمد محسن بن علي بن محمد رضا النجفي، (المتوفى: 1389هـ): **الذريعة**، دار الأضواء، بيروت، لبنان.
- الطوسي، أبو محمد جعفر بن الحسن: **اختيار معرفة الرجال المعروف رجال الكشي**، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط1، 1427هـ.
- الطوسي، حمد بن الحسن بن علي بن الحسن (المتوفى: 4610هـ): **تهذيب الاحكام**، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخراسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط3، 136هـ.

- الطوسي، محمد بن الحسن بن عليّ بن الحسن (المتوفى: 460هـ): **الفهرست**، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1417هـ.
- الطوسي، محمد بن الحسن بن عليّ بن الحسن، (المتوفى: 460هـ): **رجال الطوسي**، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، بقم، ط1، 1415هـ.
- الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (المتوفى: 743 هـ): **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، حاشية الطيبي على الكشاف**، تحقيق: إياد محمد الغوج، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1434هـ.
- العاملي، الانتصار، دار السيرة، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ.
- العاملي، حسن بن زين الدين (المتوفى: 1011هـ): **معالم الدين وملائم المجتهدين**، تحقيق: لجنة التحقيق، مؤسسة النشر الإسلامي، بقم.
- العاملي، محمد بن حسين الحارثي، (توفي: 1030هـ)، **الحبل المتين**، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.
- عبد الحلّيم، دكتور جمعة فتحي، معاصر: **روايات الجامع الصحيح ونسخه «دراسة نظرية تطبيقية»**، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم، جمهورية مصر العربية، ط1، 1424هـ.
- عبيد، د. محمد بن عبد الكريم، معاصر: **روايات ونسخ الجامع الصحيح**، دار إمام الدعوة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1426هـ.
- عتر، الدكتور نور الدين عتر: **منهج النقد في علوم الحديث**، دار الفكر، دمشق، سورية، ط3، 1401هـ.
- العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح (المتوفى: 261هـ): **الثقات للعجلي**، دار الباز، ط1، 1405هـ.

- العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: 806هـ): تخريج أحاديث الإحياء، المغني عن حمل الأسفار، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ.
- العسكري، مرتضى، معاصر: معالم المدرستين، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1410هـ.
- العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (المتوفى: 1111هـ): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.
- العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي (المتوفى: 322هـ): الضعفاء الكبير، تحقيق: عبد المعطي أمين قلججي، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ.
- العمري، أكرم بن ضياء: بحوث في تاريخ السنة، بساط، بيروت، ط4.
- العواد، بدر بن ناصر بن محمد: النصب والنواصب دراسة تاريخية عقدية، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط1، 1433هـ.
- الغامدي، أحمد سعيد: التشيع نشأته مراحل تكوينه، دار ابن رجب، ط1.
- الغريفي، محي الدين الموسوي، معاصر: قواعد الحديث، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ.
- الغفار، عبد الرسول، معاصر: الكُلَيْتِي والكافي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط1، 1416هـ.
- غفاري، عليّ أكبر، معاصر: دراسات في علم الدراية، جامعة الإمام الصادق، ط1، تهران، 1369هـ.

- غلامي، حسين غلامي: **محو السنة أو تدوينها**، مؤسسة الهادي، ط1، 1419هـ.
- فتح الله، الدكتور أحمد، **معاصر: معجم ألفاظ الفقه**، مطابع المدوخل، الدمام، ط1، 1415هـ.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (المتوفى: 170هـ): **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الفراهيدي، الربيع بن حبيب بن عمرو (من أعيان الثانية): **الجامع الصحيح**، مكتبة مسقط، عمان، ط1، 1424هـ.
- الفضلي، الدكتور عبد الهادي، **معاصر: أصول الحديث**، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1423هـ.
- فلاتة، عمر بن حسن عثمان، **معاصر: الوضع في الحديث**، مكتبة الغزالي، دمشق، 1401هـ.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ): **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ.
- القاري، علي بن محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ): **شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر**، تحقيق: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم، بيروت، لبنان.
- القاسم، أسعد وحيد، **معاصر: أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة**، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ): **تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ.

- القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري (المتوفى: 463هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عليّ محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412 هـ، 1992م.
- القزويني، عمر بن عليّ بن عمر، أبو حفص، سراج الدين (المتوفى: 750هـ): مشيخة القزويني، تحقيق: الدكتور عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ط1، 1426هـ.
- القفاري، ناصر بن عبد الله بن عليّ، معاصر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، ط2، 1414هـ.
- القفاري، ناصر بن عبد الله بن عليّ، معاصر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، (1/ 280)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1428هـ.
- القمي، سعد بن عبد الله (المتوفى: 299هـ/301هـ): المقالات والفرق.
- القمي، عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم (المتوفى: 1359هـ): الكنى والألقاب، مكتبة الصدر، طهران.
- القمي، عليّ ابن بابويه، (توفي: 329)، فقه الرضا، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم، ط1، 1406هـ.
- القمي، عليّ بن إبراهيم القمي (المتوفى: 329هـ): تفسير القمي، تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، إيران، ط3، 1404هـ.
- القمي، عليّ بن محمد الخزاز الرازي (المتوفى: 400هـ): كفاية الأثر، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، انتشارات بيدار، 1401هـ.
- القمي، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (المتوفى: 290هـ): بصائر الدرجات، تحقيق: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، مطبعة، طهران، 1404هـ.

- الكاشاني، الفيض محمد بن مرتضى، (المتوفى:1091): الوافي، تحقيق: ضياء الدين الحسيني، مكتبة الامام أمير المؤمنين عليّ العامة، أصفهان، ط1، 1406هـ.
- كاشف الغطاء، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (المتوفى: 1373هـ)، أصل الشيعة وأصولها، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة الإمام عليّ، ط1، 1415هـ.
- ابن الغضائري، أحمد بن الحسين الغضائري الواسطي البغدادي، (المتوفى: 445هـ): أهم مصادر رجال الحديث عند الشيعة، تحقيق: السيد محمد رضا الجلاي، دار الحديث، ط1، 1422هـ.
- الكركي، عليّ بن حسين بن عليّ بن محمد بن عبد العالي العاملي (المتوفى: 940): رسائل الكركي، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، مكتبة آية الله العظمى، ط1، 14109هـ.
- الكركي، عليّ بن حسين بن عليّ بن محمد بن عبد العالي، (المتوفى: 940هـ): جامع المقاصد، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ط1، 1408هـ.
- الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريني أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الكلباسي، محمد بن الشيخ إبراهيم الخراساني (المتوفى: 1356هـ): سماء المقال في علم الرجال، تحقيق: السيد محمد الحسيني القزويني، مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية، قم، ط1، 1419هـ.
- الكُليني، محمد بن يعقوب(المتوفى:329هـ): الكافي، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، 1363هـ.
- الكنتوري، إعجاز حسين بن محمد قلي خان الموسوي، (المتوفى: 1286هـ): كشف الحجب والأستار، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط2، 1409هـ.

- الكيلاني، مناظر أحسن: تدوين الحديث، تحقيق، الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط3، 2004م.
- القمي، محمد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه، (المتوفى: 381هـ): من لا يحضره الفقيه، تحقيق: عليّ أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط2.
- اللكنوي، عبد العليّ محمد بن نظام الدين محمد السهالوي (المتوفى: 1225هـ)، فواتح الرحموت، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1423هـ.
- اللكهنوي، إعجاز حسين بن محمد قلي خان الموسوي الكنتوري (المتوفى: 1286هـ): كشف الحجب والأستار، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط3، 1409.
- المازندراني، مولي محمد صالح شرح (المتوفى: 1081هـ)، أصول الكافي، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1421هـ.
- المتقي، علاء الدين عليّ بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير (المتوفى: 975هـ): كنز العمال، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط5، 1401هـ.
- المجلسي، محمد باقر (المتوفى: 1111هـ): بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ.
- المجلسي، محمد باقر، (المتوفى: 1111هـ): إجازات الحديث، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم، ط1، 1410هـ.
- المجلسي، محمد تقي (المتوفى: 1070هـ): روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، تحقيق: السيد حسين الموسوي الكرمانى.

- المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، الحديث النبوي وعلومه، مؤسسة ال البيت، عمان، 1991م.
- المحلي والسيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ): تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة.
- المروزي، أحمد بن محمد بن الحجاج، أبو بكر (المتوفى: 275هـ): أخبار الشيخ وأخلاقهم، تحقيق: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1426هـ.
- المزني، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج (المتوفى: 742هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ.
- مزيد، عليّ عبد الباسط: منهاج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي (المتوفى: 637هـ): تاريخ إربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980م.
- مسلم: ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): التمييز، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مكتبة الكوثر، المربع، السعودية، ط3، 1410هـ.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المظفر، محمد رضا (توفي: 1383هـ)، أصول الفقه، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.

- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام الحارثي (المتوفى: 413هـ):
الاختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ.
- الملا كني، علي الطهراني (المتوفى: 1306): توضيح المقال في علم الرجال، تحقيق: محمد حسين مولوي، دار الحديث، ط1، 1421هـ.
- الملطي، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين العسقلاني (المتوفى: 377هـ):
التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.
- المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين (المتوفى: 656هـ):
الترغيب والترهيب للمنذري، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ.
- الموسوي، حسين (معاصر): لله ثم للتاريخ، دار الأمل، ط4.
- الموسوي، شرف الدين (المتوفى: 1377هـ): الفصول المهمة في تأليف الأمة، قسم الإعلام الخارجي لمؤسسة البعثة، ط1.
- الميلاني، علي الحسيني الميلاني: الأحاديث الواردة في الخلفاء على ترتيب الخلافة، مركز الحقائق الإسلامية، ط4، 1430هـ.
- النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد بن عباس (المتوفى: 450هـ): رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي، بقم، ط5، 1416هـ.
- النجمي، الشيخ محمد صادق، معاصر: أضواء على الصحيحين، تحقيق: الشيخ يحيى كمالى البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط1، 1419هـ.
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1420هـ.

- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن عليّ الخراساني (المتوفى: 303هـ):
خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، تحقيق: أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلا، الكويت، ط1، 1406هـ.
- النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى (المتوفى: 310هـ)، فرق الشيعة.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676هـ): تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676هـ): شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ): التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ.
- الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري أبو منصور (المتوفى: 370هـ): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
- الهمداني، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي (المتوفى: 584هـ): الأماكن ما اتفق لفظه واُفترق مسماه، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر، 1415هـ.
- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين عليّ بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ.
- وكيع، أبو بكر محمّد بن خلف بن حيّان بن صدقة الضبّي البغدادي (المتوفى: 306هـ): أخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1366هـ.

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب (المتوفي: 284): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، لبنان.

- المطيري، محمد بن عليّ بن جميل: الأحاديث الصحيحة التي تفرد بروايتها أبو هريرة رضي الله عنه،

<https://goo.gl/seHQiP>

- بسيوني؛ عليّ عمر محمد: العالم والسلطان،

<https://goo.gl/2dpGpD>

- المبارك، محمد،

<https://goo.gl/ys3nxV>

**An- Najah National University
Faculty of Graduates Studies**

The Impact of Political Attitudes on the Narration of Prophetic Hadiths "Critical Study"

**By
Abdul Sattar Yousef Ahmed Rayyan**

**Supervised by
Dr. Khaled Alwan**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements
for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usul Al-
Din), Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University,
Nablus, Palestine.**

2018

**The Impact of Political Attitudes on the Narration of Prophetic
Hadiths**

"Critical Study"

By

Abdul Sattar Yousef Ahmed Rayyan

Supervised By

Dr. Khaled Alwan

Abstract

This study examined the impact of political attitudes on the narration of Prophetic Hadiths through an introductory chapter in which I defined the keywords of the thesis title.

Then, I explained the stages that the Prophetic Sunnah witnessed, beginning from narrating the Hadiths orally, to the compiling in different Hadith documents, and then to the writing of Sunnah in special Hadith books.

I have also defined the most prominent political groups that emerged before the writing of the Prophet's Hadiths. These groups are: Kharijites, Shiites and An-Nawasib. I have also showed how these different groups dealt with prophetic Hadiths, the ways and the reasons why they did changes to them, and I explained the effect of their political affiliation on the narration of Prophetic Hadiths.

Then, I touched upon the suspicions raised by these groups about the Prophet's Sunnah. The Shiites claimed that the school of the Rashidi caliphs did not allow the compiling and the codifying of Sunnah, and that they were influenced by the Jahili traditions in the way they dealt with it

so that they could distort the Islamic religion in a way that makes it compatible with their own desires.

Moreover, I explained the relationship between the narrators of the Prophet's Hadiths and the state, and I explained their attitude towards visiting and dealing with sultans. I have also mentioned some of the difficulties they suffered from because of their steadfastness in some issues that contradict the opinion and the desire of sultans.

In addition, I clarified the approaches that the People of Sunnah followed in their narration of the Prophet's Hadiths. I also talked about the most important means and methods adopted by them to preserve these Hadiths, and their attitude towards any opponents who belong to different political parties was also clarified.

I concluded my research by making a comparison between the most accurate and truthful things written by the people of Sunnah represented by the book "Saheeh al-Bukhari", and the most accurate and truthful things written by the largest group of people who follow their whims and desires– the Shiites – as they claim in their book "Al Kafi". This comparison shows us the clear difference between the scientific, rational and authenticated method on one hand, and the random approach that disappeared for a period of time and was manipulated by Shiites, on the other hand. Because of this manipulation, many contradictory and strange reports have appeared, in which there is a kind of hatred and rebelling against Ahl al-Bayt, and a kind of injustice towards the rights of others as well.

One of the most important findings of this research is that the Shiites are the only group that has a heritage similar to the heritage of the people of Sunnah in its diversity and categorization. The Shiites were divided into two schools: Ikhbari and Fundamentalism. After studying these two schools very well, I found that both of them are corrupt. The fundamentalist school tried to imitate the Sunnis in their science. However, the ideas and beliefs that they have adopted, and the reality of the books they have published didn't help them to achieve their purposes despite the great effort they made to improve the reputation of their inherited Hadiths.

Finally, I found out that the political groups (Kharijites, Shiites and An-Nawasib) have fabricated many Hadiths in a way that makes them suit their ideas and opinions. Moreover, they did fabricated them to praise their scientists, and to condemn and criticize their opponents. By contrast, people of Sunnah and al-Jamaa'ah narrated all the Prophetic Hadiths without any fabrication because their approach is based on objectivity and justice. They also disapproved and revealed what some ignorant people of Sunnah did like inventing or fabricating Hadiths to praise Sunnis or for other purposes, and they punished them as well.

The researcher